

دار الشؤون الثقافية العامة

The General House of Cultural Affairs

أ . د . عباس فاضل السعدي

الجغرافيون العرب

حتى القرن الثالث عشر الهجري



أ . د . عباس فاضل السعدي

الجغرافيون العرب حتى القرن الثالث عشر الهجري

الجغرافيون العرب حتى القرن الثالث عشر الهجري

أ. د. عباس فاضل السعدي

قال الخبير العلمي لهذا الكتاب (الذي يجهل المؤلف إسمه) :
لأول مرة يتضمن مُؤلف هذا العدد الكبير من رواد الجغرافية العربية الإسلامية حيث إحتوت صفحاته على 93 عالماً جاءوا حسب عصر كل منهم من حيث المنجز والمؤلفات والمقاربة والمقارنة والتحليل مستخدماً مراجع ومصادر مهمة في هذا المجال بلغت (164) مصدرا.

ويعد كتاباً ببليوغرافياً موسوعياً ومرجعاً للمريدين والقراء في مجال الفكر الجغرافي العربي الإسلامي. وأجاد المؤلف فن تأليف المعلومات وتسلسلها المنطقي والتاريخي وبذل جهداً في تجميع وتصنيف المعلومات، وتميز بالمنهج العلمي متضمناً تحليلاً ونقداً ومناقشة، فهو مصدر للباحثين أيضاً.

ومن ميزات الكتاب تسليطه الضوء على عدد من المفكرين قل ذكرهم في الكتب والمؤلفات الأخرى وطريقة عرض المعلومات وتحليلها ومقاربتها، ويعد الكتاب إضافة في مجال تخصصه.



وزارة الثقافة والسياحة والآثار ـ العراق
إصدارات دار الشؤون الثقافية العامة
السعر : 8000 دينار عراقي
تصميم الغلاف : شهد حمدي

الجغرافيون العرب

حتى القرن الثالث عشر الهجري



وزارة الثقافة والسياحة والآثار
دار الشؤون الثقافية العامة
العنوان - بغداد - الأعظمية - حي تونس
البريد الالكتروني: info@darculture.com
الموقع الالكتروني: www.darculture@yahoo.com

الجغرافيون العرب
حتى القرن الثالث عشر الهجري

تأليف: أ. د. عباس فاضل السعدي
موضوع الكتاب: دراسة جغرافية
بغداد - 2023

المدير العام ورئيس مجلس الادارة: د. عارف الساعدي
الطباعة الالكترونية: وئام ناصر عبد الحسين
التصحيح اللغوي: علي عبد جاسم

قياس الكتاب: 24x17 سم
عدد الصفحات: 352
الرقم الدولي: 9789922989228
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (3662) لسنة 2022

أ. د. عباس فاضل السعدي

الجغرافيون العرب

حتى القرن الثالث عشر الهجري

بغداد – 2023

الإهداء

إلى عشاق الجغرافية العربية ومن اهتم بها

وسعى في إحياء التراث الإسلامي

المقدمة

إنبثقت عناية العرب بالجغرافيا من واقع حياتهم، ذلك أن نشأتهم الأولى كانت في محيط حتَّم عليهم أن يلمّوا بالمعلومات الجغرافية المختلفة، إذ لم يكن في إستطاعتهم اداء الطقوس الدينية وإنجاز معاملات البيع والشراء وتسديد الديون إلّا إذا ضبطوا مواعيدها.

وكان عليهم أن يعلموا شيئاً عن النجوم الثابتة ومسير الكواكب المتحركة وأن يتابعوا تغيرات الطقس. ولقد تيسرت للعرب، وهم يضربون في الأرض، أسباب التعرف على النبات والحيوان السارح في الصحراء. وإن معرفة مواقع النجوم تؤدي إلى تحديد خطوط الطول ودوائر العرض. وهكذا نالت الجغرافية الرياضية وصناعة الخرائط مكانتها بسبب ما أُوليتْ من عناية مبكرة.

إن مساهمة العرب والمسلمين عموماً تبدو ضخمة في المجال الجغرافي وقد إستحقوا، بناءً على ما أنجزوه، مكانتهم التي إحتلوها عن جدارة في مجال العلم الكوني.

ولقد تميزت مصنفات مدرسة الجغرافيين العرب المسلمين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بمعالجة منظمة للمعلومات الجغرافية وتبسيطها بالخرائط المفسِّرة التي أُطلق عليها (الوصف الجغرافي)، وساعدهم على ذلك إنتشار الأمن في ربوع بلاد المسلمين.

ولم يكتفِ الجغرافيون العرب بالسماع والنقل من كتب الأقدمين للوصول إلى المعلومات الجغرافية الدقيقة بل إتجهوا إلى الرحلة وإكتشاف المجهول ليس للإستمتاع بأكتساب معارف جديدة فحسب ولكن التجربة والمشاهدة هي السبيل الأمثل للحصول على المعلومات الصحيحة، وكشف أوجه الحياة. لذلك قاموا أثناء رحلاتهم بقياس المسافات بين المدن، ولاحظوا أثر مناخ الإقليم في العلوم والصنائع والمباني والملابس والأوقات والنبات والحيوان. ولذلك كانت المعلومات الجغرافية الوصفية والسكانية، ومعرفة المسالك وطرق القوافل البرية، والخطوط البحرية بين موانئ مدن الإسلام ذات أهمية بالغة بالنسبة لدولة إسلامية مترامية الأطراف نشطت فيها حركة النقل والتجارة بسبب ما تمتعت به من أمان وإستقرار وإزدهار إقتصادي. وتحدّث العرب عن الجغرافيا وما تتضمنه من أحوال السكان والمدن والملوك والحكام والمشاهد. وتُعد الجغرافية الوصفية والبشرية والفلكية من بين المنجزات التي قدمتها العقلية العربية إلى الحضارة الإنسانية.

وإهتم العلماء العرب المسلمون بها يوم أن اشرقت حضارتهم وتوسعت رقعة بلادهم من المحيط الاعظم (بحر الظلمات)، حتى أقاصي الصين ونبغت فيهم جماعة من العلماء الأجلاء أصبحت آراؤهم تُدرّس ونظرياتهم تُناقش وصححوا نظريات من سبقوهم مثل اليونان والرومان وغيرهم، ومن بينهم أبو الحسن المسعودي الذي برز في مجال الجغرافية العربية والرحلات الميدانية .

إن إلقاء الضوء على الجغرافية العربية وتفصيلاتها وتعدد تخصصاتها ودور الجغرافيين العرب فيها، يمثل هدف هذه الدراسة. وهي تقسم إلى تسعة فصول: ثلاثة منها تناولت الجغرافية العربية والستة المتبقية تمت فيها دراسة الجغرافيين العرب في مختلف العصور القديمة، وتم التركيز على دراسة المسعودي لدوره الكبير في الجغرافية العربية. أرجو أن أكون قد وفقت فيها ووفرتُ معلومات مهمة لمن يحتاجها في أبحاثه ومؤلفاته، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

الفصل الأول

نشوء الجغرافية العربية وتطورها

المرحلة الأولى

إن الدارس لمنشأ الأفكار والصور الخاصة بالجغرافية العربية يجد أن جذورها تضرب في التاريخ إلى ما قبل تعرّف العرب على علوم الهند والفرس واليونان والرومان. فقد إتصلت اليمن وبلاد العرب الجنوبية الأخرى بالهند وسرنديب وأندنوسيا منذ أوائل التاريخ الميلادي بالطريق البحري، فضلاً عن الطريق البري. وكان ساحل ملبار الذي إستوطنه العرب، سواء لغرض التجارة مع الهند أو لتزويد السفن العربية بما تحتاجه من مؤونة لمواصلة رحلاتها الطويلة إلى الصين، وإستمرت هذه التجارة بالتقدم في العصور الإسلامية المختلفة[1] .

وعليه يمكن القول أن للعرب صلات تجارية واسعة في أرجاء المحيط الهندي قبل الإسلام بمدة طويلة، وهذا يجعل ثراء العربية الجنوبية يأتي في الغالب من تجارتها

---

[1] عادل محي الدين الآلوسي، العروبة والإسلام في جنوب شرقي آسيا، ط١، هيئة كتابة التاريخ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دائرة الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٨ : ١٩، ٤٧.

البرية والبحرية، فضلاً عن الإتجار بمنتجات شبه جزيرة العرب ذاتها. وكذلك بالمواد المستوردة من الخارج ولاسيما من السواحل الأفريقية والهند[1].

وقد أتاحت معرفة العرب بفنون الملاحة ومسالك البحر وعلم الفلك مكانة رفيعة في المحيط الهندي، فإزدهرت تجارتهم البحرية وأحاطوا بكل متطلبات نموها وتطورها[2]. ويتحدّث المقدسي عن مهارتهم الملاحية وتكامل أوجه نشاطهم البحري فيقول: " صاحبت مشايخ فيه (أي في المحيط الهندي)... ورأيتهم أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه ... ورأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعولّون عليها ويعملون فيها"[3].

وتتضح المعلومات الجغرافية التي يجمعها التجار أثناء رحلاتهم من خلال ذكرهم لأسماء الأماكن والآبار وموارد المياه والجبال والقبائل التي يخترق الطريق لأراضيها. ولو تتبعنا إهتمام العرب بالجغرافيا لنجده منبثقاً من صميم حياتهم البدوية، حيث إنعكست صورها الأولى عند شعراء الجاهلية. فهناك قصائد إشتملت على وصف جغرافي دقيق للمكان، كما إشتملت على أوصاف للعادات والتقاليد البشرية

---

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧: ٧/ ٢٦٢.

[2] علي المياح، "العرب والمحيط الهندي"، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٩: ج ٣، ٤: ٤٠/ ٢٤٣-٢٤٤.

[3] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، عناية دي غوية، مطبعة بريل، ليدن،١٩٦٧: ١٠.

والنبات والحيوان، وتلك هي المواضيع الأساسية التي تعالجها الجغرافية الوصفية[1]. ولقد أورد أبو محمد الحسن الهمداني عشرات من تلك القصائد ذات المعاني الجغرافية[2].

وما تقدم يشير إلى أن عناية العرب للجغرافيا إنبثقت من واقع حياتهم حيث كانوا يسبحون في الصحراء بحثاً عن الكلأ والماء، ومن الطبيعي يكونوا قد طوروا فن تحديد طرقهم على أساس معالم يرونها في النهار. وكان عليهم أن يعلموا شيئاً عن النجوم الثابتة، وكانت معرفتهم للنجوم إستنباطية وإستخدموها كعلامات في الليل، وأن يعلموا أيضاً عن مسير الكواكب المتحركة وغيرها من الأجرام السماوية، كما كان عليهم أن يتابعوا تغيرات الطقس. وفرضت هذه الحالة على العرب أن يكونوا على علمٍ ببعض نواحي الجغرافيا.

ومن خلال ملاحظة القمر والنجوم أمكنهم التنبؤ بحالة الطقس، وتحديد فصول السنة الملائمة للزراعة نتيجة الخبرة الطويلة الأمد بمراقبة طلوع ومغيب نجوم معينة. وعُرف ذلك بإسم (النوء)، جمعه أنواء، وقد لعب دوراً كبيراً في حياتهم حيث

---

[1] شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، ط١، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٥: ٧.

[2] الهمداني، الإكليل: ١٩٣٨: صفحات متفرقة، أيضاً تحقيق الأكوع، بغداد، ١٩٨٠، ٢/ ١٦٠-١٦١.

تجمعت لدى العرب معلومات مختلفة صاغوها في صور مسجوعة تم تدوينها مع الشعر الجاهلي، وترتبط الأنواء بالظواهر الجوية، فكثيراً ما يعني النوء (المطر)[1].

وكان هذا كله موضع عناية العرب وملاحظاتهم الدقيقة ليستعينوا بتلك الظواهر وبخبراتهم على الترحال في فجاج الصحراء المترامية الأطراف بقصد الحرب أو السلم على السواء. كذلك كان على القوم أن يتنقلوا بين الحين والحين بقطعانهم من غنم وماشية – وهي أعز ما يملكون – إنتجاعاً للمرعى الطازج الجيد. لقد تيسرت للعرب وهم يضربون في الأرض أسباب التعرف على النبات والحيوان السارح في الصحراء. وما أكثر ما إدّخره الشعر والنثر البليغ والحكم والخطب من معلومات عن التاريخ القبلي والبيئة الطبيعية لتلك الجماعات من البشر.

وبذلك تولدت لدى العرب خبرة واسعة ولم يستطع أحد أن ينافسهم في الصحراء في الإستدلال على مسيرهم إهتداءً بالنجوم والقمر، فذاع صيتهم في إعداد وتنفيذ الخطط الحربية المحكمة. وساهم موقع الجزيرة العربية في إثراء خبرة المجتمع وتكوين علاقات واسعة، والإطلاع على مختلف الثقافات بسبب رحلات الحج

---

[1] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان، القاهرة، ١٩٦٣: ١/ ٤١.

السنوية. وقد شهدت لهم بذلك الفتوحات والإكتشافات والتراجم والمؤلفات وبخاصةً الجغرافيا منها والتي لم يسبقهم إليها أحد[1].

وبهذا ظفرت الجغرافيا بعناية العرب المسلمين إذ شعروا مبكرين بحاجتهم إلى تحديد دقيق لوضعهم. فلقد كانت المعرفة الفلكية بالنسبة لأبناء الصحراء ذات اهمية بالغة وقيمة نافعة. ولا يفوتنا القول إن الإتصال وثيق بين هذا العلم والرياضيات. لذلك قيل إن براعة العرب في علم الفلك ترجع قبل كل شيء إلى صلاحية بيئتهم الطبيعية لتطور هذا العلم. كما ان معرفة مواقع النجوم تؤدي إلى تحديد خطوط الطول ودوائر العرض. وهكذا نالت الجغرافية الرياضية وصناعة الخرائط مكانتها بسبب ما أُوليت من عناية مبكرة[2].

وكان بزوغ الإسلام السبب وراء تقدم العرب في ميدان الفلك لاسيما بداية ظهور القمر في شهر رمضان والأيام المقدسة. ففي سنة ٦٣٨ م/ ١٧هـ إتبع الخليفة عمر بن الخطاب (رضي ألله عنه) تقويماً قمرياً جديداً يقوم على النظرة الإسلامية إحتوى على ١٢ شهراً تبدأ عند رؤية الهلال . وكان أصغر من التقويم الشمسي بنحو ١١ يوماً وما زال هذا التقويم مستعملاً إلى يومنا هذا لأغراض دينية. وخلال عصر

---

[1] شهيرة دعدوع، من علماء المسلمين، ٢٣/ ٤/ ٢٠١٩، نيت . https;//mawd003.com/

[2] نفيس أحمد، جهود المسلمين في الجغرافية ترجمة فتحي عثمان، مطابع دار القلم، القاهرة، (د. ت.): ٢٧.

الإسلام الذهبي (إبان القرون ٨-١٥ م) حصلت إسهامات فلكية في اللغة العربية بلغ عددها نحو (١٠٠٠٠) مخطوطة منتشرة حول العالم، وكثيراً منها لم يُقرأ ولم يصنف[١] .

وفي مرحلة مبكرة من تاريخ الجغرافيا ظهرت مؤلفات جغرافية في صدر الإسلام عُني بكتابتها علماء اللغة لذلك أُطلق على هذه المرحلة من تاريخ الجغرافية العربية إسم " المدرسة اللغوية "، يدفعهم إلى هذا النوع من الكتابة الإهتمام بجزيرة العرب التي ظهر فيها النبي محمد (صلّى ألله عليه وسلّم) ومحاولة التعرف على كل مايتصل بأرضِها وسمائها وحيوانها ونباتها وبشرها. كذلك الإهتمام باللغة العربية والشعر العربي القديم. وقد عني هؤلاء اللغويون الأقدمون بتحديد البقاع والمنازل الكثيرة التي وردت في الأدب الجاهلي، كما في المعلقات السبع التي لا تخلو إحداها من ذكرٍ للمواقع أو وصفٍ للمظاهر الطبيعية المختلفة، كما وردت في الأدب الإسلامي والأحاديث النبوية وآيات القرآن الكريم. وألّفوا في ذلك رسائل قبل عصر التأليف المعجمي. ويرى (غوستاف لوبون) أن أقدم كتاب في علم الجغرافيا هو الذي نشره "النضر بن شمّيل البصري" (٧٤٠ – ٨١٨ م/ ١٢٢-٢٠٣هـ)[٢].

ولقد قفا آثار هؤلاءجماعة إنصرفوا إلى شيء هو أقرب إلى الإختصاص، وهم أهل البلدان الذين تأثروا بالحضارات القديمة في مادتهم الجغرافية. ولعل أول هذه

---

[١] علم الفلك، وكيبيديا الموسوعة الحرة، نت: ١٩.

[٢] غوستاف لوبون، حضارة العرب، نقله الى العربية عادل زعيتر، ط٢، القاهرة، ١٩٤٨: ٥٦٦.

المجموعة مؤلف كتاب " خلف الأحمر البصري" المتوفى في حدود عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م، وكذلك كتاب "جبال العرب وما قيل فيها من الشعر". ايضاً ابو الوزير عمر بن مطرف المتوفى في خلافة المهدي (١٥٨ – ١٦٩ هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م)، أو الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨م) مؤلف كتابي " منازل العرب وحدودها" و"أين كانت محلة قومٍ وإلى أين إنتقلوا"، ولم يصل إلينا هذان الكتابان[1].

وألّف أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي(ت ٢٠٤هـ/ ٨٢٠ م) عدة كتب من بينها كتاب البلدان الكبير والبلدان الصغير وكتب أُخرى لكن جميعها فُقدت ولم تصل إلينا. كما ألّف (عرّام بن الأصبغ) كتاب " أسماء جبال تهامة "، فضلاً عن كتاب "الأمصار والبلدان" للجاحظ[2]. وهذه المؤلفات هي إرهاصات جغرافية وإشتمل بعضٌ منها على أوصاف عامة للبلدان هي أقرب إلى (الحكميات) اللغوية. ويمكن أن نلمح في هذه المرحلة بداية الفكر الجغرافي عند العرب الأقدمين قبل مرحلة التأليف الإختصاصي المتمثل في طائفة البلدانيين.

ومن مؤلفي هذه المرحلة أيضاً (أبو عبيدة) المتوفى عام ٢١٠هـ/ ٨٢٥م في كتابه "الحرات"، وهي الصخور البركانية السوداء، و(الأصمعي) المتوفى عام

---

[1] إبراهيم السامرائي، "بداية الفكر الجغرافي عند العرب"، مجلة الجمعية الجغرافية، ١٩٦٤: ٢/ ٩٨ – ٩٩.

[2] شاكر خصباك وعلي المياح، الفكر الجغرافي، وزارة التعليم العالي/ جامعة بغداد، ١٩٨٣: ٥٩.

٢١٦هـ/ ٨٣١م، وهو من علماء اللغة وله معرفة بالجغرافيا في كتابه "مياه العرب" وكتابه الثاني " جزيرة العرب" وكذلك كتاب "الدارات". وتظهر الجغرافيا أيضاً في كتاب العروس أو (تاج العروس) للزبيدي، وهو من معاجم اللغة العربية. وألّف أبو زيد سعيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م) كتاب المياه، وكتاباً آخر في المطر ضمّنه مختلف المفردات اللغوية في المطر والسحب والرعد والبرق والندى والجمد وظروف تكوّن كل منها. وإتسم هذا الكتاب بدقته بحيث أن أسماء السحب فيه تطابق ما تعارف عليه علماء المناخ الأوربيون في الوقت الحاضر[1].

ولسعدان بن المبارك (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) كتاب "الأرضين والمياه والجبال"، ولشمر بن حمدويه (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) كتاب الجبال والأودية، ولأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) كتاب المناهل والقرى[2].

وفي بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وضع النضر بن شميّل (ت٢٠٣هـ/ ٨١٨م) كتابه "الأنواء" وهو يشبه موسوعة قائمة بذاتها في الحياة البدوية وكانت بعنوان (الصفات) في خمسة أجزاء. وهو كتاب كبير يحتوي على عدة

---

[1] إبراهيم السامرائي، مصدر سابق: ٩٩، شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، مصدر سابق: ٨ – ٩.

[2] القفطي، أنباه الرواة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٣: ٢٩١/١.

كتب صغيرة، وصف فيه الجبال والإنسان والإبل والغنم والزرع. مما يعني أنه يحتوي على مادة مختلطة من الجغرافية الطبيعية والإثنوغرافيا والجغرافية الحيوية. ومنذ منتصف القرن التاسع الميلادي بدأت تتشكل الجغرافية الوصفية وببطء ملحوظ في أول الأمر لأنها لم تجد نماذج معدّة لتسير وفقها[1].

أما فيما يتعلق بالجغرافية الإقليمية فقد إنصرف اللغويون إلى جزيرة العرب وإهتموا بها، حيث وُلدوا وتربوا في أحضانها، فضلاً عن وجود المدن المقدسة فيها. وقد أورد القرآن الكريم عشرة أسماء لمواضع جغرافية جميعها تقع في جزيرة العرب وهي: مكة، المدينة، بدر، حنين، الصفا، المروى، عرفات، طريفا(وفيه كان مصير الجودي الذي رسى عنده نوح)، سيناء، وادي طوى القريب منها. كما أورد القرآن الكريم بعض مساكن الأمم البائدة، وخارج حدود الجزيرة العربية مثل الأرض المقدسة (فلسطين) ومصر وبابل[2]. كما ورد في شعر الجاهلية ذكر الأنهار (دجلة والفرات) والأقطار (مثل العراق والشام) والمدن (بعلبك، دمشق) وذكر الروم والعجم (الفرس).

---

[1] كراتشكوفسكي، مصدر سابق: ١/ ١٢٤-١٢٥.

[2] عباس السعدي، دراسات في تراث العرب، ط١، مؤسسة الوراق، للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١: ١٦.

أما الرحلات فمليئة بتفاصيل تم رصدها من خلال المشاهدة، إلى جانب الموضوعات الأسطورية والحكايات التي حفل بها أدب الحديث المبكر. وتجمعت مادة جغرافية حقيقية خاصةً ما يتعلق بالفتوحات الإسلامية، حيث ظهر خلال هذه الحقبة المبكرة، أي قبل ظهور المصنفات الجغرافية ميلاد بعض الأنماط والصور التي بدأت تشكل مصنفات جغرافية قائمة بذاتها وضعها علماء لغويون وهم المسؤولون عن ظهور نمط (الفضائل)، أي ذكر محاسن الشعوب والبلدان، وكذلك (المثالب) المتعلقة بالقبائل المختلفة. مع ظهور إشارات، ولو مبهمة،عند ظهور مصورات جغرافية في المجالين الإداري والإقتصادي. ويُقترن بإسم الحجاج بن يوسف الثقفي أول ذكرٍ معروف لدينا عن الخارطات عند العرب عام ٨٩هـ/ ٧٠٨م[١].

المرحلة الثانية:

إنتقلت الجغرافية العربية إلى مرحلة ثانية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وهي المرحلة التي بدأ فيها الإهتمام بالفكر الأجنبي من خلال الترجمة، وهي ثمار الفكر الهندي والإغريقي والروماني إلى اللغة العربية وقد تأثروا بآراء بطليموس[٢] القلوذي (الإسكندري) ولاسيما كتابه الفلكي المعروف بإسم (المجسطي) وكتابه

---

[١] كراتشكوفسكي، ١٩٦٣: ١/ ٥٩.

[٢] بطليموس هو من أشهر الفلكيين اليونانيين، ولد بمصر في القرن الثاني بعد الميلاد ووضع النظرية القائلة إن الأرض مركز العالم، وإن الشمس وجميع الأجرام دائرة حولها.

الجغرافي الذي إشتهر بإسم (جغرافيا). وتأثر بها إبن الفقيه وإبن رسته. وإهتمت الجغرافية العربية في هذه المرحلة بالفلك، حيث نال العلماء تشجيعاً من قبل الخلفاء وخاصةً العباسيين، وتمثل هذه المرحلة بداية حقيقية للجغرافية العربية.

ففي هذه المرحلة إزدهر الفكر الجغرافي في عهد الدولة الإسلامية بعد أن زادت الفتوحات في مشارق الأرض ومغاربها وتنوعت الموارد والمعارف والأفكار بتنوع البيئات. وشجع الخلفاء العلم والعلماء وفي شتى مناحي الحياة الدينية والدنيوية. وقد أكد صاعد الأندلسي في كتابه "طبقات الأمم" تمسك العرب بلغتهم وأحكام شريعتهم مع إهتمامهم بالترجمة إلى لغتهم التي قام بها اليعاقبة والسريان والفرس وغيرهم بعد تحوير هذه المترجمات لتكون ملائمة لهم ولأفكارهم فيضعون المسميات المناسبة للمصطلحات العلمية حتى صار منهم تراجمة حاذقون قاموا بنقل مباشر إلى العربية، وساعدهم في ذلك دخول كثير من الفرس والروم إلى الإسلام.بل إن بعض الرجال والقادة من المسلمين مثل خالد بن الوليد أنفق أموالاً طائلة على ترجمة كتب العلم. وجاء بعده في تشجيع الترجمة عمر بن عبد العزيز، الخليفة الزاهد، وفيما بعد تبعهم العباسيون[1].

---

[1] الجغرافيا في عصر الحضارة الإسلامية، وكيبيديا الموسوعة الحرة، نت.
ar.wikipedia.org/wiki /

ففي عهدهم أصبحت بغداد مركز الدراسات والترجمة والنشاط العلمي فجذب ذلك العلماء من جميع أنحاء العالم، وتمتعوا برعاية الخلفاء وبخاصةً الرشيد والمأمون وفتحت أبواب التعليم للمسلمين وغيرهم. وإنتشر فيها متعلمو العربية واليونانية والعبرية والفارسية والسريانية، وإستمرت اللغة العربية، وهي اللغة المشتركة، والإسلام وهو الدين السائد. والرعاية المذكورة من قبل الخلفاء كان المسؤول الأول عن إزدهار الإتجاه الرياضي في الجغرافيا.

فقد أصبح علم الفلك في هذه المرحلة هو هوس الحكام والعلماء فرمى الجغرافيون بكامل ثقلهم إلى جانبه متأثرين باليونانيين. ومن مظاهر هذا التأثر تقسيم الأرض إلى سبعة أقاليم كما فعل الكندي في كتابه "رسم المعمور من أقطار الأرض". ومثل ذلك يقال عن اليعقوبي وإبن الفقيه وإبن رسته. ويرى "ميلر" أن الجغرافيين العرب يمثلون المعرفة الجغرافية اليونانية- الرومانية مترجمةً إلى اللغة العربية، وأن الخرائط التي رسموها كانت منقولة عن بطليموس[1].

لكن العرب تمكنوا من تطوير عدة آلات للقياس ولهم إبتكارات جغرافية كانت ولا زالت موضع ثقة العلماء. فقد وضع العرب أصول الرسم على سطح الكرة، وقالوا بإستدارة الأرض ودورانها حول محورها، وضبطوا حركة أوج الشمس. ولعل

---

[1] عن: نقولا زيادة، الرحالة العرب، سلسلة الالف كتاب، تسلسل ٩٧، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٦: ٣٧.

قياس المأمون لحركات الأرض وطول محورها يعد أول قياس حقيقي على الكرة الأرضية، كما ورد في كتاب وفيات الأعيان لإبن خلكان. فقد أراد المأمون " أن يقف على حقيقة الرأي القائل بأن دورة كرة الأرض أربعة وعشرين ألف ميل عربي (٤٧٣٥٨٠٠٠كم)، وسأل أبناء موسى عن ذلك فأخذوا جماعة معهم ممن يوثق إلى أقوالهم فخرجوا إلى سنجار وهناك أخذوا إرتفاع القطب الشمالي ببعض الآلات وضربوا في ذلك الموضع وتداً وربطوا فيه حبلاً طويلاً ثم مشوا إلى الجهة الشمالية عن إنحراف اليمين إلى اليسار فلما فرغ الحبل نصبوا في الأرض وتداً آخر وربطوا فيه حبلاً طويلاً ومشوا إلى الجهة الشمالية كفعلهم في المرة الأولى، ولم يزل ذلك دأبهم حتى إنتهوا إلى موضع أخذوا فيه إرتفاع القطب المذكور فوجدوه قد زاد على الإرتفاع الأول درجة واحدة، فمسحوا ذلك القدر الذي قدروه من الأرض بالحبال فبلغ ٦٦,١٧ ميل(١٠٥,٨٧ كم)، ثم عادوا إلى موضع الوتد الأول وعملوا في جهة الجنوب كما عملوا في جهة الشمال فظهر لهم أن القطب الجنوبي قد نقص عن الأول درجة واحدة ، وهكذا حققوا في أرض الكون فتوافق الحسابان"[1].

ومنذ بداية القرن الرابع الهجري أصبحت المعرفة الجغرافية في خدمة متطلبات الدولة الإسلامية عسكرياً وإدارياً وإقتصادياً بعد إتساع الفتوحات وتوسع الدولة

---

[1] إبن خلكان، وفيات الأعيان، حققه احسان عباس ج١، المجلد السادس، بيروت، ١٩٧٢: ٧٩/١-٨٠.

العربية الإسلامية. وتمخض عن ذلك ظهور كتب المسالك والممالك أو كتابات الجغرافية الإقليمية، وعلى نحوٍ أدق كتب "الجغرافية البلدانية". وهي كتابات تعتمد علىّ الخبرة الشخصية من خلال الرحلات، فضعف الإهتمام بالمعلومات اليونانية وإبتعدت الجغرافيا عن النهج الرياضي، فإنقسم كتّاب الجغرافيا، في هذا العهد، إلى علماء فلك وعلماء جغرافيا.

وقد إمتدت المرحلة المذكورة إلى أوائل القرن السادس الهجري، حيث إعتمدت على الدراسة والمشاهدة والإختبار الشخصي، مما جعلها ذات ثقة عالية بالنفس فضلاً عن الكفاءة العالية، وكتّابها هم رحالة يهتمون بالعلم وعلى رأسهم إبن خرداذبه، اليعقوبي، البلخي، الإصطخري، إبن حوقل، المقدسي، المسعودي ، الإدريسي. وأدخل هؤلاء تقليداً جديداً في الجغرافيا هو إستخدام الخارطة مع المتن لتوضيح التفصيلات الواردة فيه، وبذلك طبقوا المنهج الجغرافي السليم[1].

ومما ساعد على هذا التقدم هو إتساع رقعة الدولة الإسلامية الذي يتطلب معلومات أخرى عما عرفوه سابقاً عن الدولة الجديدة بحدودها المتسعة. فلا بد من الحكماء أن يعرفوا مملكتهم وسكانها وطبيعتهم وزراعتهاوخراجها وإنتاجها الصناعي وثرواتها الأخرى وأسماء مدنها فظهر كتاب إبن خرداذبه (المسالك والممالك) وكتاب

---

[1] خصباك والمياح، مصدر سابق، ١٩٨٣ : ٦١.

قدامة بن جعفر (كتاب الخراج). وإستفاد الكتاب من وظائفهم الإدارية ومن شبكة طرق المواصلات وسيادة الأمن فيها فأخذوا يطوفون في أرجائها.

وساهم التجار في إغناء المعلومات الجغرافية حيث لعبت التجارة دوراً مهماً في تطوير المعرفة الجغرافية لرواد هذه المدرسة. وومورست التجارة منذ عهد مبكر فقد مارسها أهل قريش في مرحلة سبقت الإسلام وبخاصةً أسرة هاشم بن عبد مناف إذ كانت لديهم رحلتان: رحلة في الشتاء بإتجاه الجنوب نحو اليمن والحبشة، ورحلة في الصيف بإتجاه الشمال نحو بلاد الشام وغيرها[1]. وتطورت في العهود اللاحقة حتى وصلوا إلى الصين كما فعل إبن وهب وسليمان التاجر السيرافي الذي سبق وأن زار الهند في عام ٢٢٤هـ/ ٨٣٨ م. كما لعبت السفارات إلى جانب الأسرى دوراً آخر في توسيع نطاق المعلومات الجغرافية.

وقد صُنفت المصنفات الجغرافية بأسماء متعددة، فالمصنفات التي تبحث في مظهر الكون وتركيبه العام أُطلق عليها إسم (المصنفات الكوزموغرافية)، وهي المصنفات التي تشمل إلى جانب الجغرافيا علمي الفلك والجيولوجيا. وسُميت الكتابات الجغرافية وفق محتوياتها، فمن ذلك علم الأطوال والعروض، وعلم تقويم البلدان إذ كانت ذات محتوى فلكي. وما غلب على محتواها وصف المسالك وطرق المواصلات سُميت بعلم البرود (جمع بريد) أو علم (المسالك والممالك). وإتخذت

---

[1] حمدان عبد المجيد الكبيسي، أسواق العرب التجارية، ط١، هيئة كتابة التاريخ،بغداد، ١٩٨٩: ٦.

المصنفات الجغرافية التي تصف مجموع المناطق والبلدان إسم (علم الأقاليم)، أو (علم عجائب البلدان) أو (علم البلدان). وإذا تناولت المناخ أُطلق عليها إسم (علم الأنواء)، والتي تطرقت إلى الجغرافية الفلكية سُميت بـ(علم الهيئة). وإستخدموا مصطلح (صورة الأرض) قاصدين به (الجغرافية الحالية)[1].

ومن متطلبات الدولة الجديدة، بعد توسعها، أن يكون لها بريد منظم وهو ما قامت به الدولة في العهد الأموي حيث خضع هذا البريد لتنظيم جيد وإستدعى إعداد رسوم تخطيطية لمختلف الطرق وُجدت في دواوين الحكومة. ونُصبت إلى جانب الطرق حجارة لتوضيح المسافات (بالأميال) وكانت تبدأ من مركز الخلافة. وعُثر على بعض هذه الحجارة بفلسطين في عهد عبد الملك بن مروان (أي قبل سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥ م)، وموضع آخر في تفليس يرقى إلى العصر نفسه، مما يشير إلى تقدم الجغرافية الفلكية خلال هذه الحقبة من الزمن[2].

إن وجود جهاز البريد وما يرافقه من مدّ شبكة من الطرق ووسائل المواصلات يمهد عادةً لتأسيس الإمبراطوريات الكبرى. وهذا يولد دافعاً لظهور كتب عدة تعالج

---

(1) محمد عرب الموسوي، ٣٩٦٣-
https;//tegnelogi.blogspot.com/2011/12/blog_spot

(2) كراتشكوفسكي، مصدر سابق: ١/ ٦١.

هذه الناحية ويطلق عليها إسم (المسالك والممالك)، وظهرت مصنفات تحمل هذا العنوان لإبن خرداذبه والإصطخري وإبن حوقل.

وبإنتشار الإسلام وقيام إمبراطورية مترامية الأطراف كان لا بدّ من الإلمام بالطرق التي تربط هذه الإمبراطورية. وبمعرفة المسافات التي تفصل بين المدن الرئيسة وبين الأقطار المختلفة. وممّاحفّز المسلمين وإهتمامهم بالجغرافيا ورسم الخرائط هو فريضة الحج التي تتطلب معرفة بالطرق المؤدية إلى مكة.

إتضح مما تقدم أن النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إهتم بالترجمة وركز على الفلك، في حين أصبح القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) يمثل مرحلة النضج للجغرافية العربية وإستمر لغاية القرن السادس الهجري(الثاني عشر الميلادي). يمكن تلمّس ثلاثة إتجاهات فيما خلّفه كتّاب هذه المرحلة خلال القرون الثلاثة المذكورة: أولها عناية شديدة بأقاليم العالم الإسلامي والأقطار المجاورة، كما يظهر في مصنّفات البلخي والإصطخري وإبن حوقل والمقدسي، وثانيها ظهور نوع من التخصص في قطر واحد. فقد كتب الهمداني كتابه (صفة جزيرة العرب)، وكتب البيروني كتابه (الهند). وترك إبن فضلان وصفاً لبلغاريي الفولغا، إذ زار بلادهم ضمن وفد الخليفة المقتدر سنة ٣١٠هـ/ ٩٢١ م. أما الإتجاه الثالث فظهر من خلال كثرة المعاجم الجغرافية التي وَجدت طريقها إلى المكتبة الجغرافية أي منذ

القرن الخامس الهجري، كما هو عند البكري في كتابه (معجم ما إستعجم) وعند ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان).

وتمتاز خرائط هذه المرحلة التي رسمها هؤلاء الجغرافيون أنها "كانت إنتاجاً عربياً خالصاً كما يقول (ميلر) الذي أحصى ٢٧٥ خريطة للعالم الإسلامي تعود إلى ذلك العصر عدا خرائط الإدريسي. وأصبحت الكتب الجغرافية تعتمد على المشاهدة الشخصية والحس الجغرافي. وعني الجغرافيون العرب بالمسالك والطرق والمسافات لعلاقتها بالرحلة والتجارة والبريد حيث كانت تستعمل عندهم الفراسخ والأميال للقياس (حيث يعادل الفرسخ ثلاثة أميال والميل يقل عن الكيلومتر الواحد). ويستعملون للمسافات الطويلة وحدة للسير هي (اليوم)، فسوريا مثلاً طولها ٢٥ يوماً[1].

ومن النادر أن نجد إحصاءات وأرقاماً عن عدد السكان وعن الزراعة والصناعة، غير أن إحصاءات الخراج التي قام بها قدامة بن جعفر عن السواد مأخوذة من القيود الرسمية لسنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩ م وهو يذكرها بالحنطة والشعير والدراهم.

وخلال القرن السابع وأوائل القرن الثامن الميلادي أصبحت بلاد الإسلام مهيأة لقيام إمبراطورية عربية إسلامية إمتدت من آسيا الوسطى إلى شبه جزيرة إيبيريا عمّت فيها المعارف والتجارة والإقتصاد، فدعيت هذه المرحلة بعصر الإسلام الذهبي

---

[1] نقولا زيادة، مصدر سابق: ٣٨-٣٩.

حيث أُنشيء أول نظام إقتصادي عالمي، وتوسعت الشبكة التجارية من المحيط الأطلسي والبحر المتوسط في الغرب إلى المحيط الهندي والبحر الصيني في الشرق في معظم قارات آسيا وأفريقيا وأوربا. كما وصلوا إلى كوريا واليابان ومضيق بيرنغ، وإنتشرت القطع النقدية والدرهم العربي في جميع أنحاء العالم: جنوباً من الصحراء الأفريقية الكبرى، وشمالاً حتى شمال أوربا مقابل بيع السلع وتجارة العبيد[1].

وساعدت هذه العوامل في إقامة إمبراطورية عربية واسعة إبتداءً بعهد الراشدين وإستمراراً في عهد الأمويين والعباسيين والفاطميين بإعتبارها القوة الإقتصادية الرائدة.

وبعد أن إكتملت الفتوحات الإسلامية أصبحت أراضيها تنعم بالأمان الذي أتاح لسكانها السفر والتجول في تلك الأراضي دون خوف أو قلق. وترك لها البيروني وصفاً بعد أن تجوّل في الصين والهند والمغرب وإسبانيا والحبشة، ووصف إبن وهب العاصمة الصينية ورحلاته البحرية إليها من البصرة، وإرتحل إبن فضلان من بغداد إلى إحدى المدن الروسية. كما سافر إبن جبير من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه، وإبن بطوطة الذي سافر من طنجة إلى جزر المالديف مروراً بالهند والصين وإيران والعراق

---

[1] الجغرافيا في عصر الحضارة الإسلامية، مصدر سابق: نت.

وبلاد الشام وشمال أفريقيا. فضلاً عن المقدسي الذي رسم أول خريطة ملونة في العالم، وكتب في حقول الجغرافيا كلها لكثرة ترحاله[1].

وكان لهذه الأسفار أثرها الكبير في توثيق التجارب وتأكيد المعارف. وبالتالي فقد عمّت الجغرافيا التي أكد عليها المسلمون، خلال أسفارهم، على العالم بالنفع حيث صححت المعلومات الخاطئة التي كانت موجودة عند اليونانيين وباتت مرجعاً اكثر موثوقية من سواها لعدة قرون.

وقد طور العلماء العرب المسلمون أدواتهم الملاحية ومنها الإسطرلاب وإستعانوا بعلم الفلك وقراءة النجوم مما أعانهم على تحديد خطوط الطول ودوائر العرض بدقة أكبر وآمنوا بكروية الأرض، وابدع إبن حزم (١٠٦٩م/ ٤٦٢هـ) والإدريسي في إثبات كرويتها، وقال إبن الجوزي (١٠٢١م/ ٤١٢هـ) وإبن تيمية (١٣٢٨م/ ٧٢٩هـ) أنها مستديرة كبقية الأجرام السماوية وأنها تدور في الفضاء وإستشهد إبن تيمية بقوله تعالى " وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كلٍ في فلكٍ يسبحون". وكلمة الفلك تعني الدوران كالعجلة[2].

وبذلك وضع المسلمون أسس الكشوف الجغرافية التي إعتمد عليها الأوربيون في الدوران حول الأرض. وكان لنفوذهم في الملاحة والفلك وحساب المثلثات خير

---

[1] شهيرة دعدوع مصدر سابق: نت.

[2] الجغرافيا في عصر الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، نت.

معين لحركة الكشوف التي أسفرت عن إكتشاف العالم الجديد وساعدت على معرفة سواحل القارات.

وفي أواخر هذه المرحلة أخذت الجغرافيا تميل إلى الجمع والإقتباس من مؤلفات السابقين مع تنوع الأنماط الجغرافية إلّا أن التركيز فيها كان يقع على المعاجم والموسوعات والرحلات. وكانت المعاجم والموسوعات سمة هذه المرحلة وتخدم أهداف طبقة معينة من الأمراء والحكام المتنورين، فضلاً عن إشباع رغبة طبقة من الأغنياء المثقفين. وكانت المؤلفات ذات فائدة عملية واضحة بالنسبة لرجال الإدارة، وذات فائدة كبرى للباحثين عن المعرفة لأنها كانت تعالج نواحي الثقافة في ذلك العصر. ومن أبرز تلك المؤلفات (معجم البلدان) لياقوت الحموي و(نهاية الأرب) للنويري و(مسالك الأبصار) لإبن فضل الله العمري و(صبح الأعشى) للقلقشندي، وهي تحوي معلومات جغرافية عامة وسياسية عن الدول الإسلامية وغيرها من الدول.

وإزدهرت الرحلات في هذه المرحلة ولكنها أصبحت ذات طابع أدبي وذات صفة إخبارية سطحية تختلف عن المرحلة القديمة. ولعب العامل الديني دوراً رئيساً في تشجيع هذا النمط من الكتابة الجغرافية. وكان دافع أغلب كتّاب الرحلات هو الحج إلى بيت الله الحرام في مكة. وخلال هذه الرحلات يدوّن هؤلاء مشاهداتهم للأماكن الدينية والمزارات والمساجد. ووردت معلومات جغرافية وإقتصادية وبشرية

وإثنولوجية عرضاً غير أن رحلة إبن بطوطة تفوقت عليها وتضمنت معلومات عن آسيا الوسطى وما جاورها. وإشتهرت ايضاً رحلة العبدري والهروي. وبرز رحالة مشهورون في العهد المغولي مثل عبد الرزاق، وفي العهد العثماني مثل أولياجلبي صاحب كتاب (سياحتنامه).

ومنذ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بدأت شمس الجغرافيا بالأفول ولم تظهر سوى المصنفات الجغرافية الملاحية أو البحرية وأبرز كتّابها إبن ماجد في كتابه المعروف (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد) والذي إشتمل على إثنتي عشرة فائدة تناولت الجانب النظري والعملي لفن الملاحة. وكذلك سليمان المهري الذي إشتهر بكتاب (العمدة المهرية)، وهو من الكتب الملاحية المهمة.

وساد في هذه المرحلة إتجاه جديد هو الإتجاه الكوزموغرافي ويمثله الغرناطي في كتابه (تحفة الألباب ونخبة الإعجاب)، والقزويني في كتابه (أخبار البلاد وآثار العباد)، والدمشقي في كتابه (عجائب الدهر). وقد مزج هذا الإتجاه بين العلم والخرافة والأسطورة فتحولت كتاباتهم إلى ما يشبه الحكايات والقصص لآراء مجموعة ضحلة من القراء من ذوي الثقافة البسيطة[1].

---

[1] شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، مصدر سابق: ١٣.

وفي القرن السادس عشر الميلادي برزت الدولتان العثمانية والفارسية فإضمحلت الجغرافية العربية وبدأت تظهر مؤلفات باللغتين التركية والفارسية، مع الإستمرار في ظهور بعض المؤلفات باللغة العربية.

عوامل إزدهار المعرفة الجغرافية في العصور الوسطى عند العرب

العوامل الطبيعية

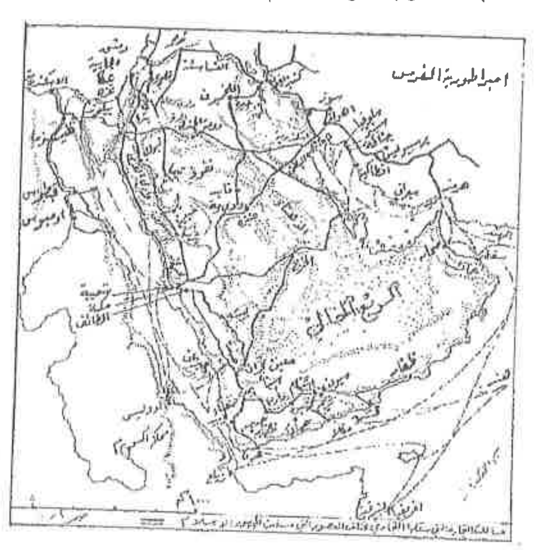
١. الموقع الجغرافي: تقع المنطقة العربية في وسط العالم وفي ملتقى القارات القديمة الثلاث (آسيا، أوربا، أفريقيا) بعضها ببعضٍ، يكملها إرتباط المحيط الأطلسي بالهندي. وبهذا لعب الموقع الجغرافي دوراً خطيراً في عالم التجارة بين أوربا في الغرب وآسيا في الشرق. مما جعل الحضارة الإسلامية غير منعزلة بل دائمة الإحتكاك بالحضارات الأخرى في الشرق والغرب فتتبادل معها المعارف والخبرات. كما كان هذا الموقع مهد الديانات السماوية الثلاث ومنه خرجت إلى العالم الغربي والعالم الشرقي، وكانت موطناً لكثير من الحضارات القديمة.

٢. تنوّع الظاهرات التضاريسية من هضاب وجبال وسهول وأودية وأنهار وسماء صافية ساعد على تنوع المعرفة الجغرافية عند المسلمين والذي يزيد فيه إتساع مساحة الدولة الإسلامية.

٣. تنوع المناخ وإرتفاع درجات الحرارة في بعض الجهات يقابله إعتدال الجو في جهات أخرى، وبرودة الشتاء في مناطق غيرها، مما أدى إلى تنوع المحاصيل وساعد في التبادل التجاري كرحلة الشتاء لليمن، والصيف للشام.

الشكل (١)

بلاد العرب قبل الإسلام وطرق التجارة العالمية



المصدر: عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، المطبعة العلمية، دار الفكر، دمشق،١٩٩٥، ص٣٣.

العوامل البشرية

١. أثر الدين الإسلامي: يعد القرآن الكريم من أهم العوامل التي ساعدت على إزدهار المعرفة الجغرافية عند المسلمين. فالقرآن الكريم أورد معلومات جغرافية لم يكن العرب يعرفونها من قبل. وأن القرآن قد أثار الإهتمام بالجغرافيا في كثيرٍ من آياته التي تحثنا على التأمل والتفكير في خلق السماوات والأرض، وتدعونا إلى النظر في مخلوقات الله وما سخّره لنا من نجوم وكواكب ورياح وأمطار تقودنا إلى الإعتقاد بمقدرة الله على كل شيءٍ، وأنه أتقن كل شيءٍ خلقه.كذلك ترتبط عبادات كثيرة في الإسلام بتحديد الأوقات مثل الصلاة والصوم، وتحديد الإتجاهات في الصلاة التي تتطلب معرفة الإتجاهات الأصلية لتحديد القبلة. ما دفع المسلمين إلى إبتكار وتحسين الوسائل والأجهزة المتنوعة اللازمة لذلك. كما ساعد الحج على تلاقي الشعوب الإسلامية وتبادل المعرفة الجغرافية. كذلك ساعد في تطور الجانب الفلكي من الجغرافيا فسجلوا المواقع الفلكية لكثير من البلدان بدقة، واعدّوا الساعات الشمسية لتحديد أوقات الصلاة ومراقبة القمر لتحديد بداية ونهاية شهر رمضان، وساعدهم في ذلك قلة السحب وصفاء السماء.

٢. اللغة العربية وإنتشارها في كثيرٍ من الأقطار التي فتحها المسلمون الذين أخذوا في كل قطرٍ وجنسٍ يستخدمونها في التأليف، وجعل اللغة العربية هي اللغة

الرسمية في الدواوين والتعامل. فكانت وسيلة إتصال وتفاهم ومعرفة الشعائر الدينية.

٣. حركة الفتوح الإسلامية وإتساع مساحة الدولة الإسلامية وما تطلب ذلك من إنشاء جهاز البريد، ومدّ شبكة الطرق والمواصلات فأدت إلى ظهور كتب عديدة تعالج المسالك والممالك مثل كتب إبن خرداذبه والإصطخري وإبن حوقل وغيرهم.

٤. الرحلات وزيارة الأقطار المختلفة، حيث نشط بعض الرحالة المسلمين للبحث عن الأماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، أو من أجل الحج حيث ذكر كثيرٌ من الرحالة، أمثال إبن جبير وإبن بطوطة والتيجاني وغيرهم أن هدفهم الأساس في بداية رحلاتهم كان حج بيت الله الحرام، أو من أجل طلب العلم الذي كان ظاهرة مألوفة منذ ظهور الإسلام. فقد روى البخاري في القرن الثالث الهجري أن جابر بن عبد الله رحل مسيرة (شهر) إلى عبد الله بن أنيس في طلب حديث. وقد ساعد على مثل تلك الرحلات تفرق الصحابة والعلماء في أقطار العالم الإسلامي وكانوا بطبيعة الحال يتعرفون على جغرافية البلاد التي يمرون بها فيصفون المسالك والدروب وعادات الناس وأخلاقهم.

٥. الخلفية التجارية القديمة حيث إزدهر النشاط التجاري منذ القدم، فقد إشتهر العرب في الماضي والماضي البعيد برحلتي الشتاء والصيف، ومع إتساع الدولة الإسلامية وإمتداد أجزاءها، إتسع إنتقال التجار بين المغرب والمشرق ناقلين السلع، ما

أضاف إليهم الكثير من المعرفة الجغرافية لاسيما وأن التاجر كان يتمتع بإحترام كبير وبمركز إجتماعي مرموق.

٦. تشجيع الخلفاء والمترجمين وإنشاء بيت الحكمة أيام الرشيد في القرن الثاني الهجري. فقد ضمَّ بيت الحكمة في رحاب أخوة البحث العلمي والترجمة علماء من كل الأقوام، ومنهم النصارى واليهود دون تعصب وتحيز وكانوا يكافأون بوزنٍ ما يترجمون ذهباً.

٧. كان المسلمون يتصفون بقدرة عظيمة على الملاحظة والتحقيق وكان لديهم فضول علمي وحب إستطلاع ومعرفة، ما أدى إلى إزدهار المعرفة الجغرافية لديهم، فساهم العديد من العلماء في تطور الملاحظة الجغرافية وتنميتها مثل الخوارزمي وأبو زيد البلخي والبيروني وإبن سينا، وبلغت الجغرافيا أوجها في زمن الإدريسي في القرن الثاني عشر الميلادي[1].

---

[1] المصدر الرئيس لموضوع العوامل السابقة هو: عبد الفتاح محمد وهيبه، جغرافية العرب في العصور الوسطى، الموسم الثقافي لسنة ١٩٦٠: ٤٦-٤٩، وشريفة محمد النوفل، منتدى الجغرافيين العرب، أنظر الموقع: https;/www.arabgeographers..net/vb/threads/arab/10988 /

الجغرافيون العرب حتى القرن الثالث عشر الهجري

الفصل الثاني

الجغرافية الإقليمية العربية وما يرتبط بها من تخصصات

مناهجها:

تتمثل الجغرافية الإقليمية في المصنفات التي إتخذت المنهج الوصفي أساساً لها، ويطلق عليها إسم (الجغرافية البلدانية) وتغلب عليها المعاجم الجغرافية وكتب الرحلات. وفيها يأتي أبرز منهجين لهذا التخصص من الجغرافية العربية:

١. المنهج الفلكي (المدرسة اليونانية): كان اليونان والرومان (بحسب مدرسة بطليموس) يقسمون المعمور من الأرض إلى سبعة أقاليم في صورة نطاقات تمتد من أقصى الشرق إلى اقصى الغرب بدءاً من دائرة عرض ١٦ درجة جنوباً، وهو بداية الإقليم الأول إلى دائرة عرض ٦٣ درجة شمالاً، وهو ما وراء الإقليم السابع.

وبحسب التحديد الفلكي كلما تقدمنا إلى الشمال زادت ساعات النهار صيفاً أو ساعات الليل شتاءً بفرق نصف ساعة بين إقليم وآخر. فنهاية الإقليم الأول حيث يبلغ أطول ساعات النهار ١٣,٢٥ ساعة، ونهاية الإقليم الثاني ١٣,٧٥ ساعة، وهكذا إلى نهاية الإقليم السابع حيث يبلغ أطول نهار فيه فيصل إلى ١٦,٢٥ ساعة[1].

---

[1] إبراهيم شوكة، خرائط جغرافيي العرب، مجلة الاستاذ، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٠/ ١٩٦٢: ٤٢-٤٣.

٢. المنهج الوصفي (المدرسة العربية): يتمثل هذا المنهج في أعمال مجموعة من أعلام الجغرافيين العرب إعتباراً من القرن الثالث الهجري أبرزهم الإصطخري ، إبن حوقل ، المقدسي. وإختلف تقسيم هؤلاء للمعمور عن أتباع المنهج اليوناني. فالإقليم عندهم منطقة متجانسة لها خصائصها الطبيعية والبشرية. وقد إحتوت كتب جغرافيي هذا المنهج على ٢١ خارطة تمثل الأقاليم المذكورة.

يبدأ أولها خريطة العالم المستديرة، تليها خارطات جزيرة العرب وبحر فارس والمغرب ومصر والشام وبحر الروم، ثم ١٤ خارطة تمثل الأجزاء الوسطى والشرقية للعالم الإسلامي (وهي الجزيرة والعراق وخوزستان وفارس وكرمان والسند وأرمينيا (ومعها الزان وأذربيجان أيضاً)، والجبال وجيلان (ومعها طبرستان) وبحر الخزر وصحراء فارس وسجستان وخراسان وما وراء النهر[1].

أقاليم بطليموس في خريطة الهمداني:

وصف أبو محمد الهمداني أقاليم بطليموس قائلاً:" أما بطليموس وقدماء اليونانيين فقد رأوا أن طباع الأقاليم وجبلتها لا تكون إلّا طرائق من المشرق إلى المغرب متجاورةً بعضها إلى بعضٍ، من خط الإستواء إلى حيث يقع القطب الشمالي

---

[1] عبد الله يوسف الغنيم، نظرات في تحقيق النصوص الجغرافية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.
أنظر الموقع على النت: https://al-furqan.com/ar/

خمسين درجة وهو ضعف الميل وزيادة جزءين وكسر، وقد عرض كل إقليم منها وساعات نهاره الأطول على وسطه دون طرفيه"[1].

وتظل أقاليم بطليموس تُبرز مآخذ المعايير الأحادية، فالموقع الفلكي لا يبرز واقع معدلات درجة الحرارة التي تختلف معدلاتها تبعاً لمتغيرات عديدة تعمل على تباينها. وهذه الحقيقة سبق وأن أشار إليها المسعودي قبل أن تثبتها الحقائق العلمية حديثاً حيث قال: "... إنَّ أصناف إختلاف البلدان أربعة، أولها النواحي والثاني الارتفاع والإنخفاض والثالث مجاورة الجبال والبحار.

والرابع طبيعة تربة الأرض"[2]. ومثل هذه الملاحظات ذكرها الإدريسي أيضاً ولكنه يكتفي بذكر واقع الإختلاف دون ذكر أسبابه[3].

وبهذا فإن بطليموس عرض جغرافية خطية أحدثت الأقاليم ومثّلت الكرة الأرضية تمثيلاً حدد فيه الأماكن بدرجات عرضها وطولها وإرتفاعها. ويرتبط نظامها

---

[1] الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد النجدي، مطبعة السعادة، ١٩٥٣: ٦-٧، ليدن، ١٨٣٨.

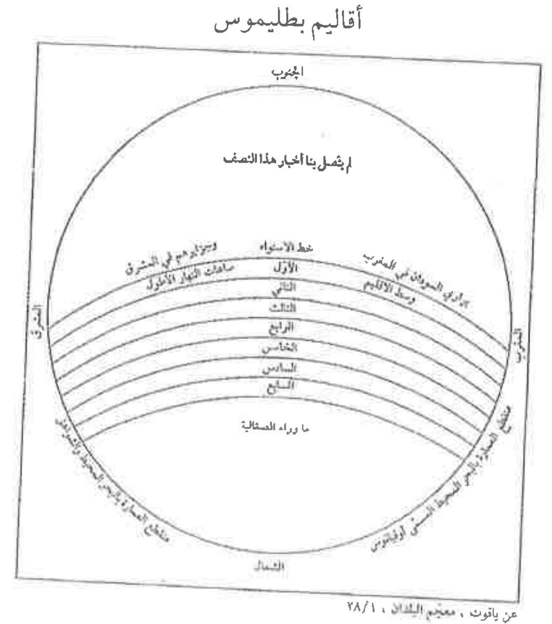
[2] المسعودي، التنبيه والإشراف، بعناية عبد الله إسماعيل الصاوي، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، (د. ت.): ٤٢.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، منشورات معهد الدراسات الشرقية، بريل، ليدن، ١٩٧٠: ١/ ٩.

الأرضي بتأثير أحد الكواكب السبعة. وعلى هذا الأساس طرح بطليموس منذ البداية توزيع الأقاليم "توزيعاً رياضياً تحتل فيه المجموعات البشرية مكاناً خاصاً بها... "[1].

الشكل (٢)

أقاليم بطليموس



عن ياقوت ، معجم البلدان ، ١/٢٨

المصدر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٥-١٩٥٧، ١/٢٨.

إن فكرة توزيع مراكز المدن في صفوف متوازية تبعاً لحجمها والوظيفة التي تؤديها للأقاليم المحيطة بها، وطبيعة العلاقات التجارية المحلية السائدة فيها لم تنل

---

[1] أندريه ميكيل، جغرافية دار الإسلام البشرية، القسم الاول، ترجمة إبراهيم خوري، دمشق، ١٩٨٣: ١/١٦٦.

عناية طلاب الجغرافيا إلّا بعد أن إنصرم الثلث الاول من القرن العشرين، وبقيت دراسة المقدسي فريدة في نوعها حتى ذلك التاريخ. وفيما يخص العراق جعل المقدسي خريطته تتكون من ست كور هي: الكوفة، البصرة، واسط، بغداد، حلوان، سامراء[1].

وفي عام ١٩٣٣ وضع الجغرافي الالماني (ولتر كرستالر) نظرية لها شبه كبير بل وتتطابق مع أفكار وضعها الجغرافي العربي المقدسي قبل ما يزيد على ألف عام، اصبحت منطلقاً لدراسات عديدة في جغرافية المدن بل ومادة أساسية يدرسها طلاب هذا الموضوع[2].

وقد تحدّثت المصنفات الجغرافية وبضمنها المعاجم الجغرافية عن أسس إختيار المواضع التي تقام عليها المدن من حيث توفر المياه، وملائمة الهواء وإرتفاع المكان. ولإبن خلدون آراء في سبب نشأة المدن، وأفضل البقاع لإقامتها، واسباب خرابها وذلك لعدم مراعاتهم لحسن الإختيار في إختطاط المدن حيث لم تكن في وسط الأمم فيعمرها الناس. فلمّا إختطوا الكوفة والبصرة والقيروان لم يراعوا سوى مراعي إبلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن، فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن، فلم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم.

---

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم، مصدر سابق: ١١٤.

[2] علي المياح، العرب والمحيط الهندي، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٩: ١/ ٢٤٩-٢٥٠.

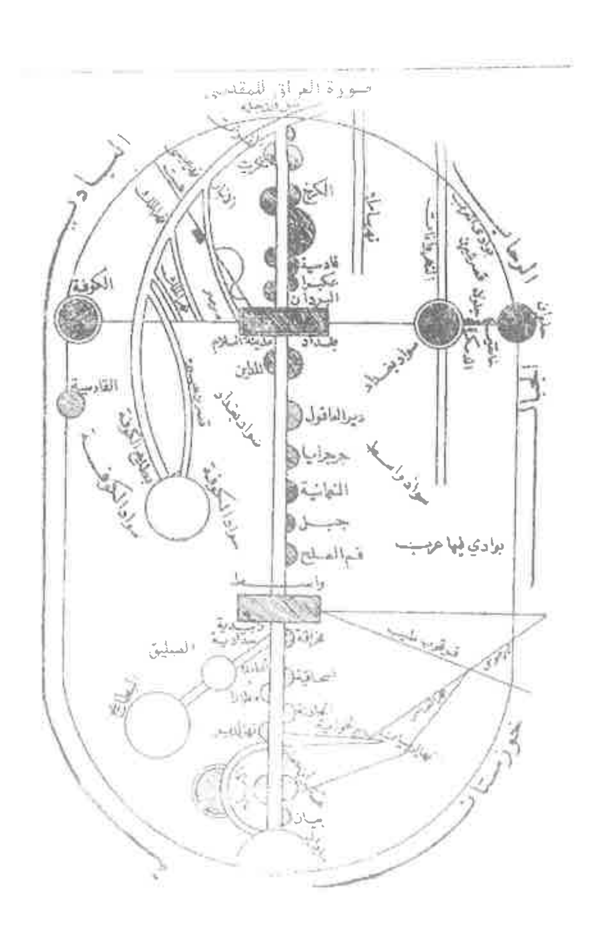
ويأخذ العمران عند إبن خلدون خصوصية مفهومية تذهب إلى دراسة الإجتماع البشري الذي يعده حاجة إنسانية لا مناص منها، والإنسان مدني بالطبع، أي لابد له من الإجتماع الذي هو المدينة، وهو معنى العمران. ويتشكل هذا العمران، كما يراه إبن خلدون، في مرحلتين: الأولى هي العمران البدوي في الضواحي والجبال، والمرحلة الثانية هي العمران الحضري في الأمصار والمدن[1].

وتناول عدد من القدماء المدن وسكانها وطباعها مثل إخوان الصفا، ففي كل إقليم من الأقاليم السبعة آلاف من المدن. وقل الشيء ذاته عن القزويني في كتابه "المواعظ والإعتبار" حيث يوجد عدد من المدن التي تُجلب منها بضائع معينة تشتهر بها تلك المدن مثل عود المَنْدل في الهند. وإقتصر كتاب "الإفادة" لعبد اللطيف البغدادي (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م) على مدن مصر وبيان سكانها وحيواناتها وأطعمتها.

[1] مقدمة إبن خلدون، مطبعة مصطفى محمد، منشورات المكتبة التجارية، (د. ت.): ٤١.

الشكل (٣)

صورة العراق للمقدسي (٣٣٦- ٣٨٠هـ)



المصدر: أحمد سوسة، العراق في الخوارط القديمة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩، خارطة (٢٣).

الجغرافية الإقليمية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين):

يعد إبن خرداذبه أول مؤلفٍ يصلنا عنه مصنف في الجغرافية الإقليمية (الوصفية) وهو الذي يحمل عنوان (المسالك والممالك). وكان إبن خرداذبه مقرباً من بلاط الخليفة المعتمد (٢٥٦- ٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م) بسامراء وشغل وظيفة صاحب البريد بنواحي الجبال بإيران، وإستغرق تأليف كتابه المذكور وقتاً طويلاً.

يبدأ الكتاب من محيط الجغرافية الرياضية خاصةً وصف شكل الأرض كما لدى بطليموس، ثم يتكلم عن إتجاه القبلة بالنسبة لكل بلد ويكرس قسماً كبيراً من كتابه على سواد العراق وتقسيمه الإداري وأنواع الضرائب التي تُجبى منه. وفي ضوء هذه التفاصيل يمكن وضع ميزانية الدولة لذلك العهد كما فعل (كريمر).

والقسم الرئيس من الكتاب يصف فيه الطرق بدرجات متفاوتة في تفاصيلها، فيبدأ بالطرق التي تخرج من بغداد شمالاً إلى آسيا الوسطى (اذربيجان والقوقاز) وجنوباً بإتجاه الهند مع ملاحظات عن التقسيم الإداري والخراج. كما يصف الطريق البحري إلى الهند والصين، وإهتم بمحصولات البحار والجزر وحيواناتها، وكيفية الحصول على الكافور. وتحدّث أيضاً عن البوذية لدى ملك جاوه وعن الطبقات في الهند. ومن بغداد إتجه إلى الجنوب الشرقي نحو مكة والمدينة وجنوب الجزيرة العربية. ويختتم هذا القسم بالكلام على طريقين مهمين كان يسلكهما التجار اليهود من أوربا

إلى الهند والصين، أحدهما يمر بالسويس والبحر الأحمر والآخر يمر بأنطاكيا إلى الفرات. كذلك يصف طريق التجار الروس إلى الجنوب والذي يمر بنهري الدون والفولغا ثم يعبر بحر قزوين متجهاً صوب الجنوب إلى تركيا.

ويفتقر الكتاب إلى التبويب، وقد ساعدت الرحلات على توفير مادة مفيدة لوصف الطرق. وكان له تأثير كبير على الأدب الجغرافي في العهود التالية، فأخذ عنه عدد من المؤلفين أمثال اليعقوبي وإبن رسته وإبن حوقل والمقدسي والجيهاني والمسعودي.

وإلى طبقة موظفي الدولة ينتمي مؤلف معاصر له إلى هذا المنهج في الجغرافيا وهو اليعقوبي الذي يرجع تاريخ تأليف كتابه إلى حوالي سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١ م، أي قبل قليل من وفاته في سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧ م(أو ٢٩٢هـ/ ٩٠٥ م). وقد إهتم بأخبار البلدان، وتحديد المسافة ما بين بلد وآخر، وسافر حديث السن. وكان يسأل عن اي مسافر يلقاه عن بلده وزروعه وخراجه وساكنيه وطبيعة أرضه.

ويعد تقسيم اليعقوبي على أساس الولايات نزعة تجديدية، ونالت إهتمامه طرق المواصلات وكذلك الجانب الإحصائي الطوبوغرافي. وكان يولي عناية كبيرة للخراج، فضلاً عن عنايته بالإثنوغرافيا والصناعة والفنون. وإعترف عدد من الباحثين بأمانة اليعقوبي العلمية وتفرده بمعلومات وافية لا توجد في المصادر الأخرى. ويمثل وصفه للخطط التاريخية لبغداد وسامراء أهمية منقطعة النظير، كما ترك وصفاً لأفريقيا قبل

إنفصالها عن بقية الخلافة الإسلامية على يد الفاطميين، وترك أخباراً قيّمة عن الأندلس.

أما البلاذري فيغلب على كتاباته جانب الجغرافية التاريخية، فقد ركزّ في كتابه "فتوح البلدان" على الشام والجزيرة وأرمينيا ومصر والمغرب والعراق وفارس حيث ذكر فيها الخراج والسكة وتاريخ الكتابة العربية. وقليلاً ما يشير إلى مصادر مكتوبة لكنه يتطرق إلى (كتاب البلدان) لإبن الفقيه الهمداني الذي تم تأليف كتابه إلى حوالي عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م، وهو من همدان من إيران. ومؤلّفه هذا كان بالأصل ضخم الحجم ويشتمل على خمسة أجزاء في حوالي ألفي صفحة على ما يقال.

ومن المؤلفين الآخرين قدامة بن جعفر وله كتاب "الخراج وصفة الكتابة" الذي تم تأليفه في عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م لوصف طرق البريد والولايات مع إيراد معلومات مهمة عن تقسيم الأراضي وجباية الخراج. وفي النصف الثاني من القرن التاسع يوجد نوع مستقل من مصنفات الوصف الطوبوغرافي الذي أُطلق عليه إسم (الخطط)، أي وصف الأحياء والنواحي كما هو عند إبن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ/ ٨٧١ م) في كتابه "فتوح مصر" ويقع في خمسة أبواب الثالث منها يصف الفسطاط والجيزة والإسكندرية أمثال المقريزي والسيوطي وتعداه إلى غير مصر مثل ياقوت.

وقد شقت الجغرافية الإقليمية لنفسها طريقاً إلى المغرب كما في القرن العاشر ويمثلها محمد بن يوسف الوراق (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣ م) الذي عاش في القيروان وقرطبة وأفرد لوصف المغرب كتاباً سماه (المسالك والممالك) يدين له البكري لإعتماده عليه.

ومن مؤلفي هذه المرحلة البارزين الحسن بن أحمد الهمداني وكتابه "صفة جزيرة العرب" والذي عدّه (سبرنجر) Sprenger، إلى جانب كتاب المقدسي، أقيَّم ما أنتجه العرب في الجغرافيا.وهو من قبيلة هَمْدان في اليمن، وجرى الخلط بينه وبين إبن الفقيه الهَمَداني (أو الهمذاني) الذي أخذ نسبته من مدينة هَمَدان الإيرانية (بتسكين الميم القبيلة، وبفتحها المدينة). والهمداني ولِد ونشأ في مدينة صنعاء، وزار مكة وتوفي في عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م بسجن صنعاء الذي وُضع فيه بسبب دسائس أعدائه. ويقع مصنفه (الإكليل) في عشرة أجزاء، دليلاً على سعة معلوماته بالتاريخ وسكان جنوب جزيرة العرب القدماء وقام بوصفها، وله معرفة تامة بالجغرافية الفلكية الرياضية. ويعتمد وصفه لليمن على الملاحظة الشخصية مع الإفادة من المادة الأدبية التي خلّفها السابقون. أما وصف بقية الجزيرة العربية فيعتمد فيه أساساً على الرحالة والحجاج الذاهبين إلى مكة.

وبدأ الهمداني في كتابه بمقدمة رياضية جغرافية وافية يذكر فيها المذاهب المختلفة لتحديد الأطوال والعروض وتوزيع الأقاليم. فضلاً عن وصف جزيرة

العرب، وينقسم كتابه إلى خمسة أبواب رئيسة لوصف تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن وبضمنها إشارة طفيفة عن حضرموت. وقد أشاد الرحالة (مالتزان) Maltzan بكتاب الهمداني الذي يمتاز على جميع مصنفات القرنين التاسع والعاشر للميلاد ولا يبزّه في القرن العاشر إلّا أثر واحد ذلكم هو كتاب (الهند) للبيروني[1].

أساليب دراسة الجغرافية الإقليمية وأمثلة لمصنفاتها وتقسيمات مؤلفيها للأقاليم:

إتّبع العرب المسلمون في تناولهم للجغرافية الإقليمية (جغرافية البلدان) إسلوب المشاهدة والزيارات الميدانية لمعظم الأقاليم والبلدان التي تحدّثوا عنها لاسيما الرعيل الأول منهم حيث وصفوا الأقاليم والمدن والشعوب وأديانها وعاداتها ودراسة مسالكها وطرق مواصلاتها التي تربط بين المدن والأبعاد فيما بينها، وما يفصل فيما بينها من أنهار وبحار وبحيرات وجبال.

ولم تكن المصنفات الإقليمية في بداية الأمر متخصصة وكان وصفها للمناطق البعيدة مقتضباً لكنها تركت لنا آداباً على درجة كبيرة من الدقة عن قلب العالم الإسلامي، وتقل هذه الدقة وتضعف كلما إبتعدنا إلى أطرافه في آسيا وأفريقيا.

---

[1] تمَّ تلخيص الجغرافية الإقليمية السابق ذكرها إعتماداً على: كراتشكوفسكي، مصدر سابق: ١/ ١٥٥-١٧١.

وبحلول القرن الرابع الهجري تنوعت كتابات الجغرافيين وأخذوا يهتمون بالمعالم الطبيعية والأحوال الإقتصادية والإجتماعية للشعوب التي يزورونها. وأفضل ما يمثل هذه الحقبة مصنفات الإصطخري وإبن حوقل والمقدسي والهمداني. وبدأت هذه المصنفات بتغطية جزيرة العرب حيث شملت مدنها وبلدانها المشهورة وبواديها وصحاريها ومضارب العرب فيها. وحصلتْ نقلة في تأليف الكتب الإقليمية التي كانت مقتصرة على جزيرة العرب إلى العالمية التي تمّت على يد الخوارزمي في كتابه "صورة الأرض". فظهرت في الجغرافية الإقليمية مصنفات تحمل عنوان "المسالك والممالك"، وأول من صنّف فيها هو جعفر بن أحمد المروزي (٣٦٣هـ/ ٩٧٣ م)، والمهلبي (٣٦٨هـ/ ٩٧٨ م). ومعظم هذه المؤلفات إستهدفت خدمة أغراض الإداريين والحكام والتجار وعمال الدواوين لتبصرهم بالأمصار الإسلامية والطرق المؤدية إليها[١].

ومنذ بداية القرن الرابع الهجري أخذ الإقليم يتخذ مفهوماً جديداً أُطلق على من سار وفق منهجه إسم (الجغرافيون الإقليميون)، وكانت تقاسيمهم مختلفة. فقسّم الإصطخري الأقاليم وفق طبيعة الإقليم ولا يقبل التقسيم الإداري الذي دعت إليه ظروف غير جغرافية، فهو يجعل المنطقة وحدة غير مجزأة إلّا إذا جزّأتها الطبيعة. وأحياناً يقسِّم الأقاليم وفق الأقوام ولغاتهم، وثالثة بحسب نوع الحكم. وبهذا قسّم

[١] محمد عرب الموسوي، مصدر سابق، ٢٠١١: نت.

الأقاليم المعروفة في عهده إلى (٢٠) إقليماً وخصَّ كل واحدٍ منها بخارطة (صورة) حددها بما كانت عليه في أواسط القرن العاشر الميلادي. لهذا يعد الإصطخري على رأس مدرسة جغرافية جديدة تختلف عما سبقتها من مدارس[١].

وحدد الإصطخري تخصص كتابه بأنه في الجغرافية الإقليمية وليس في الجغرافية العامة التي كتب فيها معظم من تقدمه، ومفهوم الإقليم واضح في ذهنه[٢]. فهو منطقة جغرافية ذات مظاهر طبيعية تكسبها شخصية مستقلة متميزة، ويعلل بين آونة وأخرى السبب في أنه ضمّ جزءاً إلى هذا الإقليم أو ذاك[٣].

وهناك تشابه واضح بين تقسيم إبن حوقل وتقسيم الإصطخري للأقاليم إلّا أن إبن حوقل كان كثيراً ما يلتزم في بعض تقسيماته الإقليمية بالعامل السياسي والإداري أكثر من الجانب الطبيعي الذي إنتهجه الإصطخري. وقسّم إبن حوقل العالم الإسلامي إلى (٢٢) إقليماً وهي أقاليم الإصطخري ذاتها مع زيادات طفيفة كأن

---

[١] إبراهيم شوكة، كتاب الأقاليم للإصطخري، مجلة الأستاذ (كلية التربية)، ١٠/ ١٩٦٠: ٢٢٨ – ٢٢٩.

[٢] محمد محمود الصياد، من الوجهة الجغرافية: دراسة في التراث العربي، دار الإحياء، بيروت، ١٩٧١: ٢٥.

[٣] الإصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، ١٩٦١: ٢٥.

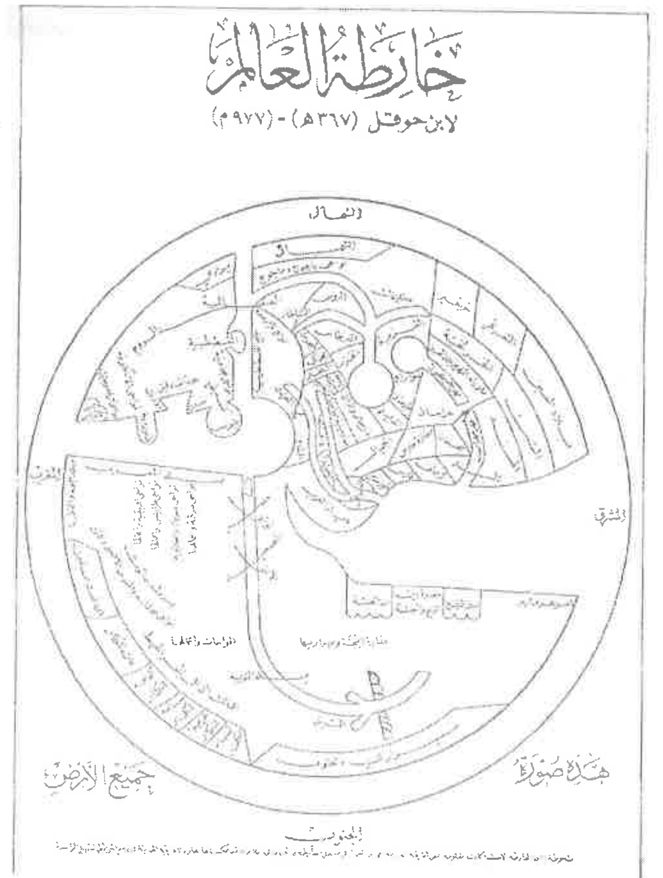
يذكر مع الديلم طبرستان، أو يضيف مع مفازة خراسان فارس. والإقليمان الجديدان لديه هما الأندلس وصقلية.

أما المقدسي فقد قسّم الأقاليم إلى قسمين: أقاليم العرب وأقاليم العجم، جاءت سبعة منها ضمن أقاليم العرب وثمانية ضمن اقاليم العجم. كما قسّم الأقاليم إلى اقسام إدارية أطلق على الواحد منها إسم (كُور) وقسّم الكُور إلى رساتيق. وميّز بين العواصم والقصبات والمدن الثانوية.

وفي مرحلة تالية رجعت التقسيمات الأولى للأقاليم للواجهة من جديد حيث قُسّمت إلى سبعة أقاليم فلكية وفق المنهج الخوارزمي الذي نُسِب إلى اليونان. وكان من أبرز من أخذ بهذا الأسلوب الشريف الإدريسي في كتابه "نزهة المشتاق في إختراق الآفاق"، وعلي بن موسى المغربي في كتاب "الجغرافيا"، والقزويني في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد"، إلّا أن أبو الفدا (٧٣٢هـ/ ١٣٣١ م) قد جمع بين المنهج اليوناني الذي يمثله بطليموس والتقسيم العربي الذي يمثله إبن حوقل حيث قام بتقسيم الأرض المأهولة آنذاك إلى ٢٨ إقليماً.

الشكل (٤)

خريطة العالم لإبن حوقل (٣٦٧هـ/ ٩٧٧ م).



المصدر: أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، ١/ ١٩٧٤، المرتسم (٤٠)، ص١٧٥.

المعاجم والرحلات في الجغرافية العربية في القرن الخامس الهجري:

المعاجم:

يعد تأليف المعاجم الجغرافية إبتكاراً عربياً إسلامياً لم يسبقه فيه أحد، فقد إنفرد العرب بأول قاموس ألّفوه في علم الجغرافيا وهو "معجم ما إستعجم" لأبي عبيدة البكري (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤ م). وهو من أبناء المدرسة الجغرافية الأندلسية. فقد صنف معجماً جغرافياً وفق الترتيب الأبجدي الأندلسي[1]. ويعد كتابه هذا مرحلة إنتقالية من اللغة إلى الجغرافيا تناول فيه تحديد الأماكن التي ورد ذكرها في الأحاديث والتواريخ والمنازل والأشعار. وكان دافعه في تأليف الكتاب هو شيوع اللحن والتصحيف في أسماء الأماكن بين الناس، فأراد تصحيح ما وقع فيه بعض اللغويين من أخطاء كالأصمعي وخلافه، وإحتوى معجمه على ٣٥٩٠ مادة تضم ٥٢٠٠ موضوع وتقع في ٧٨٤ باباً[2].

والمعجم الآخر هو معجم البلدان لياقوت الحموي (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) ويعد من أفضل النماذج للمعاجم الجغرافية. وقد رتب ياقوت الأماكن ترتيباً أبجدياً، أي على حروف المعجم مع ضبط الإسم وبيان إشتقاقه وموقعه وتاريخه والمسافة بينه وبين أقرب بلد له، وتاريخ فتح المسلمين له وعادات أهل الموقع وتقاليدهم وأسماء من له

---

[1] عباس فاضل السعدي، ياقوت الحموي، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٢: ٢٠.

[2] محمد عرب الموسوي، مصدر سابق: نت.

علاقة بالموضع من الصحابة والتابعين. وبعد أن يحدد ياقوت البلدة ويضبطها يبين طولها وعرضها وموقعها من الأقاليم وبرجها، أي تحديد موقعها فلكياً وجغرافياً. ويعطي ياقوت وصفاً شاملاً للقلاع والمدن والمرافئ التي زارها، ويورد تفاصيل دقيقة عن عمرانها. وكثيراً ما يصف سكانها وعاداتهم وإختلاف القبائل والشعوب وذكر عجائبها[1].

وقسّم ياقوت المعجم إلى ٢٨ باباً على عدد حروف العربية، وصدّره بمقدمة تمهيدية ذكر فيها صورة الأرض وهيئتها وأقاليمها، وأورد في المقدمة بعض المقاييس التي يتكرر ذكرها في المعجم كالفرسخ والميل والكورة. وقال ياقوت في مقدمة معجمه أنه "كتاب في أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والغدران والأصنام والأبداد والأوثان"[2].

ويعد "معجم الروض المِعْطار في خبر الأقطار" لمحمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري من المصنفات القيّمة إعتمد في معظمه على المصادر المغربية والأندلسية. وقد نقل كثيراً من مادة هذا المعجم من الإدريسي والبكري والمسعودي واليعقوبي وغيرهم وإقتصر المعجم على المواضع المشهورة جداً أو تلك التي إرتبط إسمها بوقائع أو أخبار إشتهر عنها. وعلى الرغم من مولده في سبته في المغرب العربي

---

[1] ياقوت الحموي، مصدر سابق: ١/ ١٢.

[2] المصدر نفسه،١/ ٧.

إلّا أنه رتب مداخل معجمه وفق الترتيب الألفبائي المعمول به في المشرق العربي. وقد إهتم بذكر الأماكن في المغرب والأندلس أكثر من إهتمامه ببلاد المشرق.

الرحلات في الجغرافية العربية في القرن السادس الهجري:

تعد كتب الرحلات من أفضل مصادر الجغرافيا الإقليمية في عصر إزدهارها، ومما يسر هذه الرحلات حث الإسلام على السياحة في الأرض، والوحدة الدينية التي كانت تربط البقعة الإسلامية وإستتباب الأمن والرحلة إلى الحج في مكة المكرمة وزيارة المدينة المنورة والخروج في طلب العلم والرحلات التجارية.

كان أول من صنّف في أدب جغرافية الرحلات أبو بكر محمد بن العربي (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨ م) وله في ذلك كتاب "ترتيب الرحلات" ومن أشهر الرحالة العرب إبن جبير، إبن بطوطة، إبن حوقل، المسعودي.

كانت أولى الرحلات التي وصلت إلينا هي رحلة ناصر خسرو (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣ م) وقد عاصر الدولتين الغزنوية والسلجوقية. وكان الباعث في رحلته دينياً للحج إلى مكة وزيارة الأماكن التي عاش بها الرسول محمد (صلّى الله عليه وسلّم) وعلى آله وأصحابه مثل البقعة التي بايع فيها المؤمنون الرسول تحت الشجرة وإستغرقت رحلته سبع سنين.

أما رحلة إبن جبير فكان الباعث فيها دينياً أيضاً، وقام بثلاث رحلات كانت الأولى عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٢ م إستغرقت حوالي سنتين ركز فيها على بلاد العرب

وصقلية، وأُطلق على هذه الرحلة إسم رحلة إبن جبير أو رحلة الكناني. وكان دقيقاً في تسجيله الأحداث التاريخية. أما الرحلتان الأخريان فلم يسجل أخبارهما في كتاب.

وإشتهرت رحلة إبن بطوطة (٧٧٩هـ/ ١٣٧٧ م) على نطاق واسع ودافعها كان دينياً كسابقاتها، أي لغرض أداء فريضة الحج. إبتدأ برحلته الأولى من مدينة طنجة عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥ وآستغرقت نحو ٢٥ عاماً زار فيها الكثير من بقاع العالم حتى وصل إلى الصين وعاد إلى فاس عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩ م. وإتجه في الرحلة الثانية شمالاً إلى بلاد الأندلس ثم عاد إلى المغرب. أما الرحلة الثالثة فقد خرج فيها عام ٧٥٣هـ/ ١٣٥٣م، إلى وسط افريقيا وعاد إلى بلده عام ٧٥٤هـ/ ١٣٥٤م، وبدأ بتدوين مشاهداته وأملاها على (محمد جزي الكلبي) لتدوينها بيده. وأُطلق على هذه الرحلات إسم (تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار).

وأقدم (محمد بن قو) سلطان مالي على رحلة جريئة في خضمّ المحيط الأطلسي ورد ذكرها في كتاب (صبح الأعشى) للقلقشندي. ويستدل من تلك الرحلة أن السلطان حاول بنفسه، على رأس ألفي سفينة، أن يتوغل في البحر اللجّي (بحر الظلمات) ويصل إلى شاطئه الغربي[1].

---

[1] أحمد أبو سعد، أدب الرحلات: دراسة ومختارات، ط١، منشورات دار الشرق، بيروت، ١٩٦١: ١٧٤.

الجغرافية الفلكية والرياضية:

يعتمد هذا الفرع من الجغرافيا على الأساليب الرياضية وذلك لإتصالها بمواعيد الصلاة والصيام والحج. وللفيلسوف الكِندي ٢٥ مؤلَّفاً بين كتاب ورسالة في الجغرافية الفلكية وعلم الفلك أشهرها "رسم المعمور من الأرض". وإستقى العرب معلوماتهم عن هذا الفرع من الجغرافيا من المذهب الهندي عن طريق بلاد فارس وتمثل ذلك في كتاب "السندهند" ومن المذهب اليوناني عن طريق السريان وتمثل ذلك في كتاب "المجسطي" لبطليموس.

فقد تمت ترجمة (المجسطي) في القرن التاسع الميلادي بضع مرات إلى اللغة العربية، كما يقول مينورسكي، والعرب هم الذين كشفوا الوقائع الجديدة وأبرزوها إلى النور[1]. ويذكر الباحثون أن بطليموس نقل أرصاد بابل إلى اللغة اليونانية وتعلّم منهم الآلات التي كانوا يستعملونها[2]. فقد قام برصد الكواكب، ويعد أول من عمل الإسطرلاب والآلات النجومية والمقاييس والأرصاد ووضعها في كتابه "المجسطي" في الهندسة، وهو عبارة عن ١٣ مقالة. وإن أول من عني بتفسيره وإخراجه إلى العربية

---

[1] مينورسكي، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ترجمة عبد الرحمن حميدة، نشرة دورية، الكويت، ١٩٨٥: ٦.

[2] حسين علي محفوظ، بحث مقدم الى ندوة الحسن بن الهيثم، مركز احياء التراث/ جامعة بغداد، ١٩٨٨: ٨.

هو يحيى بن خالد بن برمك، وعمله النيريزي[1]. وتضمّن الكتاب جداول زمنية لملوك آشور والإخمينيين والإغريق والرومان لإستخدامها في حساب إنقضاء الزمن بين الأحداث المعروفة والتواريخ الثابتة. كما أن لبطليموس كتاب آخر إسمه (جغرافيا)، وهو عبارة عن ثماني مقالات نقله الكندي نقلاً رديئاً ثم نقله ثابت بن قرة إلى العربية نقلاً جيداً، كما توجد ترجمة له باللغة السريانية.

ومن الذين نهجوا النهج الفلكي في مؤلفاتهم الجغرافية "محمد بن موسى الخوارزمي" (٢٣٢هـ/ ٨٤٧ م) الذي تفرد بكتاباته المستقلة التي لم يقلد فيها أحداً. وقام بتصحيح أزياج بطليموس (أي جداوله الفلكية)، ويعد كتابه (صورة الأرض) من أشهر مؤلفاته الجغرافية الفلكية واكثرها أثراً في الجغرافيين الذين أتوا من بعده، مثل الفرغاني (٢٤٧هـ/ ٨٦١ م) والبيروني (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠ م) وسهراب (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).

ويمثل الخوارزمي ومن سار على طريقته مدرسة جغرافية عربية بحتة لا صلة لها بالفرس أو الهند أو اليونان[2].ويرى الأستاذ الدكتور إبراهيم شوكة أن الخوارزمي قد إطلع على كتاب "جغرافيا" لمارينوس وليس لبطليموس، إذ لم يطلع العرب على

---

[1] إبن النديم، مطبعة الإستقامة، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (د. ت.): ٣٨٨.

[2] أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، طبع مكتب صبري، مؤسسة كولبنكيان ونقابة المهندسين، بغداد، ١٩٧٤ : ١/ (ج.ج، د.د).

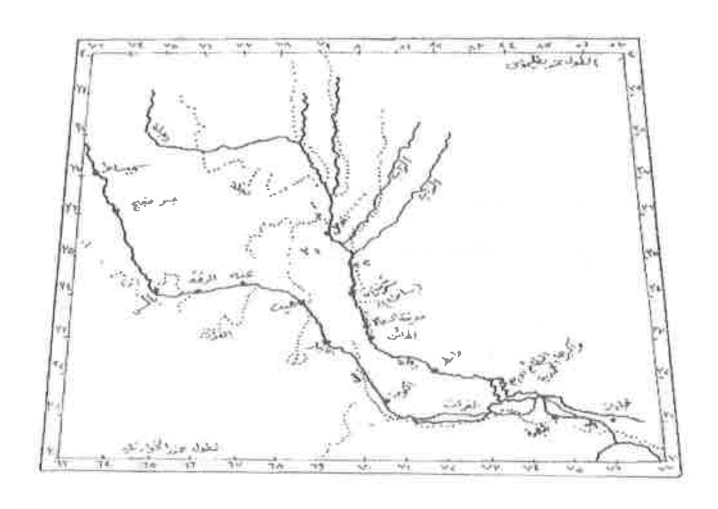
ترجمة كتاب بطليموس الصحيحة إلّا بزمن متأخر بكثير من بعد المأمون. وعليه فإن الخوارزمي يكون قد تأثر بتراث أبناء عمومته الفينيقيين وليس اليونانيين[1].

وتتضح الفروق بين بطليموس والخوارزمي إذا ما علمنا أن بطليموس قسّم العالم إلى ٢١ منطقة، بينما قسّمه الخوارومي إلى سبعة أقاليم جغرافية بحسب دوائر العرض، وهو أول من فعل ذلك. وبدأ بأول هذه الأقاليم من الجنوب إلى الشمال، وعرف العرب هذا التقسيم قبل أن يعرفوا بطليموس. ووزع الخوارزمي الأنهار والجبال والبحار والعمران بطريقة مخالفة لما أورده بطليموس. فقد ذكرها الخوارزمي منفردة وفق كل إقليم، بينما وزعها بطليموس وفق المناطق. كما أنه عرض المادة الجغرافية في قوائم، وإختلف مع بطليموس في تحديد كثير من الأبعاد الجغرافية للأماكن. والقوائم الفلكية في كتاب الخوارزمي (صورة الأرض) أشبه بالأزياج. فقد كان يذكر إسم الموضع ثم خط الطول الذي يقع عليه، ثم دائرة العرض مبتدءاً بالمدن فالجبال فالبحار ثم الجزر والعيون والأنهار، كلٌّ منها على إنفراد داخل الأقاليم السبعة في قوائم مماثلة لما فعله الخوارزمي في قوائمه.

[1] إبراهيم شوكة، تفكير العرب الجغرافي، مجلة الأستاذ، كلية التربية، المجلد التاسع، ١٩٦١: ٢٢.

الشكل (٥)

العراق والجزيرة في كتاب صورة الأرض للخوارزمي



المصدر: ابرهيم شوكة، "، تفكير العرب الجغرافي"، مجلة الاستاذ، كلية التربية، بغداد، ٩/ ١٩٦١، ص١٧.

ويبدأ بالمواضع وفق بُعدها التدريجي على أساس موقعها من خط الزوال الذي يمر بجزر السعادة عند ساحل غرب أفريقيا[1]. وقد وضع بعض الجغرافيين العرب أُسساً جديدة لتقسيمات إقليمية عربية أصلية لا تقوم على أُسس رياضية وإنما وفقاً

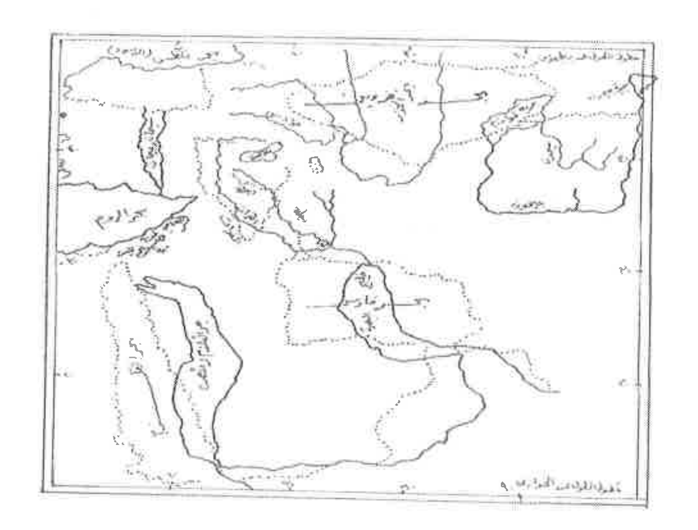
[1] محمد عرب الموسوي، مصدر سابق: نت.

لمشاعرهم القومية كما فعل الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب" وقسّمها إلى خمسة أقسام متخذاً من ظواهر سطحها أساساً لذلك، أو وفقاً لحاجة الدولة الإدارية مثلما قسّم المقدسي الدولة العربية الإسلامية إلى ١٤ إقليماً إدارياً. أما التأثير الهندي فيتمثل بصورة خاصة بإدخال (نظام السند هند) في الفلك العربي على أساس عدد من الرسائل الهندية في عهد المنصور متضمنةً جداول رياضية بُنيت على الحسابات الفلكية وقوانين عملها وكيفية إستعمالها، وهي تدور حول تحركات الأجرام السماوية وطلوع البروج ومغيبها[1].

[1] عباس فاضل السعدي، دراسات في تراث العرب، مصدر سابق: ٢٢.

الشكل (٦)

خريطة بطليموس وفيها العراق والجزيرة (لغرض المقارنة مع خريطة الخوارزمي)



المصدر: ابراهيم شوكة، تفكير العرب الجغرافي، مجلة الاستاذ، ٩/ ١٩٦١ ، ص٢١.

مفاهيم الجغرافيين العرب عن الأرض:

تأثر العرب بآرائهم عن الأرض بالأفكار الإغريقية الرومانية ولاسيما آراء أرسطو وبطليموس، وكانت الفكرة السائدة لدى العرب أن الأرض مسطحة. وسرعان ما نبذوا تلك الفكرة بعد تأثرهم بأرسطو وبطليموس وأصبحوا يعتقدون أن الأرض تحكمها ثلاث فرضيات: الأولى أنها مدورة، وثانيها أنها ثابتة في مركز الكون، وثالثها أنها محاطة بالبحار. ومن الذين آمنوا بتلك الفرضيات إبن خرداذبه في كتابه

المسالك والممالك، وإبن رسته في الأعلاق النفيسة، والمسعودي في كتابه التنبيه والإشراف، وإبن الفقيه في كتابه مختصر كتاب البلدان، والبيروني في كتابه القانون المسعودي[1].

أما فيما يتعلق بحركة الأرض فقد أخذ الجغرافيون العرب بفرضية الإغريق (وهي سكون الأرض) لاسيما وأن هذه الفرضية تتناسب ومعتقداتهم الموروثة. وعزوا ظاهرتي الليل والنهار والفصول الأربعة إلى حركة الشمس حول الأرض. ومن الذين تعرضوا لقضية ثبات الأرض (إخوان الصفا) في رسائلهم[2].

وعلى الرغم من إجماع الجغرافيين العرب على ثبات الأرض وعدم حركتها فإن نفراً قليلاً منهم قد خامرته الشكوك في سكون الأرض وأشاروا إلى إحتمال تعرضها لدورة يومية حول مركزها من أمثال على بن عمر الكاتبي، وأبي الفرج الشامي، وقطب الدين الشيرازي من الأندلس الذي ألمح إلى إمكان حدوث حركة الأرض حول الشمس، ولكن لا تمثل هذه الشكوك سوى إتجاهٍ ضعيفٍ[3].

---

[1] شاكر خصباك وعلي محمد المياح، مصدر سابق: ٦٦-٦٧.

[2] رسائل إخوان الصفا، عُني بتصحيحها خير الدين الزركلي، مطبوعات المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٢٨: ١/ ١١٣.

[3] شاكر خصباك وعلي محمد المياح، مصدر سابق: ٦٨-٦٩.

تحديد مساحات الأرض ومحيطها وخطوط الطول ودوائر العرض وأبرز مراصدهم الفلكية:

إختلفت التقديرات الهندية والإغريقية والرومانية عن محيط الأرض، أما التقديرات العربية فقد كانت في البداية تميل إلى الرقم (٢٤٠٠٠ ميل). وجاءت المبادرة من الخليفة المأمون للقيام بقياس دقيق لمحيط الأرض فأمر بقياس طول درجة من خط نصف النهار (أي خط الطول الذي يمثل نصف دائرة ويسمى بخط الهاجرة) للتوصل إلى محيط الأرض. وأُجري قياسهم في مكانين: شمال تدمر وبرية سنجار. ودلّت قياساتهم أن طول الدرجة تساوي ٥٦,٦٧ ميل تقريباً أو ما يعادل ١١١٨١٥ متراً فيكون طول المحيط ٤١٢٤٨ كم، أي حوالي (٢٠٤٠٠ ميل) وهو قريب من الحقيقة[١]. وفي تقدير آخر ٤٧٣٥٦ كم، أي بنسبة خطأ لا تزيد على ٢٪ عن الرقم الحقيقي[٢].

---

[١] قدري حافظ طوقان، العلوم عند العرب، الألف كتاب، (رقم ٤)، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٦: ٦٩-٧٠.

[٢] من إنجازات المسلمين ، طريق الإسلام، ٢٠١٣: https;//ar.islamway:net/article/17367/

ثم جاء البيروني فقام بتجربة جديدة على أساس مختلف بقياس الإنخفاض الرأسي من جبال الهند فجاءت النتيجة شبيهة بأرقام فلكيي المأمون فأثنى عليهم. وبوساطة مرصدي المأمون عُيِّن سمت الشمس فبلغ ٢٣ درجة و٣٣ دقيقة و٥٢ ثانية، أي ما يعادل الرقم الحقيقي في الوقت الحاضر[١]. وأثنى المستشرق (نللينو) على علماء العرب ومساحيهم، فهي تعد من أعمالهم المأثورة وأمجادهم العلمية.

كما حاول الجغرافيون العرب التوصل إلى مساحات الأرض المأهولة، أي التي يسكنها البشر وهو الربع المعمور الذي يشتمل على سبعة أقاليم، وحدد بطليموس أنه يمتد بين دائرتي عرض ١٦ و٦٣ درجة شمالاً.

وينقل ياقوت الحموي عن ابي الريحان البيروني أن المساحة السطحية للأرض تبلغ (١٤,٨ مليون كم٢)[٢] (أي ١٤ مليون كم٢ و٨٠٠م٢).

وفيما يتعلق بتعيين خطوط الطول ودوائر العرض يعد العرب المسلمون أول واضعٍ لها على خريطة الكرة الأرضية. ووضع العالم "أبو الحسن علي المراكشي" (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) طريقة لتحديد مواقع المدن بإستعمال الخطوط الدالة على الساعات المتساوية في بقاع الأرض المختلفة للصلاة. وهو أول جغرافي عربي إستعمل هذا النوع من الساعات الزمنية. وكانت أهم وسائلهم لتعيين عرض المكان هو قياس

---

[١] غوستاف لوبون، حضارة العرب، مصدر سابق: ٥٥٢، ٥٦٦.

[٢] عباس السعدي، ياقوت الحموي، مصدر سابق: ٢٩.

إرتفاع النجم القطبي أو إرتفاع الشمس. وبرع إبن الهيثم في هذا المجال، كذلك برع أبناء موسى بن شاكر، وإبن يونس، والفزاري ومن ثمار تحديد دوائر العرض إقامة المزاول الشمسية لضبط أوقات النهار لأغراض الصلاة[1].

ووفق ما تقدم إستطاع الجغرافيون العرب رسم خريطة للأرض في عهد المأمون عُرفت بإسم الخريطة المأمونية، حيث وضع البيروني قاعدة حسابية لتسطيح الكرة الأرضية، أي نقل الخطوط والخرائط من الكرة الأرضية إلى (سطح مسطح)، وبالعكس مما سهّل رسم الخرائط الجغرافية.

أما ما يتعلق بخطوط الطول فإن أمر تحديدها أكثر صعوبة، حيث حدد بطليموس خط طول (صفر) ويمر من جزر الخالدات (الكناري). أما العرب فإتخذوا خطاً يبعد عنه شرقاً بعشر درجات، أي يمر من الساحل المغربي. فإعتبروا مجموع خطوط الطول ٣٦٠ درجة، نصفها إلى الشرق من الساحل الغربي لأفريقيا تنتهي بحدود الصين الشرقية في مدينة أطلقوا عليها إسم السيلي (سيلا). وفي بعض الأحيان عينوا ٩٠ درجة إلى الشرق ومثلها إلى الغرب من خط إفتراضي يخترق قبة الأرين Arine في مركز الأرض والواقعة على خط الإستواء (لعلها مدينة أوجين الهندية) والتي حُرِّفت إلى (أرين)، وهي من أعمال ملوه بالهند الوسطى[2].

---

[1] من إنجازات المسلمين في علم الجغرافيا، مصدر سابق: نت.

[2] كراتشكوفسكي، مصدر سابق: ١/ ٨٥.

إنجازات الجغرافيين العرب في الفلك:

من العوامل التي دفعت الجغرافيين العرب للإهتمام بالفلك حاجتهم إلى المطر الذي يمثل قوام حياتهم الرعوية، مما مهد ظهور علم الأنواء. وفي مرحلة لاحقة إهتموا بالترجمة للكتب الفلكية ومنها قيام إبراهيم الفزاري وبتكليف من الخليفة المنصور بترجمة كتاب (السند هند الكبير) من الهندية إلى العربية. وأضاف الفزاري إلى الكتاب تعديلات جوهرية فقام بتحويل حساب التوقيت الهندي وإستبداله بنظام حساب السنين القمرية المستعمل لدى المسلمين. وكان نشاط الفزاري ومعاصريه فاتحة عهد جديد في تطور الفلك والجغرافية الرياضية عند العرب، ومن نتائج ذلك وضع هو و(ما شاء الله) أول إسطرلاب بين العرب.

وبقي نظام السند هند مستخدماً في الفلك العربي، في عهد المنصور، حوالي خمسين عاماً إلى عصر المأمون. ويعد الخوارزمي أكبر رياضيي عصره ووضع جداوله الرياضية (السند هند الصغير) إعتماداً على النظام الهندي والذي إستمر متداولاً إلى آخر القرن الحادي عشر الميلادي وأفاد منه بحاثة كبار مثل البيروني. وإستمر قياس الأطوال في الأندلس بالمذهب الفلكي الإيراني وكثيراً ما أشار إليه مصنف جداول طليطلة ومخترع الإسطرلاب (أبو إسحاق إبراهيم الزرقالي)، ولعل زيج الشاه (الملك)كان أكثر مصنفات المذهب الفلكي الإيراني إنتشاراً في اللغة العربية[1].

---

[1] المصدر نفسه، ١/ ٧٢-٧٣، ٧٦-٧٧.

وتم الأخذ بالحساب الهندي لخطوط الطول والذي يبدأ من (خط منتصف النهار) المار من جزيرة لانكا (سرنديب أو سيلان) والمار بوسط المعمورة. ومنذ القرن التاسع الميلادي أخذ المذهب اليوناني يسيطر على علم الفلك العربي بسبب الترجمة وإنعكس ذلك في كتابي بطليموس (المجسطي والجغرافيا) وكتاب مارينوس. ومن اشهر المترجمين حنين بن إسحاق، وثابت بن قره والخوارزمي والكندي والفرغاني والبتاني.

وأولى ترجمات جغرافية بطليموس كانت على يد الخوارزمي، أما أولى ترجمات المجسطي العربية إلى اللغات اللاتينية فقد قام بها (جيرارد الكريموني) منذ عام ١١٧٥م. وإن نظرية الأرين المستخدمة في الجغرافية العربية هي المسؤولة عن ظهور الشكل الكمثري للأرض عند كولمبس، أي وجود مركز آخر للأرض يقع في نصف الكرة الأرضي الغربي وأكثر إرتفاعاً من نظيره الشرقي، وهكذا فإن النظرية الجغرافية العربية قد لعبت دوراً ما في كشف العالم الجديد.

لقد أخذ الفلكيون العرب يعتمدون على مراصدهم التي أنشأوها وما أبدوه من ملاحظات شخصية في تثبيت الجداول الفلكية (الأزياج) التي تعطي أطوال وعروض المواضع الجغرافية موزعة على الأقاليم السبعة، وتحددها لنا تحركات الكواكب والنجوم في مختلف أيام السنة ومواقعها في السماء. ومن أشهر الأزياج، زيج الخوارزمي والبتاني والمأموني الممتحن والبلخي والحاكمي والإيلخاني للطوسي،

والمجسطي لأبي الوفاء البوزجاني ومفتاح علم الهيئة للبيروني. ومن الكتب المهمة في حقل الجغرافية الفلكية كتاب سهراب " عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية المعمور"، وهو متأثر بكتاب صورة الأرض للخوارزمي.

ومن أشهر المراصد الفلكية العربية مرصد المأمون في الشماسية ومرصد دمشق فوق جبل قاسيون. وأثمرت الإرصادات التي أُجريت في هذين المرصدين وضع (الزيج المأموني الممتحن) وهو من أدق الأزياج التي أخرجها الفلكيون العرب. وفي ذات الوقت أقام أولاد موسى بن شاكر لهم مرصداً في باب الطاق في بغداد وقاسوا عرض محل باب الطاق فبلغ ٣٣ درجة و٢٠ دقيقة شمالاً وهو ما ينطبق على واقع الحال. كما أنشأ الفاطميون مرصد فوق جبل المقطم عُرف بإسم (المرصد الحاكمي). وفي شرق آسيا أُنشيء برعاية المغول مرصد (مراغه وسمرقند). ومن أشهر إنجازات العرب على آلات الرصد التحسينات التي أدخلوها على الإسطرلاب[١].

وبفضل الفرغاني أخذ الغرب فكرة مبكرة عن (الزيج المأموني)، فقد تُرجمت رسالة الفرغاني إلى اللغة اللاتينية مرتين في القرن الثاني عشر. وترجمة إلى لغات أخرى في القرن الثالث عشر، وكانت معروفة لدانتي. ويعد الفرغاني أول فلكي عربي تعرّف

---

[١] شاكر خصباك و علي محمدالمياح، مصدر سابق: ٧٩-٨٠.

عليه العالم الأوربي بفضل الترجمة اللاتينية الجديدة للمستعرب الهولندي (غوليوس) في عام ١٦٦٩ م وإستمر صيته حياً في أوربا كمنجم إلى القرن الثامن عشر[١].

ووضع (لالاند) البتاني في صف الفلكيين العشرين الذين كانوا أشهر علماء الفلك في العالم. كما توصل العرب إلى خطوات متقدمة في الجغرافيا. ويمكن أن تقابل الأمكنة التي عينها الأغريق والأمكنة التي عينها العرب ليظهر لنا مقدار التقدم الذي تم على يد العرب وكانوا أقرب إلى الصواب، بينما بلغ الخطأ الذي وقع فيه الإغريق درجات كبيرة[٢].

الإسطرلاب:

هو آلة قديمة صغيرة الحجم لا يتجاوز قطرها ١٥ سم إلّا ما ندر، شكلها دائري وتصنع من (الصفر) ، ولها وجه وظهر. إستعملها العرب في حياتهم اليومية ليعرفوا العلاقة بين الظواهر الفلكية كمعرفة الزمن وإرتفاعات الشمس والنجوم ومراقبة السيارات وأوقات الصلاة إلى ما هنالك من أمور تمس حياة الناس اليومية.

ويعود أقدم إسطرلاب نحاسي إلى عام ٣١٥هـ/ ٩٢٧ م، وإن أول شخصٍ يرجع إليه الفضل في صناعة الإسطرلاب في العالم الإسلامي هو محمد الفزاري الذي

---

[١] كراتشكوفسكي، مصدر سابق: ١/ ٨٥-٨٦.

[٢] غوستاف لوبون، مصدر سابق: ٥٦٦.

أدخل عليه عدة تعديلات مثل مقاييس الزاوية، وأضاف إليه دوائر تشير إلى السمت في الأفق. ومن خلال تطور صناعته في العصر العباسي عرفوا بالتحديد بداية رمضان ومواقيت الصلاة وإتجاه القبلة (مكة) وإستخدموه بنحو ألف إستخدام كما ذكر عبد الرحمن بن عمر الصوفي في القرن العاشر الميلادي مثل الفلك والتنجيم والملاحة والمساحة وحساب الوقت والصلاة والقبلة.

وذكر البيروني أن (السجزي) هو الذي إخترع الإسطرلاب وسماه (الزورقي) وإعتقد أن الأرض تتحرك إسطرلابياً لا السماء. كما صنع البيروني جهازاً مماثلاً بثمانية تروس في سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦ م. ويمكن إعتباره بدايات صناعة الساعات الميكانيكية التي إخترعها المهندسون المسلمون لاحقاً. كما إخترع البيروني أول إسطرلاب عمودي في العقد الأول من القرن الحادي عشر الميلادي، ويوجد إسطرلاب من عهد الأندلس يعود إلى عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧ م.

الجغرافية الوصفية والجغرافية البشرية:

الجغرافية الوصفية:

كان إسلوب الجغرافيين العرب الوصفيين ينحو إلى الوصف العام بدلاً من العرض المفصل العميق للمناطق المعروفة على أساس الملاحظة المباشرة كما يذكر كراتشكوفسكي[1]. حيث كانت أهداف الجغرافية الوصفية موجهة لخدمة الإداريين والحكام والتجار بالدرجة الأولى ولم تكن تلك الأهداف تتطلب دراسة عميقة، وكانت الكتب الجغرافية الوصفية تغطي النقاط الآتية[2]:

١. وصف المدن وصفاً دقيقاً مفصلاً.

٢. دراسة طرق المواصلات .

٣. الإهتمام بدرجة أقل بوصف الظواهر الطبيعية والتركيز على مجاري الأنهار والبحار.

٤. الإهتمام بالزراعة والمعادن وبقية القضايا الإقتصادية.

٥. سرد المعلومات التاريخية المتعلقة بالبلدان والمدن وحكامها.

---

[1] كراتشكوفسكي، مصدر سابق: ١/ ٢٤.

[2] شاكر خصباك و علي محمد المياح، مصدر سابق: ٨١.

وقد تطورت الجغرافية الوصفية في أوائل القرن الرابع الهجري على يد إبن خرداذبه والجيهاني وقدامة بن جعفر وأبو زيد البلخي. والجغرافية الوصفية هي أولى الميادين التي كتب فيها الجغرافيون العرب وظهر عدد من الكتب تصف بلاد الدولة الإسلامية والأقطار المتاخمة لها. وكان اقدم هذه الكتب "المسالك والممالك" لإبن خرداذبه في نحو ٢٣٠هـ/ ٨٤٤ م، ثم توالت كتب أُخرى منها كتاب يحمل الإسم نفسه لأحمد بن الطيب السرخسي (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩ م) تلميذ الفيلسوف الكندي. ومن قبيل كتاب إبن خرداذبه كتاب إبن واضح اليعقوبي، الجغرافي المصري (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧ م) وكتاب "المسالك والممالك" للمروزي (ت ٢٧٤هـ/ ٨٨٧ م) وكتاب آخر بالعنوان نفسه للإصطخري[١].

وقد خالف المقدسي كلّا من أبي زيد البلخي والجيهاني حيث قال في أحسن التقاسيم: "... وقد شققنا الإسلام طولاً وعرضاً فما سمعنا الناس يقولون إلّا هذا إقليم العراق وأكثر الناس لا يعلمون أين بابل". وخالف أبا زيد البلخي في تقسيم المشرق وبيّن هذا في قوله: "وقد جعله أبو زيد ثلاثة أقاليم: خراسان وسجستان وما وراء النهر، وأما نحن فجعلناه واحداً ذا جانبين يفصل بينهما جيحون"[٢]. ثم تنوعت إهتمامات الجغرافيين منذ منتصف القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري

---

[١] محمد محمود الصياد، مصدر سابق: ١٩.

[٢] إبن إسحاق إبراهيم الإصطخري، المسالك والممالك: مصدر سابق: ٨، بقلم المحقق.

بمختلف النقاط التي أُشير إليها كالإهتمام بالمعالم الطبيعية والأحوال الإقتصادية والإجتماعية للسكان كما هو في المدرسة الإقليمية مثل البلخي والإصطخري وإبن حوقل والمقدسي.

والأمر الملاحظ على كتب الجغرافيين الوصفية هو إختلاف أنماطها وتنوعها بمرور الزمن والذي إرتبط بتنوع الإهتمامات وتباينها. فقد إهتمت في البداية بأسماء الأقطار والمدن وما يرتبط بها من طرق مواصلات كما في كتب المسالك والممالك. ثم تطورت بالإهتمام بجوانب معينة مثل الزراعة والصناعة والمعالم الطبيعية كما في كتب صورة الأرض لإبن حوقل، وأحسن التقاسيم للمقدسي. ثم إنتقلت إلى التركيز على مدن معينة أو اقطار ودراستها بالتفصيل كما في كتاب (الهند) للبيروني، وتذكرة الإعتبار عن مصر لعبد اللطيف البغدادي. ثم أخذت تُعنى بالدراسة الشاملة بما في ذلك الممالك الإسلامية كما في نزهة المشتاق للإدريسي، وتقويم البلدان لأبي الفدا، وكتاب الجغرافيا لإبن سعيد. وتعددت أهدافها كما في الموسوعات مثل مروج الذهب وأخبار الزمان للمسعودي ونهاية الأرب للنويري ومسالك الأبصار للعمري وصبح الأعشى للقلقشندي. وكذلك المعاجم الجغرافية مثل معجم ياقوت (معجم البلدان) ومعجم ما إستعجم للبكري والروض المعطار للحميري، وكذلك الكوزموغرافيا

التي تُعنى بعجائب وغرائب الأرض ويختلط فيها العلم بالخرافة مثل كتب الغرناطي والقزويني[1].

الجغرافية البشرية:

يشمل هذا الفرع من الجغرافيا مواضيع عديدة منها ما ذكره المقدسي في كتابه"احسن التقاسيم" حيث افاض في ذكر المسافات وطرق المواصلات واللغات واللهجات والمكاييل والأوزان والمناخ والزراعة وطوائف الناس وغذائهم وشرابهم وأخلاقهم وعاداتهم ومذاهبهم ومعاملاتهم التجارية. ويعد إبن خلدون من أهم من كتب في حقل الجغرافية البشرية خاصةً ما يُطلق عليه الآن إسم (الجغرافية الإجتماعية). فقد تناول في مقدمته الكثير من المعلومات عن عادات الشعوب ومساكنهم وبيئاتهم وطعامهم (وتأثير التربة في ذلك) وتقاليدهم وأزيائهم وتأثير البيئة لاسيما المناخ في ألوانهم وأخلاقهم وسلوكهم.كما تكلم عن خصائص العمران والإستقرار والتوسع في المأكل والملبس والمسكن والترف والإهتمام بالصنعة للتباهي بها والإشارة إلى أهمية نظام الدولة وإنتشار العلوم.

كما أفاضت كتب الرحلات الجغرافية في الجانب البشري، فإبن بطوطة إهتم بطبائع الناس وعاداتهم في كل بلد يتوقف فيه. فعندما وصل الهند مثلاً تكلم عن

---

[1] خصباك والمياح، مصدر سابق: ٨٣.

عادات الهندوس وإحراق المرأة الهندوسية نفسها بعد وفاة زوجها فترتدي أحسن ما لديها من الثياب وتمتطي صهوة جوادها وتضحك وتمرح حتى تصل إلى مكان الحفل ليتم فيه حرقها. وفي الصين يتحدّث عن ملبس القوم ومشربهم وإستخدامهم العملات الورقية في التداول بدلاً من العملات الفضية أو الذهبية. ونجده يشيد بتمسك السودانيين (السودان الغربي) بدينهم وحرصهم على إقامة شعائر الإسلام الخمس[1].

يتضح من مجمل مشاهدات إبن بطوطة أنه إهتم بتسجيل المظاهر الإجتماعية ووصف العادات والتقاليد وطبائع الأقوام وأديانهم وغيرها فكتاباته في هذا المجال هي اقرب إلى الجغرافية الإجتماعية منها إلى التاريخ أو الجغرافية الطبيعية.

---

[1] محمد عرب الموسوي، مصدر سابق: نت.

الفصل الثالث

الجغرافية الإقتصادية والخرائط عند العرب

الجغرافية الإقتصادية عند العرب:

إهتمت الجغرافية الإقتصادية بأنواع متعددة من المعلومات مثل طرق كسب العيش عند الأمم والزراعة والتجارة وأنواع المعاملات والمقايضات والأوزان والمكاييل وبعض الصناعات والحرف وأنواع العملات المتداولة وطرق النقل والمواصلات.

وشمل النشاط التجاري عمليات البيع والشراء والطرق التي تسلكها قوافل التجارة براً أو بحراً، وأهم المدن الإسلامية في المشرق الإسلامي والمغرب وكذلك الأسواق كسوق عدن وسواكن في السودان على بحر القلزم (الأحمر) وصحار وعمان ودبي في الخليج العربي وحضرموت وعدن. وقد تخصصت هذه المدن في تجارة بعينها كعدن وحضرموت اللتين تخصصتا بالطيب والنعال. وكان أقوام من بلاد فارس والهند والنصارى يعملون إلى جانب العر ب في التجارة من وإلى بلاد العرب.

وذكر الجغرافيون العملات التي تعامل بها الناس في الدول الإسلامية. فالنقود في الصين كانت تستخدم عملات ورقية. وإستخدم العرب داخل الجزيرة العربية الدينار المضروب من الذهب وكذلك الدرهم الفضي. وإستخدم أهل بخارى الدرهم لكنهم لم يتعاملوا بالدينار، وإستخدم أهل الجزيرة العربية من المكاييل الصاع والمد.

وأهل الشام إستخدموا القفيز والويبة والمكوك والكليجة. فضلاً عن إستخدامهم الدانق والمثقال والأوقية والرطل والقنطار والقسط. ومن مقاييس المسافات الفرسخ والميل والمرحلة والذراع والشبر والإصبع والغلوة، وهي رمية السهم[1].

ومن الصناعات والحرف إستخدموا صناعة الثياب وصباغتها التي إعتمدت في صناعتها على الصوف والوبر والقطن والكتان والحرير. وكل منطقة كانت تشتهر بحرفة أو صناعة معينة. فكانت دمياط ونفيس في مصر أكبر مركزين في صناعة النسيج، وكازرون في فارس مشهورة بنسيج الكتان، ومرو ونيسابور إشتهرتا بصناعة ثياب القطن، وعبادان بصناعة الحصر. وذكر إبن الوزان في كتابه (وصف أفريقيا) وجود (١٢٠) موضعاً في مدينة فاس متخصصاً بصناعة النسيج يعمل بها ٢٠٠٠٠ عامل[2].

النشاط التجاري البحري:

كان العرب المسلمون، في رحلاتهم البحرية، يستعينون بالشمس والنجوم لمعرفة طريقهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية النجوم كهادٍ في ظلمات الليل. كما كان العرب يعتمدون على الحمام الزاجل في مراسلاتهم، وعلى الرياح الموسمية

---

[1] محمد عرب الموسوي، مصدر سابق: نت.

[2] المصدر نفسه: نت.

وإنتظامها، وكانت لديهم خرائط يعملون بها بكل ثقة وإطمئنان. وكانت لديهم مراكب كبيرة تذهب إلى الصين ويبلغ إرتفاعها عن سطح الماء حداً يضطر فيه الركاب إلى إستعمال سلالم يبلغ إرتفاعها حوالي ثلاثة أمتار ليصعدوا إلى سطحها[1].

وعرف العرب نظام الرياح التي تهب على مياه المحيط الهندي وسواحله صيفاً وشتاءً ومواسم تغيرها شتاءً ومدى قوة هبوبها وتأثيرها وعرفوا مدى حجم العواصف وأوقات نشاطها. كما توصلوا إلى معرفة أعماق مياه المحيط، وإبتكروا الأجهزة والمعدات التي مكنتهم من السفر في عرض المياه بطرق ملاحية معلومة تمكنوا من تحديدها بدقة وساروا فيها كالبوصلة والإسطرلاب والخرائط وإعتماداً على خطوط الطول ودوائر العرض.

إن إتساع مساحة الدولة الإسلامية منذ عصر النبوة والخلفاء الراشدين والأمويين ووصولها إلى أقصى إتساع لها، من الصين شرقاً إلى الأندلس وفرنسا غرباً، أدى إلى إستكشاف الجغرافية المحلية والدولية مع مرور الزمن، كل ذلك ساعد على تطور الجغرافيا وتطور فنون الملاحة البحرية لكثرة البحار والمحيطات والأنهار.

ففي القرن الحادي عشر كانت السفن تحمل مئات من الرجال وتخزن فيها الحبوب ما يكفي لمؤونة سنة. وأهم مراكز التجارة والملاحة على الخليج العربي هي:

---

[1] عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري ط ٩، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨: ١٤٤.

البصرة، الأبلّة، سيراف، موانيء ساحل عُمان. أما المراكز التجارية في الصين فكانت تقع في خانقوا (كانتون) وزيتون و(هانك شو) ومراكز أخرى. ويذكر إبن بطوطة الذي زار الصين في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي وجود حي خاص للمسلمين لهم فيه جوامعهم في كل مدينة من مدن الصين[1].

ويشير الباحثون إلى قدم العلاقات التجارية بين الصين والعرب، إذ أرسل ملك العرب Ashih في عام ٣١هـ/ ٦٥١ م رسوله إلى بلاط إمبراطور الصين لأول مرة. ويعتقد أن التجار المسلمين كانوا من بين الجماعة الذين دانت لهم مدينة كانتون سنة ٨١هـ/ ٧٠٠ م، وآستمر الصينيون يفدون إلى الأبلّة، كما تم ذلك في سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥ م يقابلها ذهاب السفن العربية إلى مدينة كانتون.

وكانت لدى الملاحين العرب مثل إبن ماجد وسليمان المهري، تعليمات للسير والإبحار في مياه المحيط الهندي. وبهذا الشأن قال المستشرق الفرنسي (جبريل فران): "فإن هذه التعاليم البحرية العربية حملت إضافة غير محدودة وقيّمة إلى تاريخ الملاحة والتجارة في بحار الجنوب سابقة لوصول فاسكودي جاما".

---

[1] محمد رشيد الفيل،" العلاقات التجارية بين العراق والصين في العصور الوسطى"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الثاني، السنة الثانية، مطبعة العاني، بغداد، حزيران ١٩٦٤: ٢/ ٨٦.

تصحيح أوهام اليونانيين في الفكر الجغرافي:

يأتي المسعودي على رأس الجغرافيين العرب القدامى الذين فصّلوا الحديث عن جغرافية البحار المعروفة في زمنه في القرن الثالث الهجري/ الثامن الميلادي وناقش ظاهرة المد والجزر وأشار إلى الرياح ومواسمها وإستغلال البحارة والربابنة لها بقوله: " لكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها في أوقات تكون فيها مهابها، وقد عُلِم ذلك بالعادات وطول التجارب، يتوارثون علم ذلك قولاً وعملاً ودلائل بعلامات يعلمون بها موعد هيجانه وأحوال توازنه"[1].

وفي القرنين الثاني والثالث للهجرة إعتمد الجغرافيون العرب المتقدمون على المعرفة اليونانية بجغرافية العالم القديم إلّا أن سياحاتهم وتجوالهم قد أضاف وصحح كثيراً من أغلاط اليونانيين ومعرفتهم لها، على الغالب، معرفة نظرية في الكثير منها.

لذلك نرى الجغرافي العربي المقدسي البشاري (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠ م) لا يتردد في الجهر بمخالفة اليونانيين وتصحيح أخطائهم الجغرافية والبحرية وخاصة ما يتعلق بالمحيطات واشكالها وذلك في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" فنجده يصف المحيط الهندي والبحار والخلجان المتصلة به (مثل الخليج العربي والبحر العربي والبحر الأحمر) أقرب إلى الصحة في مشهد تصويري لها. وأشار إلى المنائر أو الفنارات

---

[1] عن: عبد الله أحمد الحقيل، مع الرحالة الجغرافيين. أنظر الموقع على النت: www.aljazeera.net/medan.com/2011/02/8/cu.15/html/

التي كانت توقد فيها النيران ليلاً لإرشاد السفن والربابنة إلى الساحل وهو يسميها الخشبات. كما وصف وصفاً دقيقاً بحر الروم (البحر المتوسط) والبلدان الواقعة عليه مع تعاريجه الجغرافية. وكانت الإمبراطورية البيزنطية لا تزال تسيطر عليه آنذاك في عهد المقدسي قبل ألف عام. وهو في كل ذلك ينقد آراء اليونان في عدد من البحار والمحيطات وأوصافهم لها[1]. ولاحظ المسعودي الملاحظة ذاتها حين أقرَّ بنقض البحّارة العرب المسلمين أمثال السيرافيين والعمانيين لتصورات الفلاسفة اليونانيين القدماء.

الإستكشافات العربية في علوم الملاحة:

أسهم البحارة والنواخذة والربابنة العرب المسلمون في الكتابة عن البحار والمحيطات وآلات البحر إنطلاقاً من التجربة العملية. وكان لهم دور بارز في تطوير آلات الرصد والملاحة مثل الإسطرلاب والبوصلة المعروفة عندهم بـ (بيت الإبرة). فقد كانوا أول من إكتشف خواصّها، وإذا كانوا قد أخذوا فكرتها عن الصينيين فإليهم يرجع الفضل في تقسيمها وإستخدامها في الملاحة على نطاق واسع، ووضعوا لذلك جداول فلكية ساروا عليها، مثل تلك التي وضعها كل من إبراهيم الفزاري وإبن

---

[1] أحمد إبراهيم، الريادة الجغرافية الإسلامية،
www.aljazeera.net/medan/intellect/histry/2019/10/11/

يونس المصري والزرقاني والبيروني، وكانت تلك الجداول لا مناص من الإستعانة بها في الأسفار البحرية والبرية[1].

ويعد سليمان التاجر الذي عاش في القرن الثالث الهجري من رواد البحارة العرب الأوائل الذين كانوا على دراية بأسراره وطرقه، ورحل طلباً للتجارة وإجتاز بحاراً عديدة مثل المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر والبحر المتوسط، وسجّل أخبار رحلاته وملاحظاته على البحار في رسالته التي دونها سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١ م وطبعت بإسم " رحلة التاجر سليمان". واضاف إليها السيرافي معلومات مهمة عن الهند والصين، وتناول بعض الظواهر الجوية غير العادية مثل الزوابع والأنواء الحلزونية وهي الأعاصير المعروفة بـ (التايفون)، ووصف بعض حيوانات البحر مثل الحوت ومحار اللؤلؤ وكيفية صيدها.

وكان البحارة المسلمون يملكون خرائط تفصيلية دقيقة بتقنيات تلك المرحلة تساعدهم على الإبحار في داخل المحيطات بدلاً من الإبحار بالقرب من السواحل. فهم من أدخلوا الأشرعة الثلاثية إلى أوربا والتي إستعملوها في السفن التجارية الكبيرة في إبحارهم في البحر المتوسط. وكانت سفنهم أساس المراكب الكبيرة التي

---

[1] المصدر نفسه، ٢٠١١: نت.

إستعملها البرتغاليون والإسبان في القرن الخامس عشر في رحلاتهم الإستكشافية الطويلة التي ورثوا تقنياتها من حكام الأندلس لغاية القرن الثالث عشر[1].

كريستوفر كولمبس يعتمد على الملاحة العربية:

يرى المؤرخ الدكتور حسين مؤنس في كتابه " الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس" أن كريستوفر كولمبس إقتبس نظرية الوصول إلى جزر الهند الغربية عن طريق الملاحة غرباً من الجغرافي الأندلسي أبي عبيد الله البكري وذلك بحساب خطوط الطول من نقطة الأرين في الشرق ومنها، حسب الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب"، أطوال مدن العرب (مثل مكة والمدينة). وبتأثير هذه النظرية إعتقد كولومبس وجود مركز آخر للأرض في نصف الكرة الغربي في مواجهة "قبة الأرين" إلى موضع أكثر إرتفاعاً من مثيله في نصف الكرة الشرقي.

وكان إبن ماجد اشهر الربابنة العرب واكثرهم علماً بالبحار وطرقها واسرارها وألّف ١٩ رسالة وكتاباً فيها أشهرها "كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد و" حاوية الإختصار في أصول علم البحار" وساعدت في إكتشاف البرتغالي (فاسكودي غاما) لبحر العرب والخليج العربي. كما ساعدت في إكتشاف الأمريكيتين على يد كولومبس ومن جاء بعده. ووصلت هذه المعرفة الملاحية في العالم الإسلامي

---

[1] الجغرافيا في عصر الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، نت.

ذروة نضجها على يد البحارة العثماني محي الدين (بيري ريس) الذي أدهشت خرائطه التي رسمها في كتابه "بحرية" العالم لمطابقتها للأقمار الصناعية، ورسمها قبل ظهور هذه التقنيات قبل أربعة قرون كاملة[1].

الجغرافية الملاحية عند العرب:

ذكر (فرا مورو) في مصوره الجغرافي في عام ١٤٥٧م أن ملاحاً عربياً أبحر في حوالي عام ١٤٢٠ من المحيط الهندي حول القارة الأفريقية فظهر بالمحيط الأطلسي. وعندما أبحر (فاسكودي غاما) في عام ١٤٩٧-١٤٩٨ شاهد سفناً عربية إلى الشمال من موزمبيق تحمل البوصلة (بيت الإبرة) وخارطات بحرية ويذكر ذلك حرفياً بقوله: "ويحمل الربابنة بوصلات لتوجيه السفن وآلات للرصد وخارطات بحرية"؛ وعلى إحدى هذه السفن وجد فاسكودي غاما مخطوطات عربية بعث بها إلى الملك مانويل Manoel . كما أن البوكرك يدين بفتوحاته في عُمان والخليج العربي إلى خارطة بحرية من عمل ربان عربي يدعى (عمر). بل ويقول في مذكراته إن ملاحاً مسلماً وقع في أسر البرتغاليين عند جزيرة سقطرى "كان رباناً عظيماً ذا معرفة جيدة بهذا الساحل وقد

---

[1] أحمد إبراهيم، مصدر سابق: نت.

أعطاه مرشداً للطرق البحرية Routier مُبينةً عليه جميع موانئ هرمز، وهو من صنع ربان آخر يدعى (عمر) كان قد صحبه ذلك الربان في البحر"[١].

ويقص المقدسي عن ملاحظاته على سواحل الجزيرة العربية من القلزم (الأحمر) إلى عبادان عبر البحر العربي والخليج العربي وعن آلات كان الملاحون العرب من سيراف وعمان يستعملونها، وعن محادثات له مع شيخ عارف بأمور البحر ورآهم من أبصر الناس بأمور البحر وبمراسيه وأرياحه وجزائره و"رأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون فيها..."، ثم يخرج من كل ذلك بنتيجة مؤداها أن هذه المعلومات مخالفة لتصورات الفلاسفة القدماء عن الحالة الجغرافية آنذاك[٢].

ويقف المسعودي نفس موقف المقدسي ويقرر أن معلومات ربابنة سيراف وعمان عن الخليج العربي والبحر العربي لا تتفق مع نظريات الفلاسفة. وإن هذا الحكم يصدق أيضاً على بحر الروم (المتوسط) وفقاً لما سمعه من ملاحي الشام ويذكر بينهم إثنين هما (لاوي) و(عبد الله بن وزير) سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣ م.

---

[١] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ٢/ ٥٦٢-٥٦٣.

[٢] المصدر نفسه، ٢/ ٥٦٥-٥٦٦.

الخرائط في الجغرافية العربية في القرنين الثالث والرابع الهجريين:

شاعت في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين لفظة الصورة أو الرسم أو لوح الترسيم ثم حلّت محلها لفظة الخريطة أو(الخارطة) التي يقابلها في الإفرنجية Chrt الإنكليزية وCarte الفرنسية و Karte الألمانية. ومخارج خريطة أو خارطة هي أقرب إلى اللفظ الألماني وإن كان المعنى اللغوي لكلمة خريطة في اللغة العربية يعني حقيبة[١]. وهناك من يذكر أن لفظة خارطة عربها المصريون أيام محمد علي باشا عن الفرنسية Carte [٢]. ولم يرد لفظ خريطة عن العرب قبل العصر العباسي بالمعنى المراد به الآن، وقد يكون أصله معرباً من لفظ Carta أو مشتقاً من كلمة (خَرَت) في اللغة العربية ومنها خَرَت الأرض، أي جال فيها، وعالِم خَرّيت، أي جوال ماهر[٣].

وإذا ما توغلنا في أعماق التاريخ نجد للخريطة وجوداً في الحضارات القديمة كأساس لمعرفة الفكر الجغرافي عندهم . ففي الحضارة العراقية القديمة كانت لديهم

---

[١] إبراهيم شوكة، خرائط جغرافيي العرب، مصدر سابق: ٣٨.

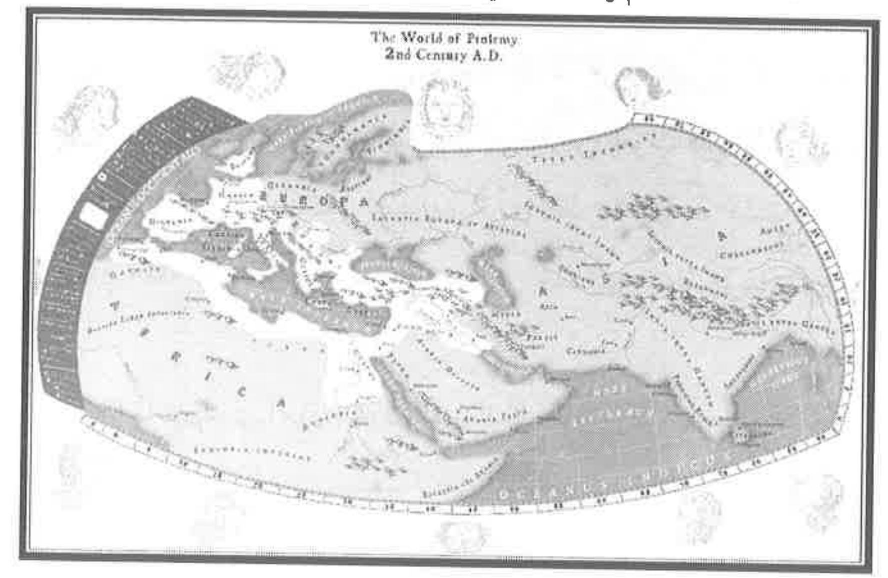
[٢] كراتشكو فسكي، مصدر سابق، ١/ ٥٩.

[٣] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج٢، طبعة مولر مع ترجمته الألمانية، بيروت، ١٩٧٨: ١٩٨.

خرائط لمسح الأرض وتخطيطها وعلى درجة من الدقة مثل خريطة مدينة أوما (تل جوخة) وخريطة مدينة لكش (تلو) وخريطة مدينة (نفّر)[1].

الشكل (٧)

العالم في القرن الثاني الميلادي (زمن بطليموس)



Source: https://www.academia.edu/16921332-خريطة-بطليموس

---

[1] أحمد سوسة، الري والحضارة، مطبعة الأديب، بغداد،١٩٦٩: ١/ ١٣٣، احمد سوسة، العراق في الخوارط القديمة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩: ٦، خارطة ٢ و٣.

وقد ورث رسامو الخرائط الإسلامية وثائق كتابي (المجسطي) و(الجغرافيا) لـ "بطليموس" اللذين حفّزا المسلمين على الإهتمام بعلمي الجغرافيا والخرائط. وورث المسلمون الكتابات اليونانية مباشرةً من دون أن يتأثروا بخرائطهم، أو التي كانت شائعة في أوربا في ذلك الزمن.

وإشتملت خريطة بطليموس للعالم على الأراضي الواقعة بين جبل طارق والصين وجعل فيها خط طول (صفر) يمر من جزر كناري (الخالدات). وكانت خارطة موفقة في رسم الهند ومنابع النيل. ويعد بطليموس أول من إستخدم مصطلحي خطوط الطول والعرض. وهناك ملاحظات عديدة على هذه الخارطة منها أنه بالغ في إمتداد قارة آسيا بإتجاه ناحية الشرق، وأنه جعل افريقيا تمتد إلى الشرق في جنوب المحيط الهندي حتى الملايو، فأصبح المحيط بذلك مغلقاً. ووضع خط الإستواء بعيداً إلى الشمال من موقعه الصحيح حيث كان يرى أن مدار السرطان يمر بأسوان، أي إلى الشمال من موضعه الصحيح بحوالي ٣٠ دقيقة[1].

وبالغ بطليموس في خارطته كثيراً في تحديد البحر المتوسط، وفي إمتداد الجزء المعمور من الأرض المعروفة له، وجعل المحيطين الهندي والهادي بحيرة وذلك حينما أوصل جنوبي آسيا بجنوبي افريقيا. كما بالغ في تحديد مساحة جزيرة سيلان، وأخطأ في

---

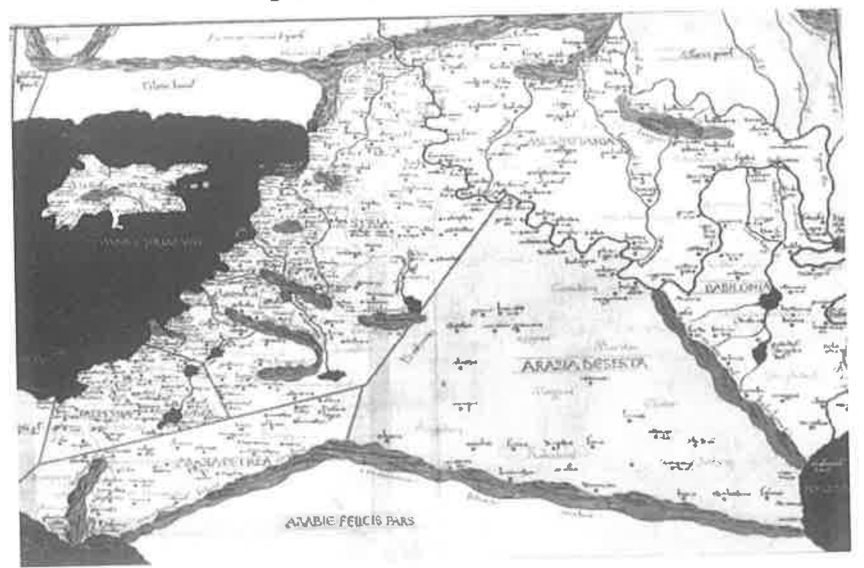
[1] يسري عبد الرازق الجوهري، الكشوف الجغرافية، ط٢، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٧: ٥٨-٦٠.

تحديد موقع الخليج العربي وبحر قزوين وإن تحاشى خطأ أراتوستين فجعل بحر قزوين مغلقاً. لقد صحح العرب المسلمون كل هذه الاخطاء وغيروها ولم يأخذ الغرب هذه التعديلات إلّا عنهم. فقد عُرِف كتاب المجسطي لبطليموس في أوربا منذ القرن الثاني عشر الميلادي بفضل الترجمة اللاتينية المنقولة عن العربية. ومن هنا يتجلى دور العرب المسلمين في إنقاذ الدراسات الجغرافية من التشوهات العلمية والمنهجية. وبهذا الصدد يقول العلامة (جوستاف لوبون) أن العرب "هم الذين صححوا أغاليط علماء اليونان وهم الذين وضعوا الكتب الجغرافية التي جاءت ناسخةً لما تقدمها فإعتمدت أمم الغرب عليها وحدها قروناً كثيرة"[1].

---

[1] من إنجازات المسلمين في علم الجغرافيا، مصدر سابق: نت.

الشكل (٨) خريطة بطليموس



المصدر: المرسال www.almrasal.com/post/831523

وفي زمن الأمويين بعث الحجاج بن يوسف الثقفي إلى قائده (قتيبة بن مسلم الباهلي) فاتح ما وراء النهر صورة (خارطة) لمنطقة بخارى التي كان قتيبة يحاصرها، وبعث إليه تعليماته الستراتيجية (السوقية) التي إستنتجها من خلال تلك الصورة من أجل الإسراع في فتحها[1].

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٥٩.

وخلال ذلك العصر الذي يمتد إلى منتصف القرن الثامن الميلادي ظهرت بعض الأنماط والصور في المجالين الإداري والإقتصادي ولاسيما في الأندلس في عام ١٠٠هـ/ ٧١٩م، أي في عهد عمر بن عبد العزيز.

وقد رسم الخوارزمي أربع صور (خرائط) وضعها في آخر كتابه، إحداها للنيل كاملة من منابعه حتى مصبه، وأخرى للبطيحة التي تمثل بحر آزوف في روسيا. ويعد زيج سهراب (إبن سربيون)، الذي يتأخر عهده بأكثر من قرن عن عهد محمد بن موسى الخوارزمي، نسخة أخرى من كتاب الخوارزمي عدا المقدمة والقسم الأخير من الكتاب، ففيه تفاصيل وإضافات كثيرة غيرها.

وكان مرتسم سهراب اسطوانياً وخطوط الطول عنده يوازي بعضها بعضاً وكذلك دوائر العرض. وتشطر دائرة العرض ٩٠ وسط الخريطة إلى نصفين متساويين مجموعهما ١٨٠ درجة. ويمر أول خط من خطوط الطول (خط الصفر) بجزائر السعادات (الخالدات أو الكناري) الواقعة في المحيط الأطلسي. وفي الصورة المأمونية يبدأ خط الصفر عند الساحل الافريقي وينتهي بخط ١٨٠ درجة في شرق الصين، حيث وُضعت بألوان رآها المسعودي[1].

وخريطة المأمون تُعد أول خريطة عربية صُوِّرَ فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغيرها. وفضّل المسعودي هذه الخريطة

---

[1] إبراهيم شوكة، خرائط جغرافيي، مصدر سابق: ١٠/ ٤٦.

على الخرائط السابقة بقوله: "وهي أحسن مما تقدمها من جغرافية بطليموس وجغرافية مارينوس وغيرهما".

وإختفت خريطة المأمون منذ عدة قرون وآخر إشارة إليها كانت إشارة أبي عبد الله الزهري المتوفى في منتصف القرن السادس الهجري في كتابه (الجغرافيا). ويبدو من كتاب الزهري أن الخارطة المذكورة كانت مستديرة ملونة يحيط بها طوقان: طوق أزرق يمثل البحر الموصوف ببحر الظلمات، ويتصل به من الداخل طوق آخر أخضر اللون، وهو صفة البحر المحيط بالأرض وأجزائها المباشرة للتراب في جميع دورانها، وهو الذي يتشعب إلى جميع الأبحر[1]. وتضمنت الخارطة المأمونية تصويبات عديدة لبعض الأخطاء التي وردت في خارطة بطليموس.

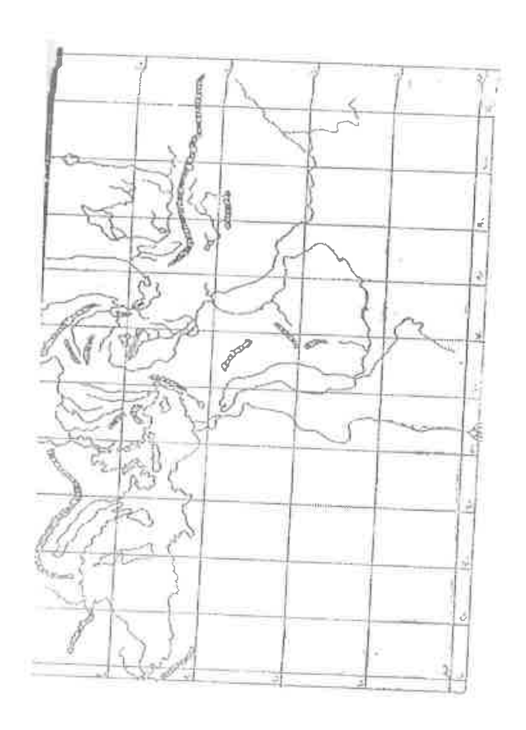
وقد ظهرت خرائط أخرى لجغرافيين عرب تختلف الواحدة عن الأخرى في تفاصيل محتوياتها، منها خرائط إبن حوقل التي كانت أقرب إلى الصحة وأكثر تفصيلاً من خرائط الإصطخري.

---

[1] عبد الله يوسف الغنيم، مؤسسة الفرقان، مصدر سابق، نت.

الشكل (٩)

الخريطة المأمونية من عمل مجموعة من العلماء وبضمنهم محمد الخوارزمي



المصدر: ابراهيم شوكة، خرائط جغرافيي العرب الأول، مجلة الاستاذ، ١٠/ ١٩٦٢، ص٤٥.

فخريطة مصر لإبن حوقل يظهر من تفاصيلها دلتا النيل بكل فروعه ووضع عليها كل المدن والقرى وبلغ عددها ١١٢ مدينة وقرية، بينما لا يتجاوز عددها العشرات في خريطتي الإصطخري والمقدسي.

وعموماً يمكن تمييز ثلاث مراحل تطورية مرّت بها الخرائط العربية، كل منها تمثل منهجاً أو طريقة معينة في تنفيذ رسم الخريطة وهي كالآتي[1] :

١. المرحلة الأولى ويمثلها القرن الثالث الهجري (مدرسة الخوارزمي)، وإعتمدت هذه المرحلة على الحسابات الفلكية في تنفيذها متأثرة بنظرية بطليموس. وقد صنع جغرافيو العرب صورة للأقاليم تمثلها الخريطة المأمونية المتأثرة بالإسلوب الفلكي.

٢. المرحلة الثانية وهي مرحلة القرن الرابع الهجري وجاءت على خلاف المرحلة الأولى حيث كانت مستقلة تماماً في التصور العام وفي التنفيذ. وهي (خرائط أطلس الإسلام) ويمثلها البلخي والإصطخري وإبن حوقل والمقدسي. وقد إرتبط نمط هذه المرحلة بالمصنفات الإقليمية حيث تم إستحداث منهج جديد في رسم خرائط الأرض.

٣. المرحلة الثالثة ويمثلها الإدريسي (٥٤٩هـ/ ١١٥٤ م) في القرن السادس الهجري حيث إهتمت الجغرافيا في هذه المرحلة بنمط الجغرافية الرياضية وأخذت مظهراً عظيماً وإتسع الرسم من جديد فشمل كل العالم المعروف حينذاك. ويختلف منهج الإدريسي عمن سبقه من الأقدمين. فقد إلتزم بمقياس الرسم وقام بتحديد مواضع خطوط الطول ودوائر العرض. كما إلتزم بالشكل الواقعي للمنطقة الجغرافية التي يعنيها. وقد

[1] عبد العال عبد المنعم الشامي، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية (تسلسل ٣٦)، الكويت، ١٩٨١ : ١٣.

ضمّن كتابه (نزهة المشتاق) خريطته، فضلاً عن خريطة العالم الدائرية المألوفة، وقسّم كل إقليم إلى عشرة أقسام رأسية أفرد لكل منها خريطة، وقد جمعها العالم الألماني (كونراد ميللر) وكوّن منها سنة ١٩٢٨ خريطة واحدة بلغت مساحتها ٢م٢.

وإستخدم الإدريسي الألوان لتمثل الظاهرات الجغرافية المختلفة مثل إستخدام اللون البني ليمثل الجبال، واللون الأزرق ليمثل البحار، والأخضر ليمثل الأنهار[1]. وظلت الكارتوغرافية الأوربية (علم الخرائط) تعتمد على خريطة الإدريسي إلى قبيل القرن الخامس عشر الميلادي. وبعد عام ١٤٥٠ عاد الأوربيون إلى جغرافية بطليموس لمدة قرن، ثم تراجعوا عنها للإعتماد على الفكر الجغرافي العربي الإسلامي لصوابه علمياً.

إتضح مما سبق أن تقدم الخرائط العربية كان متوافقاً مع تطور الجغرافية الإقليمية عند العرب، حيث يوجد منهجان في هذا الميدان أولهما المنهج الإقليمي الفلكي المتأثر باليونان ويقوم على أساس الأقاليم السبعة، وثانيهما المنهج الإقليمي الوصفي وتمثله المدرسة المجددة، وهو منهج عربي خالص وخرائطه مستقلة الواحدة عن الأخرى، وهي خرائط توضيحية أُستخدمت فيها الخطوط المستقيمة والهندسية في رسم سواحل الأنهار، ومن أعلام المدرسة المجددة البلخي والإصطخري.

---

[1] عبد الله يوسف الغنيم، مصدر سابق: نت.

ولخرائط المدرسة المجدد خصائص مميزة تتمثل بالآتي[1] :

١. انها خرائط توضيحية فقط.

٢. لا تهتم بأطوال البلدان وعروضها.

٣. مرسومة بطرق هندسية تخطيطية، فهي أقرب إلى الكارتوغرافيا.

٤. خلوها من صور الناس والحيوانات التي كانت تحفل بها الخرائط الأوربية في العصور الوسطى.

٥. أعلام هذه المدرسة أكثر دقةً من الخرائط الأوربية، وأكثر فهماً للغرض من رسم الخارطة.

٦. هذه الخرائط لها بدايات ممثلة في خرائط منفردة رُسمت لعدة أغراض (سياسية وحربية) ثم تطورت لاحقاً.

---

[1] عبد العال عبد المنعم الشامي،مصدر سابق، ٣٠-٣١.

الفصل الرابع

الجغرافيون العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة

١. علي بن عيسى الإسطرلابي:

هو من علماء الفلك وأصبح من المقربين إلى الخليفة المنصور (١٤٥-١٥٩هـ/ ٧٦٢-٧٧٥ م) في علم الفلك وأبحاث النجوم. وهو مع جماعة له قاسوا محيط الأرض ومسحوا صحراء سنجار لأغراض فلكية، وذاع صيته في بغداد ودمشق. وله كتاب العمل بالإسطرلاب، ويوجد مخطوطه في مكتبة الفاتيكان في روما، طبع في بيروت في عام ١٨٢٨[1].

٢. إبو إسحاق الفزاري: ت ١٦١هـ/ ٧١٧ م

هو أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري، ظل يعمل في خدمة الخليفة أبو جعفر المنصور حتى وفاته. برز في علم الفلك وحساب النجوم، ويُعد أول عربي عُني بعلم النجوم وعمل الإسطرلاب. قضى مدة طويلة من حياته منجماً ومترجماً من الهندية إلى العربية لأبي جعفر المنصور. وعندما قدم إلى الخليفة الرحالة الهندي (هنتا) عام ١٥٦هـ/ ٧٧٢م ويحمل معه كتاباً في الفلك يعرف بـ(السند هند)، الذي يبحث في حساب جيوب القمر وإثباتها في جداول، أمر المنصور "إبراهيم الفزاري" بترجمة

---

[1] صبري محمد حسن، الجغرافيون العرب، ج١، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٥٩: ١/ ١٠٧-١٠٨.

الكتاب إلى العربية. ومن مؤلفات الفزاري: كتاب تسطيح الكرة، كتاب المقياس للزوال، كتاب العمل بالإسطرلاب، كتاب زيج الفزاري[1].

٣. ما شاء الله: ت ٢٠٠هـ/ ٨١٦م

هو ما شاء الله بن أثري، عربي الأصل، يهودي الديانة، أسلم أيام المنصور وله معرفة باللغات وهو ذو حظوة عند المنصور وعُيّن بدار الترجمة التي أنشأها الرشيد ببغداد لتعريب الكتب من لغاتها الأصلية وخاصة كتب الجغرافية والفلك. ومن أشهر كتبه[2]:

١. كتاب صنعة الإسطرلاب والعمل بها.

٢. كتاب ذات الحلق يبحث في الآلات التي تستعمل في الفلك.

٣. كتاب الأمطار والرياح وسبب تكوينها وحركاتها وأثرها على الزروع والأمطار.

٤. كتاب الإسطرلاب ودائرته النحاسية.

٤. النضر بن شميل: ١٢٢-٢٠٣هـ/ ٧٤٠-٨١٨م

هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد التميمي المازني، بصري الأصل، نزل مرو وأخذ عن الخليل بن أحمد وعن فصحاء العرب وعاد إلى خراسان وتولى القضاء

---

[1] المصدر نفسه، ١/ ٢٠-٢١.

[2] المصدر نفسه، ١/ ١٢٥-١٢٧.

في مرو وهو أقدم جغرافي عربي عالج الموضوعات الجغرافية بجميع فروعها وأصنافها. ومن أشهر كتبه[1]:

١. الصفات: وهو من الموسوعات الكبيرة ويتكون من ثلاثة أجزاء، تحدث في الجزء الأول عن صفات الإنسان والجبال والشعاب وفوائدها والحيوانات والزراعة والرياح والسحب والأمطار. وفي الجزء الثاني تناول الفلك (الشمس، القمر، الليل، النهار)، وفي الجزء الثالث تحدث عن المياه والآبار والحياض والأنهار.

٢. كتاب الطير وفوائد الطيور وعاداتها.

٣. كتاب الجبال

٤. كتاب الانواء.

٥. أبو المنذر الكلبي: ١٢٥-٢٠٤ هـ/ ٧٤٢-٨١٩ م

ولد في الكوفة ونشأ فيها وسافر إلى بغداد ومات في الكوفة. كان من أوائل الجغرافيين البارعين وخاصةً في جغرافية المدن والبلدان إلى جانب معرفته بجغرافية بلاد العرب. له ١٥٠ كتاباً من بينها[2]:

١. كتاب أخبار البلدان.

---

[1] إبن النديم، مصدر سابق: ٨٣، صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ١٨٢-١٨٣.

[2] المصدر نفسه (صبري محمد حسن)، ١/ ١٨٨-١٩٠.

٢. كتاب البلدان الكبير.

٣. كتاب الأخبار والأسماء ويتحدث فيه عن أسماء البلدات والجبال وسبب تسميتها.

٤. كتاب البلدان الصغير.

٥. كتاب الأنهار وفوائدها.

٦. كتاب الأقاليم وتحدث فيه عن الأقاليم السبعة.

٧. كتاب عجائب البحر.

٨. قسمة الأرضين

٦. أبو سعيد الأصمعي: ١٢٣-٢١٦هـ/ ٧٤٠-٨٣١ م

هو أبو سعيد عبد الملك الباهلي، توفى بالبصرة ما بين ٢١٣ و٢١٧هـ[١] / ٨٢٨م و٨٣٢م . ومن أشهر كتبه الجغرافية كتاب "جزيرة العرب" وفيه يتطرق إلى أماكنها ومنازل البدو وطبيعتها في جميع الجزيرة العربية. ويعده ياقوت الحموي الأساس في المعلومات عن جزيرة العرب، وكرر إسمه ٣٥٠ مرة[٢]. ومن كتبه الأخرى "مياه العرب" ويبحث فيه عن المياه ومصادرها ومدى الإستفادة منها سواء كانت على شكل عيون أم أنهار أم أمطار، و(كتاب النخلة)، و(كتاب النبات) تطرق فيه إلى جميع

---

[١] إبن النديم، مصدر سابق: ٨٨.

[٢] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١٢٧.

النباتات سواء كانت طبيعية أم مزروعة، و(كتاب الأجناس) وتطرق فيه إلى الأجناس البشرية في الجزيرة العربية، و(كتاب الإبل) وتناول فيه الإبل وأنواعها وخدماتها في الجزيرة العربية، و(كتاب الخيل) ويقع في ٥٠ مجلداً[١].

٧. أبو عثمان المنجم: (عُرف في عصر الخليفة المأمون)

هو أبو عثمان سهل بن بشر بن حبيب بن هاني المنجم البغدادي، عُرف في عصر المأمون (١٩٨- ٢١٨ هـ/ ٨١٣- ٨٣٣ م) بأنه من أعاظم الفلكيين. له مؤلفات في الفلك والجغرافيا والحساب والهندسة. ومن مؤلفاته الجغرافية: كتاب الأمطار والرياح، وكتاب تحاويل سني المواليد، وكتاب الزيج المصحح إشترك في وضعه مع السمرقندي[٢].

٨. جابر بن حيان: ١٠٠ هـ(٧١٨م)- ١٩٧هـ(٨١٢ م)

هو أبو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي الأزدي المعروف بالصوفي، وهو من أهل الكوفة على الفرات ومن مواليدها. وقيل أنه ولد بطوس في خراسان. وتشير مصادر أخرى إلى أن أصله من حرّان في الجزيرة شرق الفرات.

---

[١] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٩٦-٩٨.

[٢] المصدر نفسه، ١/ ٧٨-٨٠.

هاجر والده حيّان بن عبد الله من اليمن إلى الكوفة في أواخر عصر بني أمية وعمل فيها صيدلانياً[1]. وبعد مدة من الزمن هاجرت أسرته إلى موطنها في اليمن وبقوا فيها إلى أن أزاح العباسيون العهد الأموي في بغداد سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م حينئذٍ عادت أسرته إلى الكوفة وكان جابر قد بلغ الثلاثين من عمره. وعاش في عصر الخليفة هارون الرشيد وكان مقرباً من وزرائه البرامكة ولاسيما جعفر البرمكي.

إختلف الرأي في سنة ولادته بين ١٠٠هـ/ ٧١٨ م و١٢٠هـ/ ٧٣٧ م[2]. وآختلفوا أيضاً في سنة وفاته بين ١٩٧هـ/ ٨١٢ م و٢٠٠هـ/ ٨١٥ م[3].

درس إبن حيان الأفلاك والنجوم والرياح بأنواعها وبحث في الأرض والبحار حتى قال عنه إبن النديم "إن إبن حيان مات وهو قد ألّف ١٩٢ كتاباً منها عشرون في فنون الجغرافية، ...وثلاثون رسالة في العلوم الجغرافية..."[4]. ومن مؤلفاته الأخرى كتاب الأرض في سبع مقالات وكتاب الهواء، كتاب البحر الزاخر، وكتب النبات والحيوان والبستان والسيول والأشجار.

---

[1] طه باقر، موجز في تاريخ العلوم والمعارف، مطبوعات مركز احياء التراث، جامعة بغداد، ١٩٨٠: ٢٢٣.

[2] جابر الشكري، كتاب السموم، بحوث الندوة القطرية الثالثة، ١٩٨٩: ١٠٧، عدنان النقاش، الجيلوجيا عند العرب، الموسوعة الصغيرة، (تسلسل ٤٧)، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦: ١٠٤.١١٢. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط ٣، ١٩٧٠: ٢٤٣.

[4] إبن النديم، (د.ت.): ٥٠١، ٥١٣-٥١٧، صبري محمد حسن، ١٩٥٩: ٦٢.

٩. الجرمي:

هو محمد بن أبي مسلم الجرمي، وهو من الجغرافيين القلائل الذين وصلوا إلى روسيا والإمبراطورية الرومانية وما جاورها من البلغار والخزر والصقالبة وكتب عن أحوالهم وأوضاعهم الجغرافية والإقتصادية. وقد سافر إلى تلك الأصقاع أيام الواثق (٢٢٧هـ-٢٣٢هـ/ ٨٤٢-٨٤٧ م)، ووضع معلوماته عنها في كتابه الموسوم "جغرافية وتاريخ الروم وما جاورهم من البلدان" وتحدّث عن قبائل اليونتس وسكان القوقاز وبحر الخزر والصقالبة[١].

١٠. سند بن علي المنجم المأموني: ١٦٥-٢٢٩هـ/ ٧٨٦-٨٣٣ م

هو سند بن علي المنجم المأموني، جغرافي بارع ومن أشهر الفلكيين في عصر المأمون، وكان خبيراً بصناعة الآلات الرصدية. كلّفه الخليفة المأمون بإصلاح مرصد الشماسية ببغداد ثم أصبح رئيساً للمرصد. ومن إرصاداته أيام المأمون، مع جماعة من الجغرافيين أمثال خالد بن عبد الملك المروزي، ويحيى بن أبي منصور، رصد هؤلاء عام ٨٣٢م/ ٢١٧هـ و٨٣٣م/ ٢١٨هـ، إرتفاع القطب في صحراء سنجار وأثبتوا أن مقدار الدرجة الأرضية هي ٥٦ أو ٥٧ ميل وربع الميل. وقام برصد آخر أيام المأمون

---

[١] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ١٣٤-١٣٥.

حيث قاس مع خالد بن عبد الملك مقدار درجة من أعظم دائرة من دوائر سطح الأرض ما بين واسط وتدمر وقاسا الدرجة فكانت ٥٧ ميلاً عربياً[١].

١١. إبن حمدون النديم: ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥ م

هو أبو عبد الله احمد بن إبراهيم بن حمدون البغدادي الكاتب النديم، نفاه المتوكل العباسي من بغداد إلى تكريت وبقي فيها مدة ثم عاد إلى بغداد فنفاه الخليفة إلى السند. بحث في الجبال والمياه والأودية والقبائل والأفخاذ من حيث عاداتها وتقاليدها وحروبها ووسائل معاشها. ومن أهم مؤلفاته الجغرافية: كتاب أسماء الجبال والأودية والمياه، كتاب بني عبد الله بن غطفان، كتاب بني عقيل، كتاب بني كليب بن يربوع، كتاب بني مرة بن عوف، كتاب بني نمر بن قاسط، كتاب طيء[٢].

١٢. أبو سعيد السيرافي (التاجر سليمان): القرن الثالث الهجري

ولد بمدينة سيراف الواقعة في الجانب الشرقي من الخليج العربي وفيها إبتدأ بطلب العلم. وقد عُني بتدوين رحلاته بين البصرة والصين (أبو زيد الحسن السيرافي) وهو من مواطني مدينة البصرة وعاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري

---

[١] المصدر نفسه (صبري محمد حسن)،١/ ٧٥، قدري حافظ طوقان، مصدر سابق: ٦٩.

[٢] المصدر نفسه (صبري محمد حسن)، ١٩٥٩: ١/ ٢٨-٢٩.

(العاشر الميلادي). ولذلك فإن كتابه كان يحمل عنواناً آخر هو "رحلة التاجر سليمان". ويعتقد أن هذا التاجر عاش في القرن الثالث الهجري (٢٣٧هـ/ ٨٥١ م) ومن أهالي مدينة سيراف ومن أبرز تجارها[١]. ويقول التاجر سليمان إن الرحلة إلى الصين كانت تبدأ من سيراف حيث تحمل الأمتعة إليها من البصرة وعمان وغيرهما وتعبّأ في السفن الصينية[٢].

وقد أبحر التاجر سليمان من سيراف إلى مسقط ومنها إلى (كلم) على ساحل ملبار ومرَّ بمضيق (تالك) شمال سيلان وعبر خليج البنغال فوصل جزيرة نجبالوس (إحدى جزر نيكوبار) وإنتقل إلى ساحل الملايو الغربي ومنها إلى جزيرة تيومن جنوب غرب ملقا ومنها إلى رأس القديس يعقوب قرب سايكون ثم جزيرة هاينان فعبر المضيق ليصل إلى ميناء خانقو (كانتون) الصينية. وكانت الرحلة من مسقط إلى الصين تستغرق أكثر من أربعة أشهر[٣].

وقال محمد بهجت الأثري عن (رحلة السيرافي) أنها تُعد من "أهم الآثار العربية عن الرحلات البحرية في المحيط الهندي وبحر الصين في القرن التاسع الميلادي حيث ذكر الزراعة والإقتصاد والأسماك والحيوانات البرية التي شاهدها في ساحل

---

[١] خصباك، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٩: ٨٧.

[٢] أحمد أبو سعد، مصدر سابق: ٤١.

[٣] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١٤١.

المحيط الهندي وسواحل الصين. وتطرق إلى صناعة الشاي وإستعماله ويطلق عليه الصينيون إسم (ساخ). وترجم الرحلة المستشرق الفرنسي (رينود) إلى الفرنسية ونشرت عام ١٧١٨، وهي أول مؤلَف عربي نُشر في بلاد الغرب عن بلاد الصين وحالاتها"[١]. وتحدثت الرحلة أيضاً عن سكان المحيط الهندي وعاداتهم وتقاليدهم، وإهتم التاجر السيرافي بالمقارنة بين أهل الصين وأهل الهند في شتى جوانب حياتهم ووصف الطرق التجارية. وكانت المعلومات التي أوردها السيرافي عن خانقو (كانتون) تتميز بالتفصيل والدقة. وإستفاد من حكاياته وأخباره عدد كبير من الجغرافيين العرب اللامعين. ونُشرت الرحلة أيضاً في باريس سنة ١٨٤٥ بإسم (سلسلة التواريخ)[٢].

ومن مؤلفات التاجر سليمان الأخرى كتاب "جزيرة العرب" وكتاب " سلسلة التواريخ في أحوال بلاد الهند والصين "، وهو بحث في التاريخ والجغرافيا وإشترك في تأليفه مع أبو زيد الحسن السيرافي عام ٣٠٤هـ/ ٩١٦ م.

---

[١] غوستاف لوبون، مصدر سابق: ٤٩٣.

[٢] خصباك، كتابات مضيئة، مصدر سابق: ٨٧.

١٣. أبو حاتم السجستاني: ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٣ م

هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن القائم السجستاني البصري، ولد في البصرة وتوفي ودفن فيها. أجاد في الجغرافية الطبيعية وخاصةً المناخية منها والجغرافية الإقتصادية. وأهم مؤلفاته الجغرافية: كتاب الشجر والنبات، كتاب النخلة، كتاب الزرع، كتاب الشتاء والصيف، كتاب النحل والعسل، كتاب الإبل، كتاب العشب والبقل، كتاب الجراد، كتاب الحر والبرد والشمس والقمر والليل والنهار[1].

١٤. الكندي: ١٨٥-٢٥٢هـ/ ٨٠١-٨٦٦م

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن قيس الكندي، من أبناء قبيلة كِندة العربية وأصلها في اليمن. نزحت عائلته إلى العراق وإستوطنت الكوفة حيث أصبح ابوه أميراً عليها أيام المهدي والرشيد. ولد الكندي في الكوفة وفيها ترعرع ثم إنتقل إلى بغداد. وشبَّ وهو صبي في أحضان الأروقة العباسية وضمّه المأمون فيما بعد إلى بيت الحكمة في حقل الترجمة، وأطلق عليه فيلسوف العرب.

---

[1] إبن النديم، مصدر سابق: ٩٣.

ومع إختلاف الآراء في سنة ولادته ووفاته لكن المرجح أنه وِلد في حوالي ١٨٥هـ/ ٨٠١ م، وتوفي في حدود ٢٥٢هـ/ ٨٦٦ م بحسب تحقيق (دي بور، ومصطفى عبد الرازق)[1].

وبرع الكندي في التأليف والترجمة من اليونانية والسريانية، وأهم الكتب التي ترجمها من تلك اللغات " الجغرافية في المعمور من الأرض لبطليموس"[2]. وبهذا الصدد ذكر فيليب حتي ورفيقاه أن (الكندي وثابت بن قرة) كانا في مقدمة ناقلي علم الجغرافيا من الترجمة اليونانية قبل ٨٧٤ م[3]. وفي هذا يقول الكندي :"نقلتُ جغرافية بطليموس إلى العربية مراراً إما عن اليونانية مباشرةً أو عن الترجمات السريانية".

وذكر بعض الباحثين أن الكندي يعد أول جغرافي في العالم أثبت أن سطوح الماء كروية مثل سطوح اليابسة. وألّف كتاباً بهذا الشأن بعنوان "رسالة في أن سطح ماء البحر كروي". ثم جاء بعد ذلك العلامة (ولاس) فإدعاها لنفسه بعد عشرة قرون.

---

[1] كوركيس عواد، الكندي: حياته وآثاره، دار مطبعة التمدن، بغداد، ١٩٦٢: ٦-٧، محمد بحر العلوم، الكندي الرائد الأول للفلسفة الإسلامية ومفخر الفكر العربي، مطبعة النجف، النجف، ١٩٦٢: ٢٢-٢٣.

[2] صبري محمد حسن، مصدر سابق، ١/ ١٩١.

[3] فيليب حتى وزميليه، تاريخ العرب مطول، ط٤، مطابع الغندور، ١٩٦٥: ٢/ ٤٦٨.

مؤلفاته:

ذكر إبن النديم أن الكندي ألّف ٢٣١ كتاباً في مختلف أنواع المعارف، وفيما يخص الجغرافيا بالمعنى العام (أي في تقويم البلدان) فإنه يعرض المسائل الجغرافية عرضاً علمياً قائماً على المشاهدة. وفيما يأتي نذكر أبرز مؤلفاته الجغرافية[١]:

١. كتاب رسالته في علم الرياح في باطن الأرض المحدثة كثير الزلازل والكسوف.

٢. كتاب رسالته في علة الرعد والبرق والثلج والبرد والصواعق والمطر.

٣. رسالته في أنواع النحل وكرائمه.

٤. كتاب رسالته في أنواع العلة الفاعلة للمد والجزر (مخطوطها يوجد في مكتبة أكسفورد).

٥. رسالته في العلة التي تكون بعض الاحيان لا تكاد تمطر.

٦. رسالته في علة تكون الضباب.

٧. رسالته في العلة التي لها يبرد أعلى الجو ويسخن ما قرب من الأرض.

٨. رسالته في أثر الكواكب على ما ينتج الأرض.

٩. كتاب في معرفة الأقاليم المعمورة.

١٠. رسالة في الفصول الأربعة.

١١. كتاب في تسطيح الكرة.

١٢. رسالة في صنعة الإسطرلاب.

---

[١] إبن النديم، مصدر سابق: ٣٧٣-٣٧٩، صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١٩٣-١٩٥.

١٥. إبن موسى: ت ٢٥٩هـ/ ٨٧٢ م

هو محمد بن موسى بن شاكر، كان له مع أخويه (حسن ومحمد) الفضل في نقل العلوم أيام المأمون إلى العربية. إشترك مع أخوته في بناء مرصد باب الطاق ببغداد. كما إشترك مع رهط من العلماء في قياس محيط الأرض عند صحراء سنجار أيام المأمون. له كتاب (حركة الأفلاك) وكتاب (التقاويم لمنازل السيارات)[1].

١٦. البلاذري: عاش من أواخر القرن الثاني للهجرة إلى ٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م

هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي البلاذري، نشأ في بغداد وأخذ على فحولها من العلماء ثم رحل طلباً للعلم فساح في حلب ودمشق وحمص وأنطاكيا والثغور والجزيرة وعاد إلى بغداد وأخذ في التدريس فتخرج على يديه علماء وأمراء منهم عبد الله بن المعتز بن المتوكل محمد بن النديم صاحب الفهرست. وأهم كتبه (فتوح البلدان) الذي يبحث في التاريخ والجغرافية التاريخية أورد فيه معلومات عن الآبار والعيون والبطائح والفيضانات التي حدثت في نهري دجلة والفرات عامة ٧هـ/ ٦٢٨ م[2]. ويورد في كتابه المذكور أخبار عن السكان والهجرات والأبنية

---

[1] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١٧٤-١٧٥.

[2] المصدر نفسه: ٤٢-٤٣.

المشهورة والخراج والسكة، ويورد معلومات عن أذربيجان وأرمينيا التي تُرجمت إلى الروسية[1].

يوجد مخطوط كتابه "فتوح البلدان" في دار الكتب المصرية، وتوجد نسخة أخرى مخطوطة في مكتبة جامعة بابل في الولايات المتحدة عُني بنشره المستشرق الهولندي دي غويه عام ١٨٦٦ ضمن مجموعته الجغرافية، ونقله إلى الإنكليزية الدكتور فيليب حتي وطبع في الأزهر عام ١٩٣٢.

وللبلاذري كتب أخرى وهي: كتاب البلدان الصغير، وكتاب البلدان الكبير الذي لم يتمه في حياته، وكتاب الأخبار والأنساب، وكتاب عهد أردشير[2].

١٧. ثابت بن قرة: ٢٢١-٢٨٨هـ/ ٨٣٥-٩٠٠ م

هو أبو الحسن ثابت بنى قرّة بن مروان الحراني الصابئي ولد بحران وتوفي في بغداد التي نشأ فيها وإمتهن الصيرفة. أخذه الخوارزمي إلى الخليفة المعتضد العباسي في بغداد. وكان يعتمد على التجربة في أبحاثه لا على التخمين والحدس. وقاس طول السنة النجمية فوجدها تساوي ٣٦٥ يوماً. وكانت له هواية في الأرصاد. قال عنه المستشرق الفرنسي (البارون كاردي فو) : "لقد قام ثابت بن قرّة بأرصاد فلكية هامة

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١٦٢.

[2] إبن النديم، مصدر سابق: ١٧٠.

في بغداد كما قام بحساب إرتفاع الشمس وطول السنة الشمسية. ونبغ الحراني في الترجمة من السريانية والعبرية واليونانية. فقد ترجم كثيراً من اليونانية إلى العربية مؤلفات أغلبها في حقل الفلك. ومن كتبه المناخية (كتاب الأنواء الجوية)، وله كتاب (رسالة في السبب الذي من أجله جعلت مياه البحار مالحة)[1].

١٨. إبن الفقيه الهمداني: ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٣ م

هو أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن الفقيه الملقب بالهمذاني (أو الهمداني)، ولد في مدينة همدان (أو همذان) الإيرانية، وعاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

وأتم تاليف كتابه الموسوم "مختصر كتاب البلدان" في حوالي ٢٩٠هـ/ ٩٠٣ م، وكان من أهل الأدب. وهو خلاصة وافية عن الجغرافية الإقليمية مع التأكيد على الجزيرة العربية والأجزاء الشرقية للدولة العربية الإسلامية. وقد إعتمد إبن الفقيه في معلوماته على رحالة في أوائل القرن التاسع الميلادي. وكانت معلوماته غير وافية عن الصين والهند[2]. وذكر إبن النديم أن كتاب إبن الفقيه كان يتكون من ألف ورقة أخذه

---

[1] المصدر نفسه، ٣٩٤، صبري محمد حسن، مصدر سابق:١/ ٥٧-٥٨.

[2] إبراهيم شوكة، الجغرافية العربية حتى نهاية القرن العاشر، مطابع دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠: ٩٣-٩٤.

من كتب الناس[1]، كما إتهمه المقدسي بعدم وجود خطة لديه يسير عليها في تأليف الكتاب.

وقام بإعداد هذه النسخة المختصرة من كتاب إبن الفقيه "علي بن جعفر الشيرازي" عام ٤١٣هـ/ ١٠٢٢ م، أي بأكثر من قرن من تأليفه. والكتاب، بنظر بعض الباحثين، يمثل خطوة إلى الخلف في الجغرافية العلمية العربية، فقد حَفِلَ بالخرافات والأساطير. ولذلك لا يحتل موضعاً متميزاً في الأدب الجغرافي العربي وإنْ لم يخل من معلومات مفيدة عن بعض أقطار العالم الإسلامي مثل الحجاز ومكة والعراق، وخاصةً البصرة والكوفة، ومصر والشام وفلسطين والمغرب وبلاد البربر وما بين النهرين.

وفيما يأتي نص من كتاب إبن الفقيه عن الأرض وأقاليمها في قوله إن بعض الفلاسفة ذكر "أن الأرض مدورة كتدوير الكرة ... والأرض مقسومة نصفين بينهما خط الإستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهذا طول الأرض وهو أكبر خط في كرة الأرض ...وإستدارة الأرض في موضع خط الإستواء ٣٦٠ درجة... وقالوا أيضاً إن الأقاليم سبعة، إقليم في أيدي العرب، وإقليم في أيدي الروم، وإقليم في أيدي الحبشة، وإقليم في أيدي الهند، وإقليم في أيدي الترك، وإقليم في أيدي الصين، وإقليم في أيدي

---

[1] إبن النديم، مصدر سابق: ٢٢٥.

ياجوج وماجوج..."[1]. ويبدأ إبن الفقيه بوصف الأقاليم وما تضم من أقطار، ثم القول في البحار وإحاطتها بالأرض.

١٩. اليعقوبي: ت بعد٢٩٢هـ/ ٩٠٥ م

هو أبو العباس أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي اليعقوبي، ويرد إسمه في المصادر بصيغ مختلفة. كان جده الأعلى من موالي الخليفة المنصور وشغل وظيفة الحاكم على أرمينيا ومصر ودفع حياته ثمناً لميوله الشيعية.

ولد اليعقوبي في بغداد لكنه غادرها مبكراً ودخل أرمينيا في عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٣ م وامضى مرحلة شبابه فيها في خدمة الطاهريين وعاش فيها طويلاً وسافر إلى خراسان والهند وفلسطين وتركستان والأندلس والشام. وتمتع برعاية الطولونيين أثناء إقامته الطويلة في مصر والمغرب. وترك وصفاً لأفريقيا قبل إنفصالها عن بقية أراضي الخلافة على يد الفاطميين، وأورد أخباراً قيمة عن الأندلس. وذكر تفاصيل غزيرة عن مدن العراق مثل الكوفة والبصرة فضلاً عن عاصمتي الخلافة. كما تحدّث عن لوبية (ليبيا) ووصف مدنها مثل برقة وسرت ودان وزويلة وفزان وطرابلس والقيروان[2].

---

[1] الهمداني (إبن الفقيه)، مختصر كتاب البلدان، عناية دي غوية، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٥: ٤-٥.

[2] أنظر التفاصيل في اليعقوبي: كتاب البلدان، ط٣، ط٣، المطبعة الحيدرية، النجف،: ٩٥-١٠٥.

وكان اليعقوبي كاتباً موسوعياً ورائداً في مختلف الحقول الجغرافية التي طرقها بل هناك من عدّه أول جغرافي عربي وصف الممالك التي زارها معتمداً على ملاحظاته الشخصية، وأول من وضع كتاباً في البلدان ومن أوائل من كتب في الجغرافية الطبيعية والإقتصادية وفصَّل في الجغرافية البشرية ومنها الجغرافية الجنسية من حيث تقسيم أجناس العالم وإهتمامه بالسكان وحياتهم. وأبرز ما جلب إنتباهه في الجغرافية الطبيعية هو تضرّس الأرض وتنوع ظاهراتها مثل الجبال والسهول والأودية والأنهار والآبار والغيوم والمطر والزلازل. وفي طيات كتابه ذكر الآلات المائية ومنها الطواحين المائية وصناعة النسيج والورق والصباغة.

وتتضح ميول اليعقوبي الجغرافية في كتابه (البلدان)، الذي ألّفه في حدود ٢٧٨هـ/ ٨٩١م، في قوله: "إني عُنيتُ في عنفوان شبابي وحدة ذهني بعلم أخبار البلدان ومسافة ما بين كل بلد وبلد لأني سافرت حديث السن ...فكنتُ متى لقيت رجلاً من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره...وزرعه ما هو، وساكنيه من هم، من عرب أو عجم ...حتى أسأل عن لباسهم ... ودياناتهم ومقالاتهم... ثم أثبتُ كل ما يخبرني به مَنْ أثقُ بصدقه... حتى سألت خلقاً كثيراً ... وكتبتُ أخبارهم ورويتُ أحاديثهم... ومبلغ خراجه وما يرتفع من أمواله ... فجعلنا هذا الكتاب مختصراً لأخبار البلدان... وقد ذكرتُ أسماء الأمصار والأجناد والكور وما في كل مصر من المدن والأقاليم والطساسيج ومن يسكنه ويغلب عليه ويترأس فيه من قبائل العرب

وأجناس العجم ومسافة ما بين البلد والبلد والمصر والمصر ومَنْ فتحه من قادة جيوش الإسلام وتاريخ ذلك في سنته واوقاته ومبلغ خراجه وسهله وجبله وبره وبحره وهوائه في شدة حره وبرده ومياهه وشربه"[1].

وقد إلتزم اليعقوبي بدقة بالخطة التي وضعها في تبويب مادة كتابه (البلدان) لكنه أسهب في وصف بغداد وسامراء بحيث أخذ ذلك ربع الكتاب تقريباً. وقد سار في هذا على غرار اليونانيين من حيث البدء ببلادهم على أنها تقع في وسط الدنيا ومركز الأرض. فتراه يقول: "وقد ذكرنا بغداد و(سرَّ مَنْ رأى) وبدأت بهما لأنهما مدينتا الملك ودار الخلافة... إنما إبتدأت بالعراق لأنها وسط الدنيا وسُرّة الأرض وذكرت بغداد لأنها وسط العراق والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعةً وعمارةً وكثرة مياه وصحة هواء ..."[2].

كما إلتزم اليعقوبي بمنهجه في الوصف حسب الجهات الأصلية الأربعة، فالقطاع الاول شمل الكلام على إيران وتركستان وأفغانستان، والقطاع الثاني شمل غربي العراق وجنوب الجزيرة العربية وغربها، والثالث شمل جنوب العراق وشرقه وشرقي الجزيرة العربية والهند والصين. أما الرابع فبيزنطة ومصر والنوبة وشمال

---

[1] المصدر نفسه، الطبعة الأوربية: ٢٣٢-٢٣٣.

[2] المصدر نفسه: ٢٣٣.

أفريقيا، وفقدت أقسام من الكتاب خاصةً خاتمته وبالتالي فقدان وصفه للبلدان المذكورة فيها[1].

إهتمامه بالمدن:

فصّل اليعقوبي في الظاهرة الحضرية حيث جذبت المدن إنتباهه وخصص لها حيزاً كبيراً، ويمكن عدّه من أوائل رواد جغرافيي المدن ومؤسسيها. إهتم بمقومات التخطيط ومواد البناء والعمارة وطرازها ومواصفات الموضع والموقع ومراحل نمو المدن وشكلها ومراتبها وتباعدها وإستعمالات الأرض الحضرية وطقس المدينة والماء والهجرة وتنوع السكان وإقليم المدينة[2].

مصادر اليعقوبي:

تمثّلت مصادر الكتّاب القدامى بالرواة وأهل العلم والرحالة والنقوش الآثارية والكتب والمراجع الأخرى. أما مصادرهم في حقول الجغرافيا في العهود الإسلامية فهي: الترجمة والرحلات العلمية والأسرى والسفارات والرحلات

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١٦٠.

[2] خالص الاشعب، اليعقوبي، هيئة كتابة التاريخ، وزارة الثقافة والإعلام،بغداد، ١٩٨٨: ٤٣.

البحرية، فضلاً عن عيون الدولة من الرجال والنساء المنتشرين في أنحاء الإمبراطورية العربية الإسلامية يسجلون الاخبار والمعلومات ويرسلونها إلى دار الخلافة[1].

منهجية اليعقوبي:

تتمثل منهجية اليعقوبي بتحديد أهداف الكتاب المزمع تأليفه؛ ودقة المعلومات التي يدونها والتبويب والإختصار والتقويم والتجديد من حيث إستقلاليته العلمية. فضلاً عن تحديد مراحل الدراسة والإعتماد على الميدان بجناحيه المشاهدة والإستجواب والإطلاع على المصادر. ويحس القاريء بإتسامه بالتواضع العلمي دون المساس بشموليته في المعالجة. وكان يربط التاريخ بالجغرافيا ويؤمن بتغير العلاقة بين الزمان والمكان، كما شخّص العلاقة بين الجغرافيا والعمران[2].

ومن خلال ما كتبه اليعقوبي في كتابه (البلدان) وما دونه من ملاحظات حول ميوله الجغرافية تظهر بوضوح نزعته التجديدية على أساس الولايات في تقسيماته لمواضيع الكتاب. ونالت طرق المواصلات منه إهتماماً كافياً. وإتجه إهتمامه إلى الجانب الإحصائي الطوبوغرافي. وأولى عناية كبرى بالخراج وبمسائل تتعلق بالأثنوغرافيا والصناعة والفنون. ويمثل وصفه للخطط التاريخية لبغداد وسامراء أهمية منقطعة

---

[1] ياسين إبراهيم علي الجعفري، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (رقم ٢١٣)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠: ١٤٣، ١٧٣-١٧٥.

[2] خالص الاشعب، مصدر سابق: ١٩، ٣١.

النظير وتتسم بسمة أدبية واضحة. أما أسلوبه فكان مبسطاً وسهل المأخذ ويتمثل بالإيضاح والإبانة في مجال الوصف العلمي. ويلاحظ في الكتاب وجود نزعة إلى التحليل العقلي، ويخلو من أي أثر للعجائب التي إفتتن بها المؤلفون الآخرون.

وتأثر باليعقوبي عدد من أعلام الجغرافيا العربية المشهورين مثل المسعودي والإدريسي والحموي وأبي الفداء والجيهاني والمقدسي وإبن خرداذبه. وفي التاريخ تأثر به إبن الأثير والطبري والتبريزي.

وتوجد مخطوطة كتابه في ميونخ وفي المكتبة الملكية البروسية، وأصبح الكتاب في متناول الأيدي بفضل الطبعات الجزئية والترجمة في عام ١٨٦٠ بعناية المستشرق الهولندي البروفسور (ويليام جونبول). كما نشره المستشرق (دي غويه) ضمن مجموعته الجغرافية في ليدن عام ١٨٩٢. وتوِّج بظهور ترجمة نموذجية للكتاب بقلم (فييت) Wiet سنة ١٩٣٧ تحتوي على تعليقات وافية. ولليعقوبي كتب أخرى مثل (تاريخ اليعقوبي) و(أخبار الأمم السالفة) و(مشاكلة الناس لزمانهم)[1].

٢٠. إبن وهب: عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي

يرجع نسبه إلى قريش، وكان من الأعيان الأثرياء، وقام، بعد سقوط البصرة على يد الزنج سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠ م، برحلة من سيراف إلى الصين، وكانت لوصفه

---

[1] أنظر: اليعقوبي، البلدان، علق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت.): ١/ ٥ (بقلم المحقق).

أهمية كبيرة لأنه بعد عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م، تمَّ القضاء على المستعمرة العربية بكانتون نتيجة الحروب الداخلية فإنقطعت الصلة بين العرب والصين وأصبح آخر ميناء تصله السفن العربية هو ميناء (كله) بالملايو. ولم يتجدد الإتصال بالصين إلّا بالنصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي.

وبعد ٢٠ عاماً من وفاة التاجر سليمان أضاف إبن وهب قصصاً أخرى للرحلات منها قصص سليمان في بداية القرن العاشر الميلادي. وحينما إلتقى المسعودي بأبي زيد الحسن السيرافي أخذ عنه رواية إبن وهب المذكورة[١].

٢١. الخوارزمي: عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي

يرى بعض المستشرقين، مثل ميللر وبروكلمان، أن الجغرافيين العرب وخاصةً البلدانيين يمثلون المعرفة اليونانية الرومانية وأن خرائطهم منقولة عن بطليموس[٢]، كذلك تقسيمات الاقاليم السبعة هي أيضاً يونانية كما يتصورون.

---

[١] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١٤١-١٤٢.

[٢] ولِدَ بطليموس وعاش بين (١٠٠- ١٧٠ م) في صعيد مصر ونشأ وترعرع في الإسكندرية التي بناها الإغريق وغزاها الرومان وكتب باللغة اليونانية وإشتهر بكتابيه (جغرافيا) و(المجسطي) وإستخدم نظام الخطوط المتقاطعة لرسم خطوط الطول ودوائر العرض لنحو ٨٠٠٠ موقع على خارطة شملت العالم المعروف حينذاك، حيث كانت الإمبراطورية الرومانية في أوج إزدهارها، وكانت أعماله مجهولة في أوربا ابان العصور الوسطى.

وهذا الرأي لا يمثل الواقع ويؤكد المسعودي أن (صورة الأرض) لمارينوس هي أفضل وأدق من صورة الأرض لبطليموس. وعند حديثه عن الصورة المأمونية ، وهي خارطة العالم التي صُنفت للمأمون، يقول المسعودي:"هي أحسن مما تقدمها من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرها"[1].

ويقول المؤرخ الأستاذ (رولنسن) في كتابه The Phoenicians (ص٤٨): "أن مارينوس إستقى معلوماته الجغرافية وحقائقها من جغرافيي الفينيقيين وإطلع على ما كتبه هؤلاء وقرأها بلغتهم". بل أن الأستاذ (فشر) Fischer يقول :"وبعد بحثي الطويل وجدتُ أن خرائط بطليموس ما هي إلّا خرائط مارينوس مصححة. واما مادة الكتاب (جغرافيا) فهي كذلك مصححة لكتاب مارينوس. ويقول:" وعند تفكيري الطويل وجدت أن الفضل الذي نفرده إلى الجغرافي اليوناني ـ بطليموس ـ يجب أن يكون من حق الفينيقيين ومارينوس الصوري، وكتابه جغرافيا عرفه العرب بترجمته من اللغة السريانية (وهي أم العربية والفينيقية) ". وبالتالي وكما يقول الدكتور إبراهيم شوكة:"وعندي أن العرب عرفوا كتاب جغرافيا لمارينوس قبل آطلاعهم على كتاب بطليموس... "[2]. ومما يستوقف النظر أن ثابت بن قرّه هو الذي ترجم كتاب

---

[1] المسعودي، التنبيه والإشراف، مصدر سابق: ٣٠.

[2] إبراهيم شوكة، تفكير العرب الجغرافي، مصدر سابق: ٩/ ١٤.

بطليموس إلى العربية ترجمة جيدة[1]. وكما هو معروف أن ثابت وُلِدَ في حران سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦ م وتوفي في بغداد سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١ م. وأن الخوارزمي كتب كتابه (صورة الأرض سنة ٢١١هـ/ ٨٣٦ م، أي أن الخوارزمي كتب كتابه حتى قبل مولد ثابت بن قره المترجم بعشر سنين[2].

مما يعني أن كتاب بطليموس لم يترجم على عهد المأمون بل متأخر عنه بعشرات السنين وإن الخوارزمي لم يعتمد عليه في تأليف كتابه (صورة الأرض)، إذ لم يطلع على ترجمة صحيحة له. والكندي كان إبن ١٧ سنة عندما ألّف الخوارزمي كتابه سنة ٢١١هـ.

ومع أن الخوارزمي لم يطلع على كتاب بطليموس لكن لا يمكن النفي من إطلاعه على كتاب (جغرافيا) لمارينوس المترجم. وبما أن كتاب بطليموس هو عينه كتاب مارينوس، عدا تصحيح بسيط، فإلتبس الأمر على المؤرخين فذهبوا الى القول الخاطئ إن الخوارزمي إعتمد على كتاب بطليموس الموسوم (جغرافيا) في تأليف كتابه (صورة الأرض)[3].

---

[1] إبن النديم، مصدر سابق: ٣٨٩.

[2] إبراهيم شوكة، تفكير العرب الجغرافي، مصدر سابق: ٩/ ١٥.

[3] المصدر نفسه: ٩/ ١٥- ١٦.

وتعظيماً لكتاب الخوارزمي قال كل من (نللينو) و(بارتولاند) إن كتاب (صورة الأرض) للخوارزمي يعد أقدم أثر في الجغرافية العربية[1]. فقد عمل الخوارزمي زيج السند هند الصغير إعتماداً على النظام الهندي. وزيجه كان يعول عليه في عهد المأمون. وشارك أولاد موسى في قياس درجة من محيط الأرض التي جرت في برية سنجار في عهد المأمون، ولابد أن يكون قد إشترك في رسم الخارطة المأمونية التي يرد ذكرها كأول الخرائط العربية التي رُسمت بناءً على إرصادات فلكية قام بها العرب. وفي ضوء ذلك صُححت كثير من أخطاء اليونانيين وخاصةً أعمال بطليموس[2].

وقد إنفرد الخوارزمي في تقسيمه للعالم المعمور آنذاك شمال خط الإستواء إلى سبعة أقاليم عرضانية تسير مع دوائر العرض وعُينت على أساس طول النهار صيفاً، والفرق بين إقليم وآخر نصف ساعة، وكلما تقدمنا نحو الشمال زادت ساعات النهار، ونهاية الإقليم السابع تعادل دائرة عرض قدرها ٥٠ درجة شمالاً بالقياسات الحالية[3].

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١٠٣.

[2] صالح فليح حسن الهيتي، "الخوارزمي"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، ١٩٨٧: ٢١/ ٩٥-٩٦.

[3] إبراهيم شوكة، خرائط جغرافيي العرب الأول، مصدر سابق: ١٠/ ٦.

وتمَّ تحديد الأقاليم السبعة على شكل جداول تشبهها أقاليم كتاب "عجائب الأقاليم السبعة" لـ (سهراب) متبعاً طريقة الخوارزمي[1]. فقد جعل الخوارزمي إمتداد الأقاليم على شكل أنطقة تمتد بموازاة خط الإستواء من المشرق إلى المغرب حتى تصل الإقليم السابع في أقصى العمران شمالاً عند درجة عرض ٦٣ شمالاً، وهو آخر العمران. وعدَّ الخوارزمي الحد الجنوبي للمعمور من الأرض هو دائرة عرض ٢٥َ ١٦ْ (١٦ درجة و٢٥ دقيقة) جنوب خط الإستواء.

ومن الأخطاء التي وقع فيها بطليموس وصححها الجغرافيون العرب تقديره لطول بحر الروم (المتوسط) بـ (٦٢ درجة)، إختزلها الخوارزمي إلى ٥٢ درجة وتلاه أبو إسحاق الزرقالي (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧ م) فإختزلها إلى ٤٢ درجة، أي ما يعادل طوله الحقيقي[2]، أي بمقدار خطأ قدره ٤٠٠ فرسخ.

فيما يأتي نذكر الفروق بين كتابي جغرافيا لبطليموس وصورة الأرض للخوارزمي[3]:

١. إن أعداد خطوط الطول ودوائر العرض في كتاب الخوارزمي قد وُضعت على أساس (الأبجد هوز)، بينما هي عند بطليموس كانت في هيأة أرقام.

---

[1] سهراب، كتاب عجائب الأقاليم السبعة، عناية هانس فون فريك، فينا، ١٩٢٩: ٥- ١٠.

[2] أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، مصدر سابق: ١/ غ.

[3] إبراهيم شوكة، تفكير العرب الجغرافي، مصدر سابق: ٩/ ١٧- ٢٠.

٢. قسّم بطليموس العالم إلى ثلاثة أقسام (أوربا، آسيا، أفريقيا) بينما قسّم الخوارزمي الأرض إلى أقاليم سبعة عرضية تمتد شرقاً وغرباً يوازي بعضها بعضاً.

٣. إن أكثر خرائط بطليموس عدداً تخص أوربا (ورسم لها ٢٤ خارطة) وآسيا وأقلها في أفريقيا، في حين أكد الخوارزمي على العالم الإسلامي والبلاد الأخرى التي جاءت عرضياً.

٤. إن اغلب اسماء المدن والأنهار والجبال والبحيرات وغيرها لازالت موجودة وتُعرف بأسمائها الحالية، وهي التي ذكرها الخوارزمي، كما هي حال العراق والجزيرة (وشكلها يكاد يكون حديثاً وكأنه بُني على المسح الجوي). بينما يندر أن تجدها الآن عند بطليموس، بل وُضعت في أماكن مغلوطة من حيث الطول والعرض.

٥. إن مرتسم الخرائط عند بطليموس هو المرتسم المخروطي، أي أن خطوط الطول مستقيمة وتتجه نحو نقطة تقع خارج القطب الشمالي وأن دوائر العرض متوازيات لجزء من أقواس دوائر متداخلة، بينما مرتسم الخوارزمي من نوع المرتسم الإسطواني البسيط، أي أن خطوط الطول ودوائر العرض كلها مستقيمة ومتوازية.

٦. يبدأ خط الطول (صفر) عند بطليموس من جزائر السعادات في المحيط الاطلسي، بينما هو عند الخوارزمي يبدأ من الساحل الأفريقي بفرق (١٠) درجات.

٧. إن معلومات الخوارزمي هي أقرب إلى الدقة العلمية، وبعض المعلومات لا توجد (أي مفقودة) عند بطليموس مثل بحيرة خوارزم (آرال)، وإن سيحون وجيحون (سرداريا وأموداريا) يصبان فيها وليس في بحر الخزر (قزوين) كما ذكر بطليموس.

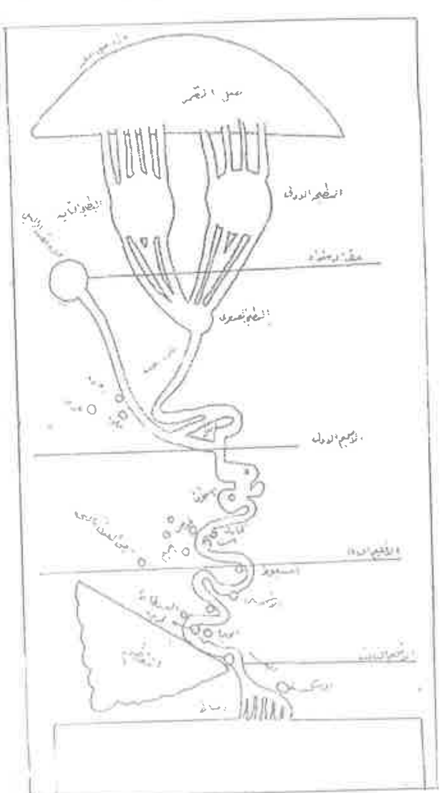
٨. إن موقع بحر الخزر والخليج العربي عند بطليموس بعيد عن الواقع عكس ما هي عليه عند الخوارزمي، فهي دقيقة.

٩. وتتضح دقة الخوارزمي في رسمه لخارطة وادي النيل والمثبتة عليها الأقاليم عرضياً من جنوب خطة الإستواء حتى الإقليم الثالث. كما أن خرائط بحر القلزم (الأحمر) وبحر الروم (المتوسط) والبحر الأسود أكثر دقةً مما هي عند بطليموس.

١٠. خرائط الخوارزمي ملونة (كما عند سهراب) وتخلو من مقياس الرسم إلّا أنها دقيقة من حيث الأبعاد والإمتدادات. وإنفرد الخوارزمي عن غيره من الجغرافيين العرب أنه رسم خارطة لبطيحة طرمي (هي بحر آزوف عند كراتشكو فسكي). وتنفرد خرائط الخوارزمي عن جميع الخرائط العربية في أن إتجاه الشمال فيها نحو الأعلى.

الشكل (١٠)

صورة النيل ومصر لمحمد الخوارزمي في كتابه صورة الارض



المصدر: ابراهيم شوكة، خرائط جغرافيي العرب الاول، مجلة الاستاذ، ١٠/ ١٩٦٢، ص٥٦.

وبهذا الصدد قال العلامة (جورج سارتون) في مقدمة كتابه "تاريخ العلوم" إن المعجزة اليونانية سبقتها آلاف الجهود العلمية في مصر وبلاد ما بين النهرين. أما العلم اليوناني فكان إحياءً أكثر منه إختراعاً. وأطلق سارتون على النصف الأول من القرن الثالث الهجري (النصف الأول من القرن التاسع الميلادي) عصر الخوارزمي.

الفصل الخامس

الجغرافيون العرب في القرن الرابع الهجري

٢٢. إبن خرداذبه : ٢٠٥- ٣٠٠هـ/ ٨٢٠- ٩١٢ م

هو أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه، عاش في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). وقد حصل على تعليم جيد، وكان لوالده فضل كبير في دراسته للموسيقى فتتلمذ ردحاً من الزمن على يد المغني والموسيقي المشهور إسحاق الموصلي وأصبح مقرباً من بلاط الخليفة المعتمد (٢٥٦- ٢٧٩هـ/ ٨٧٠- ٨٩٢ م) بسامراء وبعض مؤلفاته تدور في إتجاهات شعوبية إيرانية كما في كتاب (جمهرة أنساب الفرس)[١]. وعمل إبن خرداذبه مديراً للبريد في إقليم الجبال ثم في بغداد وسامراء. وإستفاد من مركزه الإداري في جمع المعلومات لكتابه المشهور "المسالك والممالك". ويعد من المؤلفات المبكرة جداً في الجغرافية العربية الوصفية وإقتبس منه الجغرافيون اللاحقون على نطاق واسع. وعُني كتابه بوصف طرق المواصلات بين الأقطار والمدن الإسلامية، وإشتمل على معلومات عن المدن والإنتاج الزراعي والخراج في الممالك الإسلامية، وبعض المعلومات الفلكية السطحية وكذلك طرق البلدان القصية

---

[١] كراتشكو فسكي، مصدر سابق : ١/ ١٥٥.

كالصين وتركستان والهند[1]. وذكر شيئاً عن المراكز التجارية التي أنشأها الروس Rus على نهر الفولكا إلّا أنه لم يفطن إلى أن هؤلاء ما هم إلّا قراصنة سويديّون لا صلة بينهم وبين الروس كما توهم[2].

وفضلاً عما تقدم إهتم إبن خرداذبه بذكر العجائب وفاق المقدسي في هذا الشأن، ويستشهد بالشعر أكثر من المقدسي. أيضاً إهتم بالشؤون الإدارية وخاصةً ما يتعلق بالسواد الذي يتألف من ١٢ كورة، كل كورة إستان، وطساسيجه ستون طسوجاً (ناحية). وتحدّث عن الجانبين الشرقي والغربي لبغداد وجباية السواد[3]. كذلك تحدّث عن الصقالبة ووصف الطريق من بغداد إلى الرقة، ومن الموصل إلى نصيبين ومنها إلى أرزن ووصف ديار ربيعة.

وفيما يأتي نصٌّ لأبي القاسم إبن خرداذبه وهو يتحدّث عن الأرض وخطوط أطوالها ودوائر عرضها والربع المسكون وقسميها الشمالي والجنوبي. قال أبو القاسم: "صفة الأرض أنها مدورة كتدوير الكرة... والأرض مقسمة بنصفين، بينهما خط الإستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهو أكبر خط في كرة الأرض كما أن في منطقة البروج أكبر خطٍّ في الفلك وعرض الأرض من القطب الجنوبي الذي يدور حول

---

[1] خصباك، كتابات مضيئة، مصدر سابق: ٢١.

[2] يسري عبد الرازق الجوهري، الكشوف الجغرافية، مصدر سابق: ٧٨.

[3] إبن خرداذبه، المسالك والممالك، عناية دي غوية، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩: ٥-١٤.

سهيل إلى القطب الشمالي الذي يدور حول بنات نعش. فإستدارة الأرض في موضع خط الإستواء ٣٦٠ درجة... بين خط الإستواء وبين كل واحد من القطبين ٩٠ درجة إسطرلابية إستدارتها عرضاً مثل ذلك إلّا أن العمارة في الأرض بعد خط الإستواء ٢٤ درجة ثم الباقي قد غمره البحر الكبير، فنحن على الربع الشمالي من الأرض والربع الجنوبي خراب لشدة الحر فيه، والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه. وكل ربعٍ من الشمالي والجنوبي سبعة أقاليم. وذكر بطليموس في كتابه أن مدن الارض على عهده كانت ٤٢٠٠ مدينة"[1].

٢٣. إبن كرنيب: ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢ م

هو أبو أحمد بن أبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن يزيد الكاتب والمعروف بإبن كرنيب. يعد ألمع شخصية علمية في بغداد على عهد الخلافة العباسية في عصرها الذهبي. يقول عنه إبن النديم: "... كذلك كان إبن كرنيب ينصرف بكليته إلى الأجناس البشرية وعاداتهم وأصلهم". ومن أشهر كتبه " كتاب مقالة في الأجناس والأنواع"[2]، ويبحث في الأجناس البشرية وأنواعها وعاداتها.

---

[1] المصدر نفسه: ٣- ٥.

[2] إبن النديم، مصدر سابق: ٣٨١.

٢٤. لغدة: عاش بين منتصف القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري

هو أبو علي الحسن بن عبد الله المعروف بـ(لغدة)، وهو جغرافي بارع وسائح لم يدع صغيرة ولا كبيرة في الوطن العربي إلّا وبحث عنها، ومن أشهر كتبه "جزيرة العرب". ويعد من الجغرافيين القلائل الذين إعتمدوا على المشاهدة في أبحاثهم، وسار على طريقة جديدة في البحث، وتكاد تكون الأولى في البحث الجغرافي وهي أن يبدأ بالقبلة ويجعلها نقطة البداية ومن ثم يشرح جغرافية ديارها ومياهها وطرق الإنتاج فيها . وإشتمل كتابه المشار إليه (جزيرة العرب) على[1]:

١. بحث عن اليمامة وخاصةً عن جغرافية نجد وما جاورها.

٢. بحث عن المعادن الموجودة في جزيرة العرب ومدى إستفادة السكان منها.

٣. بحث عن الحجاز من الناحية الجغرافية والجنسية والإقتصادية، وتوجد نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة دار الآثار القديمة ببغداد.

٢٥. قسطا بن لوقا البعلبكي: ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢ م

هو بعلبكي الأصل، مسيحي الملة، توفي أثناء سفره إلى أرمينيا طلباً للعلم وجمع الكتب. أشرف على قسم الترجمة من اليونانية والسريانية والكلدانية إلى العربية أيام

---

[1] مجلة المجمع العلمي العراقي لعام ١٩٥٠- ١٩٥٤، بغداد: ١/ ٤٤، ١٩٠، أيضاً صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٦٨- ٦٩.

المأمون. كتب عن الرياح وأسبابها في كتابه الموسوم (بالمروحة وأسباب الرياح) وشرح الآلات الرصدية الدقيقة المستعملة في زمانه من حيث فوائدها وطرق إستعمالها. وكتب عن تأثير البيئة الطبيعية، من حرارة وأمطار وبحار وجبال وسهول، على عادات الناس ونشاطهم الإقتصادي ولون بشرتهم كما هو مدون في كتابه (العلة في إسوداد الأحباش)[1].

٢٦. البلخي: ٢٣٥-٣٠٨هـ/ ٨٥٠-٩٢٠ م

هو أبو زيد أحمد بن سهل البلخي، ولد بإحدى قرى بلخ، وبدأ نشاطه كمعلم وقام برحلة إلى بغداد مركز الحضارة آنذاك فأقام بها ثماني سنوات أدى خلالها فريضة الحج ووقع تحت تأثير الفيلسوف الكندي (٢٥٢هـ/ ٨٦٦ م) واصبح من أكثر تلامذته المقربين، كما كانت له علاقة وطيدة بالجيهاني. وعند رجوعه إلى بلخ لم يغادرها مرة أخرى، وإشتغل بمسائل خاصة بالفلك والفلسفة كأستاذه الكندي. وشغل مدة من الزمن وظيفة كاتب لأمير بلخ أحمد بن سهل (حوالي ٣٠٧هـ/ ٩١٩ م). إرتبط إسمه بنحو ٦٠ مؤلَفاً لا تعرف إلّا إسماؤها. وفي شيخوخته (٣٠٨هـ/ ٩٢٠م) وضع

---

[1] المصدر نفسه، (صبري محمد حسن): ١/ ١٢٢-١٢٣.

البلخي مصنفه الجغرافي (المسالك والممالك) أو (صورة الأرض) مزوداً بالمصادر، وهو أشبه بالأطلس مصحوباً ببعض التوضيحات[1].

ويعد البلخي، وهو جغرافي رياضي، من رواد وأعلام المدرسة المجددة في رسم الخرائط وأصحاب أطلس الإسلام، وأرسى أساساً لسلسلة جديدة من المؤلفات الجغرافية المشتملة على خرائط شيئاً نادراً في ذلك الوقت. ويعد كتاب الإصطخري نسخة موسعة من كتاب البلخي. وذكر المقدسي في مقدمته أن البلخي قسّم صورة الأرض إلى ٢٠ جزءا ولكنه لم يذكر الأسباب المفيدة. ولا أوضح الأمور النافعة في التفصيل والترتيب، ولم يذكر كثيراً من المدن ثم نقد خرائط البلخي مثل خارطة بحر القلزم[2].

٢٧. البتاني: ٢٣٥-٣١٧هـ/ ٨٤٩-٩٢٩ م

هو أبو عبد الله محمد بن سنان بن جابر الحراني الصابئي ويعرف بالبتاني والملقب بإسم بطليموس العرب، توفي بسامراء. بدأ بدراسة علم الفلك عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م وهو إبن ٢٩ عاماً حتى أصبح من مشاهير الرصد والفلك والنجوم.

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١٩٨.

[2] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقالين، عناية دي غوية، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧، ١٩٠٦: ٤.

وحَسِبَ ميل فلك البروج على فلك معدل النهار فوجده ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة، أي بخطأ اقل من دقيقة واحدة عن الوقت الحاضر[١].

عدَّه سارتون من أعظم علماء عصره وأنبغ علماء العرب في الفلك والرياضيات. وهو خير مَنْ يمثل المدرسة الجغرافية العربية للقرن الثالث وبداية القرن الرابع للهجرة في بغداد. وألّف كثيراً من الكتب أشهرها كتاب (الزيج الصابي) وفيه شرح تأثير الفلك على الزراعة وعلى إختلاف حركات الرياح. يوجد هذا الكتاب خطياً في مكتبة الإسكوريال في مدريد ومكتبة الفاتيكان.

وقام البتاني برسم خارطة أوضح فيها حدود البحر المتوسط ووادي النيل، غير أنه أوصل بحر قزوين بالمحيط الشمالي. كما أنه بالغ في إمتداد كل من آسيا وشمال أوروبا، وتحديده للهند كان غير سليمٍ[٢].

٢٨. إبن رسته: ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣ م

هو أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بإبن رسته، عاش في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري/ أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الميلادي. أمضى شطراً من حياته في مدينة إصفهان وكان بالحجاز في عام ٢٩٠هـ/

---

[١] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ١٦٨- ١٧١.

[٢] يسري عبد الرازق الجوهري، الكشوف الجغرافية، مصدر سابق: ٧٨.

٩٠٣ م وبعد هذا العام ألّف موسوعته المعروفة بإسم (الأعلاق النفيسة) والتي لم يصل الينا منها سوى الجزء السابع الخاص بالجغرافيا والفلك.

وقد أورد إبن رسته في موسوعته المذكورة معلومات مهمة عن الإمبراطورية البيزنطية والهند الشرقية وجهات تركستان وأواسط آسيا وبلاد البلغار. وتصدّرت موسوعته مقدمة في الجغرافية الرياضية والفلكية، وتضمنت وصفاً للبحار والأنهار المشهورة والأقاليم السبعة بمدنها الرئيسة، فضلاً عن وصف مفصل لمدن إيران والعراق والحجاز ومصر. ويعد إبن رسته أستاذ القزويني، وإعتمد في كتابه على الفرغاني وابي معشر بحقول الجغرافية الفلكية[١].

وذكر إبن رسته أن الأرض مستديرة كالكرة وهي تدور على قطبين: قطب في الشمال وقطب في الجنوب وما بين القطبين ١٨٠ درجة لأن الفلك ٣٦٠ درجة مستديرة، وهو يدور في كل يوم وليلة على القطبين دورة واحدة في كل ٢٤ ساعة. ويسمى وسط السماء "القبة" وهو موضع الإستواء، في كل جهة ٩٠ درجة والقبة وسط الأرض، وإن الناس نزلوا في النصف الشمالي ما بين القبة وبنات نعش وذلك مقسوم على الربع المسكون وهو سبعة أقاليم، وباقي ذلك غير مسكون . فمن ينزل في النصف الجنوبي تحت القبة يجد عليه أن الليل والنهار متساويان: الليل إثنتا عشرة ساعة، والنهار إثنتا عشرة ساعة، ثم ما تنحّى بدرجة طال عليه نهار الصيف وليل

---

[١] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١٦٤.

الشتاء فلا يزال في زيادة طولاً حتى إذا يتنحّى عن القبة ٦٦ درجة ينتهي النهار في الطول بمقدار ٢٤ ساعة[1].

وقال أحمد بن محمد الفرغاني في كتابه المترجم "كتاب علل الأفلاك" أنه لا إختلاف بين العلماء في أن السماء على مثال الكرة وأنها تدور بجميع ما فيها من الكواكب كدوران الكرة على قطبين ثابتين غير متحركين أحدهما في ناحية الشمال والآخر في ناحية الجنوب. وأجمعت العلماء أن الأرض أيضاً بجميع أجزائها من البر والبحر على مثال الكرة والدليل على ذلك أن الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعها ولا غروبها على جميع من في نواحيها في وقتٍ واحد بل يرى طلوعها على المواضع الشرقية من الأرض قبل طلوعها على المواضع المغربية ومغيبها عن المشرقية أيضاً قبل مغيبها عن المغربية[2].

٢٩. قدامة بن جعفر: ٣١٠هـ/ ٩٢٢ م

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة، جغرافي ذائع الصيت، وهناك من يرى أن وفاته كانت في عام ٣٢٣هـ. وعُني لأول مرة في التاريخ العربي بالجغرافية الإقتصادية بشكلها العلمي الإحصائي. فقد بحث في الخراج والضرائب وطرق

---

[1] إبن رسته، الأعلاق النفيسة،، مصدر سابق،١٨٩١: ٧/ ٨– ٩.

[2] المصدر نفسه: ٧/ ١٠– ١٢.

جبايتها ومقدار تحمّل الناس على إيفائها. فقسّم الإمبراطورية الإسلامية إلى أقاليم جغرافية ومقدار ما يجب أن يدفعه كل قسم من أقسامها. وتمّ تأليف كتابه حوالي ٣١٦هـ/ ٩٢٨ م ولم يصلنا من كتابه إلا الجزء الثاني، ويمكن عدّ كتابه تتمة لكتاب إبن خرداذبه، وتناول الكتابان دور البريد في الدولة العباسية[1]. ومن أشهر مؤلفات قدامة[2]:

١. كتاب البلدان وشرح فيه الممالك والبلدان ومناخها ومواقعها وإنتاجها وسكانها.

٢. كتاب الخراج وصنعة الكتاب وفيه معلومات جغرافية عن الخراج والضرائب والأنهار والعيون والبطائح والفيضانات. وتناول فيه أيضاً ديوان البريد والسكك والطرق إلى نواحي المشرق والمغرب، حيث كان يعدد أسماء المواقع والبلدان ومسافاتها بالفراسخ بين منطقة واخرى. كما تناول مملكة الإسلام واعمالها، وجباية السواد وثغور الإسلام البرية والبحرية.

---

[1] كراتشكو فسكي مصدر سابق: ١/ ١٦٥- ١٦٦.

[2] صبري محمد حسن، مصدر رسابق: ١/ ١٢١- ١٢٢.

٣٠. إبن دريد: ٢٢٣- ٣٢١هـ/ ٨٣٨- ٩٣٣ م

هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية، ولد في البصرة وتوفي في بغداد. وذهب إلى عُمان وجزر البحرين مستقصياً حالة سكانها وطراز معيشتهم، ثم جاء إلى مسقط رأسه البصرة، وبعدها إتجه إلى بغداد. ومن أشهر مؤلفاته[١]:

١. كتاب الجو ويشرح فيه الرياح وأسبابها وتأثيراتها.

٢. كتاب السحاب أو (صفة السحاب والغيث) وفيه يشرح المطر وأسبابه والسحاب وأنواعه والفوائد التي يجنيها الناس من الأمطار.

٣١. الإصطخري: ت ٣٢٣هـ/ ٩٣٤ م أو ٣٤٠هـ/ ٩٥١ م

هو أبو القاسم وقيل أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي، عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) في مدينة إصطخر (برسبو ليس) بإيران. وكان أول الجغرافيين الذين إتبعوا طريق البلخي بل جاءت متطابقة معه، حيث قسّم العالم الإسلامي إلى ٢٠ صورة كما هي عند البلخي[٢]. وصفها كمناطق جغرافية واسعة أو ولايات وليس كأحزمة عريضة تضم عدداً من درجات العرض، وبعد الربع المعمور يصف الجزيرة العربية

---

[١] إبن النديم، مصدر سابق: ٩٨.

[٢] عبد العال عبد المنعم الشامي، مصدر سابق : ٣٣.

وبحر فارس والمغرب والأندلس وصقلية ومصر والشام وبحر الروم (المتوسط) والجزيرة والعراق وإيران والهند وأرمينيا وأذربيجان وبحر الخزر وبلاد ما وراء النهر[1].

وساح الإصطخري في العالم الإسلامي على نطاق واسع فزار أكثر بلدان آسيا حتى بلغ سواحل المحيط الهندي. وأفادته رحلاته في تأليف كتابه الموسوم "المسالك والممالك". ويبدو أنه إنتفع من معلومات البلخي بدرجة غير قليلة. ويعد كتابه رائداً للكتب الإقليمية التي أُلّفتْ بعده في منهجه ومعلوماته وتبويبه. وأورد عن كل قطر معلومات عن الحدود والمدن والمسافات وطرق المواصلات. كما روى تفاصيل عن المحاصيل الزراعية والتجارة والصناعة والأجناس، فضلاً عن بعض المعلومات التاريخية.

ومع أن إسلوب الإصطخري مبسط وإنصبَّ إهتمامه على قبائل الجزيرة العربية إلّا أنه لم يذكر مصادره بصورة واضحة. ويسلك طريقة تشبه طريقة المقدسي في ذكر التقسيمات الإدارية وحدودها بالظواهر الطبيعية، كما أن معلوماته عن الأقاليم لم تكن منسقة، فلا خطة عامة لكتابه[2].

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١٩٩- ٢٠٠.

[2] عدي يوسف مخلص، المقدسي: حياته ومنهجه مع دراسة كتابه أحسن التقاسيم، (د. ت.): ١٢٧- ١٢٨.

منهجه العلمي:

إتسم منهج الإصخري في تأليف كتابه أنه يقوم على ثلاثة أسس وهي[1]:

١. المشاهدة في الوصف كحديثه عن إقليم ما وراء النهر وديار ثمود وغيرها.

٢. تحري الدقة فيما يذكر من معلومات، مخالفاً أو متفقاً مع غيره، وأميناً في التأليف.

٣. سماع الأخبار والإقتصاد في روايتها لإثبات ما هو ضروري ومكمل لكتابه مما رآه متفقاً ومنهجه في الصحة والمنطق والتصوير.

ومما قاله الإصطخري في كتابه المسالك والممالك: "... وقصدتُ منها بلاد الإسلام بتفصيل مدنها، وتقسيم ما يعود بالأعمال المجموعة إليها ولم اقصد الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض، بل جعلت كل قطعة أفردتها مفردة مصورة تحكي موضع ذلك الإقليم، ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن، وما في أضعافه من المدن والبقاع المشهورة والبحار والأنهار... ولأن الغرض من كتابي هذا هو تصوير هذه الأقاليم التي لم يذكرها أحد علمته، أما ذكر مدنها وجبالها وأنهارها وبحارها والمسافات ... فإكتفيت ببيان موقع كل إقليم ليعرف مكانه، ثم أفردت لكل إقليم من بلاد الإسلام صورة على حدة بيّنت فيها شكل ذلك الإقليم وما يقع فيه من المدن، وسائر ما يحتاج إلى علمه... ففصّلت بلاد الإسلام عشرين إقليماً وإبتدأتُ بديار

[1] الإصطخري، منتخبات من كتاب المسالك والممالك، تحقيق الحيني، القاهرة،١٩٦١: ١٠ (بقلم المحقق).

العرب، فجعلتها إقليماً، لأن فيها الكعبة ومكة أم القرى وهي واسطة هذه الأقاليم، ثم أتبعت ديار العرب ببحر فارس لأنه يكتنف أكثر ديار العرب ثم ذكرت المغرب حتى إنتهيتُ إلى مصر فذكرتها، ثم ذكرتُ الشام ثم بحر الروم ثم الجزيرة ثم العراق ثم خوزستان ثم فارس ثم كرمان ثم المنصورة وما يتصل بها من بلاد السند والهند والإسلام، ثم أذربيجان وما يتصل بها ثم كور الجبال ثم الديلم ثم بحر الخزر ثم المفازة التي بين فارس وخراسان ثم سجستان وما يتصل بها ثم خراسان ثم ما وراء النهر"[1].

وفيما يأتي الحقائق المستنتجة من نص الإصطخري السابق الذكر[2]:

١. حدد الإصطخري نفسه بأن كتابه هو في الجغرافية الإقليمية وليس في الجغرافية العامة التي كتب فيها معظم من سبقه. فهو لم يقصد الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض وإنما كان هدف كتابه أن يصف بلاد الإسلام ومدنها. ومفهوم الإقليم الجغرافي عند الإصطخري واضح ولا يعني تلك الأقاليم السبعة التي إصطلح عليها القدماء، وليس هو منطقة تحكمها دولة بعينها، وإنما هو منطقة جغرافية ذات مظاهر طبيعية تكسبها شخصية متميزة. ولذلك فهو يميز بين خراسان وما وراء النهر، مع

---

[1] المصدر نفسه (الإصطخري)، مصدر سابق: ١٤- ١٥.

[2] محمد محمود الصياد، مصدر سابق: ٢٥- ٣١.

إنهما تحت حكم السامانيين ويجعل كل منهما إقليماً قائماً بذاته، ويعلل بين الحين والحين السبب في أنه ضمّ جزءاً إلى هذا الإقليم أو ذاك.

الشكل (١١)

خريطة العالم للإصطخري (أقاليم الأرض) نبغ عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١ م



المصدر: أحمد سوسة، العراق في الخوارط القديمة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩، الخارطة (١٥)

٢. لم يكن الإصطخري موسوعياً يضمّن كتابه كل ما يصل إلى علمه وإنما هدف إلى أن يكون كتابه جغرافياً بالمعنى الصحيح، فيكون قليل الأخبار. وبالرغم من ذلك ضمّنه بعض الخرافات، ولعل طرافتها هي التي جعلته يحرص على أن يتضمنها كتابه.

٣. الخريطة عند الإصطخري أساس الدراسة الجغرافية وهو ما تقوله جغرافية القرن العشرين والحادي والعشرين، والعلاقات المكانية لأي إقليم تعد من أهم الأسس التي تقوم عليها دراسته. ولا يغالي في أهمية خريطته العامة ويتبعها بالخرائط الإقليمية فيفرد لكل إقليم صورة على حدة. ويرى الإصطخري أن عماد ممالك الأرض، وهي الدول العظمى، أربع هي: مملكة الصين، ومملكة الهند، ومملكة الروم، ومملكة الإسلام.

٤. وبجانب الخريطة السياسية لا يغفل الإصطخري الناحية الطبيعية من الجغرافيا فالعالم عنده قسمان: جنوبي وشمالي والحد الفاصل بينهما هو الخط الممتد من الخليج (شبه جزيرة كوريا) حتى مضيق جبل طارق، أي دائرة عرض ٣٥ درجة شمالاً تقريباً. والأقاليم الواقعة شمال هذه الدائرة تميل إلى البرودة وسكانها بيض البشرة على نقيض جنوبها الحارة وأهلها سود البشرة، والأرض مستديرة يحيط بها البحر.

وعند دراسة كل إقليم منها يهتم الإصطخري بالأمور الآتية: ١. الخريطة (الصورة) ٢. العلاقات المكانية ٣. الأقسام الفرعية ٤. المظاهر الطبيعية والإقتصادية ٥. المدن الكبرى وأهميتها ٦. الطرق وأطوالها. وإهتم ايضاً بالجغرافية الإدارية وجغرافية المدن

وما في كل قسم من كور ونواحٍ وأعمال مستقرة، ويتحدث عن أطوالها وعروضها وشهرتها بالمنتجات.

٣٢. أبو الحسن العمراني: ت ٣٤٤هـ/ ٩٥٥ م

هو أبو الحسن علي بن أحمد العمراني الموصلي المهندس الحاسب، إشتهر بعلم الفلك كما إشتهر بكتبه الجغرافية (كتاب جزيرة العرب) من حيث مناخها وجبالها ووديانها ومنابع الماء فيها ومنازلها.

٣٣. أبو سعيد الحراني: ت ٣٣١هـ/ ٩٤٧ م

هو أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الطبيب الحراني، توفي ببغداد وكان على رأس الأطباء أيام المقتدر بالله العباسي. سافر إلى خراسان وعاد إلى بغداد وبقي فيها حتى وفاته. كان عالماً بالهيئة وفلكيًّا لا يجاريه أحد، عمل في خدمة الخليفة المقتدر والقاهر والراضي. ومن مؤلفاته[1].

١. رسالة في النجوم.

٢. إصلاح كتاب أبي سهل الكوهي وهو كتاب في رصد الإعتدال الخريفي أصلحه سنان بن ثابت.

٣. رسالة في خط الإستواء.

---

[1] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٧٦- ٧٨.

٣٤. أبو محمد الحسن الهمداني: ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥ م

هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني اليماني الملقب بإبن الحائك. مات بصنعاء، وهو أفضل من ظهر في بلاد العرب الجنوبية (يقصد اليمن) وأعلم جغرافييها، ساح في جميع مناطق شبه جزيرة العرب وسجل مشاهداته الجغرافية والفلكية والجنسية عنها، وله معرفة جيدة ببطليموس.

وتمكن الهمداني من فك رموز الكتابة العربية القديمة في جنوب الجزيرة العربية، وإشتهر بمصنفه "الإكليل" في عشرة أجزاء- وبعضها غير معروف- والذي يشير إلى معرفته بالأنساب والآثار وأدب الحميريين، وقد درس النقوش التاريخية[1].

ومن أبرز مؤلفات الهمداني:

١. كتاب صفة جزيرة العرب وتحدث فيه عن جغرافيتها بصورة عامة واليمن وسلالات سكانها خاصةً، نشره المستشرق (مولر) بمجلدين طبعا في ليدن بين عامي ١٨٨٤ و١٨٩١. وأهم عمل قام به الهمداني هو تحديد مواقع الأماكن ليس على الوصف فحسب، كما كان عليه الإتجاه السائد في الجغرافيا في عصره، بل حدد مواقع المدن المشهورة في الجزيرة العربية إعتماداً على موقعها بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض. ومن أشهر المدن التي حددها الهمداني: عدن، الجند، ظفار، صنعاء، مأرب، السوداء، نجران، فلج، البحرين، البصرة، الكوفة، زَبِيد، شيبام، مهرة، مكة، القدس،

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١٧٠-١٧١.

دمشق وغيرها[1]. ووزع الهمداني المدن على الأقاليم السبعة مبتدءاً بمدينة سبأ التي وضعها في وسط الإقليم الأول[2].

٢. كتاب الإكليل ويقول عنه المستشرق الألماني بروكلمان: إن كتاب الإكليل ومعه كتاب صفة جزيرة العرب يعد من أنفس المصادر الجغرافية التي تبحث عن شبه جزيرة العرب في الجاهلية والإسلام[3].

٣. كتابِ الممالك والمسالك في عجائب اليمن وجزيرة العرب.

٣٥. أبو محمد المهلبي: ٢٩١- ٣٥٢هـ/ ٨٩٣- ٩٦٣ م

هو الوزير أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون وينتهي نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة الازدي توفي عندما كان في طريقه إلى واسط وحُمِلَ إلى بغداد ودفن في مقابر قريش في الكاظمية. شغل الوزارة في عهد المعز لدين الله الفاطمي الديلمي. وهو من الجغرافيين القلائل الذين تجولوا في بلاد السودان ووصف سكانها وأحوالهم الإقتصادية والإجتماعية وصفاً دقيقاً في وقت كان الجغرافيون لا يعرفون عنها إلّا

---

[1] إبراهيم شوكة، الجغرافية العربية، مصدر سابق: ١١٠، صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٦٦- ٦٧.

[2] الهمداني، كتاب صفة جزيرة العرب، تحقيق النجدي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٣: ٦- ١٠.

[3] بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، طبعة مولر، ١٨٧٩، وط بيروت، ١٩٧٨: ٢/ ١١٦.

الشيء القليل. وسجل ذلك في كتابه الشهير (المسالك والممالك) وسماه أيضاً بـ(كتاب العزيزي) تيمناً بإسم العزيز بالله صاحب مصر يومذاك[1].

٣٦. إبن حوقل: ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٨ م

هو أبو القاسم محمد بن علي الموصلي المشهور بإبن حوقل ولد في بغداد ونشأ فيها وعاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). ويتصل بالشريف السري الاصبهاني ولأجله وضع كتابه (صورة الأرض). وهو أحد افراد المدرسة الجغرافية التي ضمّت كلًّا من الإصطخري والجوهري وإبن خرداذبه والبتاني والمسعودي.

ويمكن عدّ إبن حوقل من أوائل الحتميين الذين إستطاعوا الربط بين المناخ وغيره من الظاهرات الجغرافية. وقد قسّم العالم إلى قسمين: شمالي وجنوبي، حيث يمتاز سكان القسم الجنوبي بالبشرة السوداء التي تشتد سمرتها كلما إتجهنا جنوباً. في حين يغلب على سكان القسم الشمالي لون البشرة الفاتحة ويزدادون بياضاً كلما إتجهنا نحو الشمال حيث المناخ البارد[2].

---

[1] آدم متز، الحضارة الإسلامية،(د. ت.): ٢/ ٨، صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٦٩- ٧٠.

[2] يسري عبد الرازق الجوهري، الكشوف الجغرافية، مصدر سابق: ٨٨.

وإشتهر إبن حوقل برحلاته الواسعة في العالم الإسلامي التي دامت نحو ٣٠ عاماً، ومنهم من حددها بنحو ٢٨ عاماً، زار خلالها ٢١ قطراً ذكرها في كتابه (صورة الأرض)، وجعل لكل مقاطعة زارها خارطة تدل عليها. فهو القائل: "... وقد جعلت لكل قطعة أفردتها تصويراً وشكلاً يحكي موضع ذلك الإقليم ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن والبقاع وما في اضعافها من المدن والأصقاع... فلم أقرأ في المسالك كتاباً مقنعاً وما رأيت فيها رسماً متبعاً فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب"[1]، ويقصد به صورة الأرض. وكانت خرائطه تعطي للرسم مفتاحاً وهي مرسومة بشكل مقلوب أو مائل بالنسبة إلى موضعها الطبيعي. ويعود هذا إلى جعل إبن حوقل القبلة هي الأساس الذي يرتكز عليه في رسم الخرائط لا الإتجاهات المعروفة.

وقد بدأت رحلات إبن حوقل من مدينة السلام في شهر رمضان من عام ٣٣١هـ/ ٩٤٢م. طاف في أنحاء مصر والشام والعراق والبحرين والأحساء وإيران وأذربيجان وأرمينيا وبعض جهات آسيا الوسطى والجنوبية الشرقية والسند. كما ذهب إلى بلاد البلغار ووصل إلى أواسط نهر الفولغا، وتجول في بلدان المغرب العربي والأندلس وغربي أفريقيا حتى وصل إلى مملكة غانا. كما زار نابولي وصقلية، لذلك حفل كتابه بمعلومات قيّمة عن العالم الإسلامي والتي قصد كتاباته عنها. وفي بداية الأمر كان يهدف من تجواله الى العمل في التجارة. وذكر أنه إلتقى بالجغرافي

---

[1] إبن حوقل، كتاب صورة الأرض، ١٩٣٨: ١/ ٢- ٣.

الإصطخري عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١ م في جرجان (وفي رأي آخر السند) فطلب منه أن يعيد النظر في كتابه وخرائطه فقبل بذلك إلّا أنه غيّر رأيه فيما بعد كما يبدو[1]. وهناك من يرى أن الإصطخري طلب من إبن حوقل أن يضع كتاب المسالك والممالك على نمط كتاب الإصطخري ففعل. ولذلك كان الكتابان متشابهين ولكن كتاب إبن حوقل كان أكثر دقةً وأكبر حجماً وهو ناجم عن رحلاته الميدانية[2].

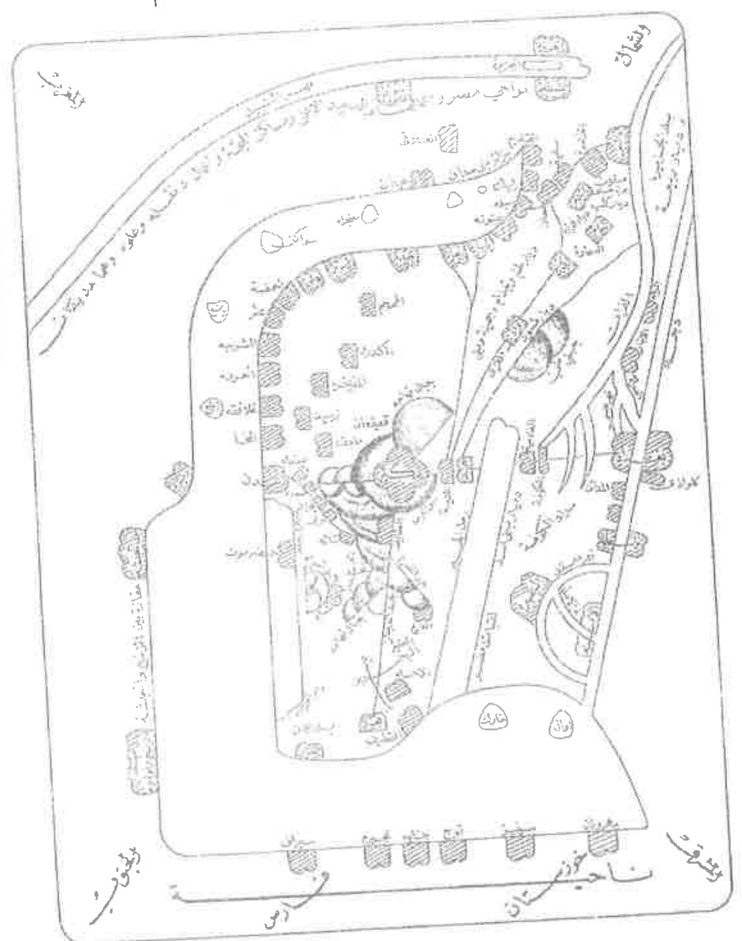
---

[1] شاكر خصباك، كتابات مضيئة، مصدر سابق: ٥٦، كراتشكو فسكي، مصدر سابق، ١/ ٢٠٠.

[2] يسري الجوهري، الكشوف الجغرافية، مصدر سابق/ ٨١- ٨٢.

الشكل (١٢)

ديار العرب لإبن حوقل (٣٦٧هـ/ ٩٧٧ م)



المصدر: أحمد سوسة، العراق في الخوارط القديمة، مطبعة المعارف ، بغداد، ١٩٥٩، الخارطة (٢٠)

وكتاب إبن حوقل "المسالك والممالك" لا يقوم على مجرد النقل والسماع بل يستند إلى الرحلة والمشاهدة وتدوين الملاحظات الشخصية. وإذا قورن بالمقدسي يلاحظ أن معلوماته المالية أدق من معلومات المقدسي ولكن الأخير فاقه في التبويب[1]. وإعتمد إبن حوقل، في مصادره، علاوةً على مشاهداته وتجواله وإختلاطه بالناس، على مؤلفات من سبقه مثل إبن خرداذبه في كتابه المسالك والممالك والجيهاني وأبي الفرج قدامة بن جعفر في كتابه (التذكرة).

وتـولى إبـن حوقـل تـأليف كتابـه (صـورة الأرض) في حـدود عـام ٩٦٧ أو ٩٧٧ م/ ٣٥٧هـ أو ٣٦٧هـ، ويتهمه بعض الباحثين أنه إستمد الكثير من معلوماته وخرائطه من كتاب الإصطخري لاسيما وأن هناك تشابهاً واضحاً بين أجزاء ونصوص الكتابين كالأجزاء المتعلقة بالبلاد العربية وفارس وكرمان وحوض السند والديلم وبحر الخزر. ومع هذه الملاحظات إلّا أنـه يمثـل ركنـاً أساسيًّا مـن أركـان الجغرافية العربية المبكرة ومنهجه القويم الذي يعد الخارطة جزءاً لا يتجزء من النص الذي يمثل شرحاً للخارطة. وقد قسم إبن حوقل العالم الإسلامي إلى ٢٢ إقليماً هـي: ديار العرب، بحر فارس، المغرب، الأندلس، صـقلية، مصـر، الشـام، بحـر الـروم، الجزيرة والعراق، خوزستان، فـارس، كرمـان، السـند، أرمينيـا، الـران، أذربيجـان، الجبال، الديلم، طبرستان، بحر الخزر، مفازة خراسان وفارس، سجستان وخراسـان،

---

[1] عدي يوسف مخلص، المقدسي، مصدر سابق: ١٣٢ - ١٣٣.

ما وراء النهر (التي تضم خمس جمهوريات سوفيتية سابقة). وتحدّث أيضاً عن كل إقليم من حيث معالمه الطبيعية والإقتصادية والبشرية.

ويتوسع في تفصيلاته للأماكن التي يزورها، فعندما جاء إلى الفسطاط قال أن "دورها مؤلفة من ٥- ٧ طوابق ... ولكثرة الرطوبة فيها نرى أسفل دورهم غير مسكون"[1]. وهكذا قدم الكتاب نماذج عالية في الدراسة الجغرافية الإقليمية.

وتوجد نسخة خطية من كتاب إبن حوقل (صورة الأرض) بخزانة السراي العتيق في إستنبول نُسختْ عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦ م). وتوجد نسخة إبن حوقل نفسه في خزانة الجامعة في ليدن والتي إعتمد عليها دي غويه، ونسخة ثالثة في جامعة أكسفورد، ورابعة في أيا صوفيا نُسختْ على كتاب إبن حوقل عام ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م. وطبع الكتاب بعناية دي غويه وترجم على يد السير (وليم أرسلي) إلى الإنكليزية في عام ١٨٠٠م ونشره المستشرق الألماني (فون كرمر) إلى الألمانية، طبع في لندن عام ١٩٣٨-١٩٣٩.

٣٧.إبن زهرون: ٣١٣- ٣٨٤ هـ/ ٩٢٣-٩٩٤ م

هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الحراني الصابي، دفن في مقبرة الشنيزي ببغداد. وقد نشأ في هذه المدينة العريقة ودرس على فحول علمائها حتى

---

[1] إبن حوقل، المسالك والممالك: ٩٦، صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ١٦٣.

أصبح حجة لا يجاريه أحد. تقلد ديوان الرسائل عام ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م، وكان واسع المعرفة في حركات الأفلاك ومراصد النجوم وصنعة الإسطرلاب. سجنه عضد الدولة بسبب وشاية، وبعد ثلاث سنوات وسبعة أشهر و١٤ يوماً أخرجه من السجن. وفي عهد إبنه شرف الدولة البويهي أصبح المشرف على مرصد بغداد، وظل على صابئيته. وعند وفاته رثاه الشريف الرضي أبو الحسن الموسوي بقصيدة. ولما عوتب الشريف الرضي على ذلك الرثاء قال: "إني رثيت فضله لا أصله ودينه"[1].

٣٨. أبو العباس النيزري: ت ٣١٦هـ/ ٩٢٢ م

هو أبو العباس الفضل بن حاتم النيزري، من أعلام الجغرافيين العرب في العصر العباسي الثاني. إشتهر بالفلك والنجوم وشرح فيه كتاب المجسطي وأخطاء الجغرافيين التي كانت شائعة في العصر اليوناني. ومن أشهر مؤلفاته[2]:

١. كتاب الزيج الكبير.

٢. كتاب الزيج الصغير.

٣. كتاب أحداث الجو.

٤. كتاب شرح المجسطي.

---

[1] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٢٣- ٢٥.

[2] المصدر نفسه، ١/ ١١٩- ١٢٠.

٣٩. سهراب: عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي

أطلق عليه البعض إسم (إبن سرابيون) وغيرهم (ابا الحسن بن بهلول) ، وله كتاب أصدر منه (مجيك) طبعة كاملة عام ١٩٣٠ بعنوان (كتاب الأقاليم السبعة) ويرد العنوان في طبعات غيرها بإسم (عجائب الأقاليم السبعة). ويرجع تاريخ تأليف الكتاب إلى ما بين عامي ٢٨٩هـ/ ٩٠٢ م و ٣٣٤هـ/ ٩٤٥ م، أي في المرحلة التي سبقت دخول البويهيين إلى بغداد.

عاش سهراب في العراق وكان معاصراً لأبي زيد البلخي مؤسس المدرسة الكلاسيكية للجغرافيين العرب ولكنه يمثل إتجاهاً مخالفاً لتلك المدرسة. فمصنفه يعد إستمراراً لمذهب المدرسة اليونانية في الجغرافيا ولو بطريقة تخالف بعض الشيء طريقة (صورة الأرض للخوارزمي). وتبويب مادة سهراب تختلف بعض الشيء عن صورة الأرض، وتقسيمات مواضيعه هي نفسها عند الخوارزمي ولكن تخالفها في التسلسل. ويمكن القول إن الإختلاف بين الإثنين، فيما يتعلق بالمادة المستقاة من المصادر اليونانية، طفيف للغاية. ومع هذا توجد قراءات عند سهراب تفضل أحياناً على قراءات الخوارزمي. أما لغة سهراب فهي أكثر إستعراباً، ويحافظ إسلوبه على مستوى النثر العلمي المعتاد، على نقيض إسلوب الخوارزمي فهو أكثر وعورة في اللغة. وتعدى تأثير الخوارزمي سهراب إلى غيره مثل الفيلسوف الكندي[1].

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١٩٩- ٢٠٠.

وتتمثل الأهمية الرئيسة لكتاب سهراب بإتساع المادة المستقاة من المصادر العربية. ويبدو أن غرضه هو إضافة مادة جديدة إلى ما جمعه الخوارزمي قبل قرن من ذلك، فيجعل مصنفه هو اقرب إلى حاجة معاصريه. ويصدق هذا عن أقسام الجبال والأنهار ، وكان وصفه لقنوات بغداد يسترعي الإنتباه، وكذلك وصفه لدلتا النيل حتى قال عنه المستشرق (غُست) Guest أنه من أهالي مصر. وكما بين (مجيك) أن هذا الزعم هو نتيجة الجهل بمصدر مادة سهراب الرئيسة وهو الخوارزمي.

وإهتم سهراب بالحساب والعدد وخطوط الطول ودوائر العرض وجميع ما وراء خط الإستواء، تحدّث عن البحار والأنهار والجبال. بدأ سهراب بالعمل في مربع عرضه نصف طوله، وإبتدأ بالكتاب من خط الإستواء إلى أفق الشمال حتى يقع بيت التسعين من الجهتين، ثم إنتقل من خط الإستواء إلى أفق الجنوب حتى يقع بيت العشرين مع أفق الجنوب، ثم بدأ بإستخراج الأقاليم السبعة، ووضع الجداول الخاصة بذلك لكي يستخرج عرض كل إقليم من مسطرتي العرض ثم بدأ بإستخراج المدن في جميع الأقاليم وما بعدها إلى عرض ٦٣ في الشمال، وهو أن يأخذ طول كل مدينة، من الجداول، الذي هي فيه وعليه موقع الطول[1].

---

[1] سهراب، كتاب عجائب الأقاليم السبعة، مصدر سابق: ٥- ١٠.

٤٠. الفتية المغرورون: عاشوا في القرن الرابع للهجري/ العاشر الميلادي

إشتهروا برحلتهم الجريئة في خضم بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) والتي قام بها ثمانية فتية أخوة كانوا يعيشون في ثغر لشبونة، وقاموا بهذه الرحلة قبل رحلة كولومبس بأربعة قرون فأبحروا مع الريح الشرقية مدة ١١ يوماً إلى موضع صخري شديد الظلمة، ثم إتجهوا جنوباً مدة ١٢ يوماً إلى أن بلغوا جزيرة الغنم فأبصروا قطعاناً هائلة منها، ثم توغلوا ١٢ يوماً أخرى في الإتجاه نفسه حتى بلغوا جزيرة أخرى فأسرهم أهلها وكانوا ذوي بشرة حمراء وشعرهم قليل ناعم وهم طوال القامة. وعندما بدأ هبوب الرياح الغربية أمر سيد الجزيرة بترحيلهم معصوبي الأعين إلى القارة التي بلغوها بعد إبحار ثلاثة إيام بلياليها. وهناك علموا من البربر أنهم بجنوبي مراكش على مسيرة شهرين من بلدهم. وكان موضع نزولهم في البقعة التي قام بها فيما بعد ميناء (آسفي). ويرجع وصف الرحلة إلى القرن العاشر الميلادي كما يروي دي غويه وذلك قبل إنشاء ميناء آسفي Asfi . ويميل "بيزلي" إلى الإعتقاد بأن الجزيرة الأولى الوارد ذكرها في الرحلة هي جزيرة ماديره Madeira والثانية إحدى جزر الكناري[1].

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١٣٧.

ويروي الشريف الإدريسي رحلتهم التي إنفرد بتسجيلها[1] والتي أصبح ما ورد بها من وصف الحيوان والنبات موضعاً للدراسات إستدل منه الباحثون أن هؤلاء الفتية المغرورين ربما أدركوا جزائر أزورا وما ديره وكناري[2].

وورد في كتاب "ليو ويز" الأستاذ بجامعة هارفرد (أفريقية وإكتشاف أميركه) وجود كلمات عربية في لغة الهنود الحمر. وأكد عالم الأجناس الأميركي (جيفري) سنة ١٩٥٥ جانباً عن اصل الشعوب الأميركية القديمة وصلاتها بشعوب العالم القديمة. فأكد أن العرب كانوا على صلة بالشواطئ الأميركية قبل مجيء كولومبس بأربعة قرون. ومما إستدل على صحة رأيه أن الذرة، وهو نبات أميركي، قد إنتشر في العالم القديم منذ ذلك الزمن على أيدي العرب[3].

وبعد رحلة المغرورين جرت محاولتان جديدتان لإكتشاف القارة الأمريكية أرسلها سلطان مالي المسلم "محمد بن قو" وقاد الرحلة الثانية بنفسه وكان شهيد تلك الرحلة. وسبق أن تكهن أبو الثناء الإصفهاني صاحب كتاب (مسالك الأبصار) الذي عاش في القرن السابع الهجري وجود قارة جديدة قبل إكتشاف كولومبس لأمريكا

---

[1] الشريف الإدريسي، ذكر الأندلس (وصف إسبانيا)على طبعة ١٧٩٩م، ١٩٨٣: ٣٦.

[2] أحمد أبو سعد، مصدر سابق: ٨٦.

[3] إبراهيم الفحام، مجلة العربي، الكويت، ١٩٥٩: العدد ١١، أيضاً: أحمد أبو سعد، مصدر سابق:٨٦.

بمئات السنين فله فضل أكبر في الإكتشاف لأنه تخيل وجودها بقوة الفطنة والإستدلال أما كولومبس فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب. ومن الأدلة على سبق إكتشاف العرب لتلك القارة وجود نباتات نقلها العرب من أفريقيا وزرعوها في أمريكا مثل الجوافة والباباي والأناناس. كما عثر العلماء على جماجم بشرية من سكان أفريقيا في كهوف (الباهاما) في خليج المكسيك وأشار إليها (جيفري) في محاضرته بجامعة أوتو[1].

٤١. إبن فضلان: عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي

هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رحالة عربي وذو علم واسع بجغرافية حوض نهر الفولكا وقبائل البلغار. كان ضمن الوفد الذي أرسله الخليفة المقتدر بالله إستجابةً لطلبه وكان يرأس الوفد "سوسن الرسي" وبضمنه إبن فضلان كفقيه ذي خبرة، لكي يبعث " من يفقهه في الدين، ويعرفه شرائع الإسلام، ويبني له مسجداً وينصب له منبراً ليقيم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته ويسأله بناء حصن

[1] تيسير ظبيان، هل آكتشف العرب أمريكا، مجلة العرب، حزيران ١٩٧٧: ٢٢٣/ ٢٣- ٢٤.

يتحصن فيه من الملوك المخالفين فأُجيب له إلى ما سأل من ذلك"[1]. وكان ملك الصقالبة يتعرض إلى ضغط الخزر من جهة الجنوب.

إتجهت الرحلة من بغداد في ٢١ حزيران ٩٢١ م (٣٠٩هـ) وإتجهت شرقاً وشمالاً مروراً بإقليم الجبال وهمدان والري (وهي قرب طهران)، فعبروا نهر جيحون ثم مدينة بخارى وبعد أن قطعوا الصحراء وصلوا مدينة بلغار على نهر إتل (الفولغا) على مقربة من مدينة قازان، ووصل الوفد إلى العاصمة في ١١ نيسان من عام ٩٢٢ م (٣١٠هـ) حيث إستغرقت الرحلة أحد عشر شهراً . وإلتقى إبن فضلان خلال هذه الرحلة بالعالم الجغرافي (الجيهاني)، وإطلع على بلدان عديدة وشعوب كثيرة وسجل مشاهداته أثناء الرحلة، وعُني بوصف عادات السكان وتقاليدهم ومناخهم وكان من أوائل من تحدّث عن ظاهرة قصر الليل وطول النهار في الصيف ونقيضها في الشتاء[2]، ووصف الجرجانية ونهر جيحون.

وفي رسالة إبن فضلان مادة إثنوغرافية قيّمة جداً ومتنوعة بصورة فريدة تمس عدداً من القبائل التركية البدوية القاطنة في آسيا الوسطى وعدداً من الشعوب التي كانت تلعب دوراً أساسياً في تاريخ اوربا الشرقية كالبلغار والروس والخزر في تلك المرحلة المبكرة.

---

[1] رسالة إبن فضلان، ص٦٧ (عن: أحمد أبو سعد، مصدر سابق: ٤٩).

[2] خصباك، كتابات مضيئة، مصدر سابق: ١٠٠.

وطبع كتابه (رحلة إبن فضلان) بعناية (فراهن) في بطرسبيرج عام ١٨٢٣، كما طبع في لينينغراد عام ١٩٣٨، ومخطوطه يوجد في مكتبة مشهد الرضا (ع). وقام الدكتور سامي الدهان بتحقيق طبعة جديدة لتلك الرحلة في دمشق عام ١٩٥٩.

٤٢. الجيهاني: عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني، كان وزير أمير خراسان وله معرفة واسعة بالديانة المسيحية. ذكر العراق وما فيه من السهول والجبال والأودية والتلال والأنهار. ويقرر المقدسي أن إبن خرداذبه هو المصدر الأساسي للجيهاني، وإن حكم المقدسي هذا لا يخلو من الإجحاف وذلك بشهادة البيروني الذي لم يأنف من الرجوع إلى الجيهاني والإستشهاد به.

والجيهاني لا ينتمي إلى المدرسة الكلاسيكية لأنه يرتبط إرتباطاً بيناً بالجغرافية الرياضية. ويؤكد هذا تقسيمه للمعمورة إلى سبعة أقاليم، وإستخدامه الإقليم بوصفه أحزمة عريضة تنتظم المعمورة من الشرق إلى الغرب، لا بمعنى المناطق الجغرافية كما هو حال المدرسة الكلاسيكية. والسمة الثانية التي تميز كتاب الجيهاني (المسالك والممالك)، الذي تمَّ تأليفه عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢ م، عن تلك المدرسة هو إهتمامه البالغ بالبلاد الأجنبية الغربية فضلاً عن جمعه مادة وفيرة عن المشرق، وإهتمامه الكبير

بالغرائب والعجائب. لهذا توجد بعض الصلة بين كتابه وكتب إبن خرداذبه واليعقوبي والجاحظ وإبن الفقيه[1].

٤٣. إخوان الصفا: النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي

هم جماعة من المفكرين المختصين في الدين والفلسفة، وكانوا يجتمعون في البصرة ووضعوا ٥١ رسالة في مختلف حقول المعرفة من دون الإشارة إلى أسماء المؤلفين وكانت بعنوان "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء"[2]. وكان الغرض من تلك الرسائل تقديم أساس عقلي للعقيدة الدينية. وتضمنت تلك الرسائل إشارات متعددة للمفاهيم والآراء الجغرافية السائدة. وتكشف تلك الآراء عن تأثرهم الشديد بالمفاهيم اليونانية ولاسيما بآراء أرسطو وبطليموس، وعنوا عناية خاصة بالجغرافية الطبيعية وإهتموا ببعض الظواهر الطبيعية والمترولوجية كالخسوف والكسوف والرياح والأمطار والبحار والزلازل والبراكين والحركات الجيولوجية. غير أن تلك الشروح لا تنطوي على أصالة بل هي مجرد نقل للفكر اليوناني والروماني[3].

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٢١٩- ٢٢٢.

[2] رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، مصدر سابق، ١٩٢٨.

[3] خصباك، كتابات مضيئة، مصدر سابق: ١٤٥.

٤٤. أبو عبد الله الحجاري: ٢٩١- ٣٦٢هـ/ ٩٠٤- ٩٧٣ م

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق الحجاري، نشأ في القيروان وعاد إلى الأندلس وتوفي بقرطبة. درس جغرافية الأندلس ومدنها وأصقاعها وإقتصادياتها وإعتمد في أبحاثه الجغرافية على البكري. أشهر كتبه "ممالك أفريقية ومسالكها" ألفه للخليفة الحكم بالله المستنصر.

٤٥. المقدسي: ٣٣٦- ٣٨٠ أو٣٩٠ هـ/ ٩٤٧- ٩٩٠ أو ١٠٠٠ م

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي البشاري، إنتقل من بيت المقدس إلى بغداد يدرس على علمائها ويلازم دور الكتب فيها، وإستهوته الجغرافيا فإنصرف إلى مراجعة ما أُلِّف فيها وصنّف ووصف ما شاهده أثناء جولاته، ويعد من الرواد العظام في الجغرافية العربية.

أمضى المقدسي سنوات طوالاً من عمره يتجول في أنحاء العالم الإسلامي ويجمع المعلومات لكتابه فزار العراق والجزيرة (آقور) ومصر وجزيرة العرب والشام وبلاد فارس وأقطار المغرب العربي لذلك جاء كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" الذي كتبه في سن الأربعين، في حدود عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥ م مثالاً يحتذى به في الكتابة الجغرافية المتقنة[1]. وإستخدم طرقاً لتمثيل الظاهرات الجغرافية المختلفة

---

[1] المصدر نفسه (خصباك): ١٠٨، كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٢٠٩.

فرسم، وعلى حد قوله "طرقها المعروفة بالحمرة وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة وبحارها المالحة بالخضرة وأنهارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالعبرة ليقرب الوصف إلى الإفهام"[1].

ووصف المقدسي وصفاً مفصلاً الأقاليم الإسلامية وجغرافيتها، فقسّمها إلى أربعة عشر إقليماً وأفرد أقاليم العجم عن أقاليم العرب وفصّل كور كل إقليم ورسم حدودها وخططها. وقسّم كل إقليم إلى ثلاثة اقسام، وتكلم في الإقليم الأول كلاماً عامًّا عن الإقليم وعلاقاته المكانية. وفي القسم الثاني تناول الجغرافية الطبيعية والإقتصادية والبشرية مثل الموقع والسطح والمناخ والأنهار والزراعة والتجارة والصناعة والخراج والأوزان والنقود والحرف والضرائب والعادات والأحوال الإجتماعية والألسنة واللهجات. وفي القسم الثالث تناول المدن والمسافات فيما بينها وطرق مواصلاتها[2].

وأوضح المقدسي أن الأرض كروية وأن خط الإستواء يقسمها إلى قسمين متساويين، وقسّم محيطها إلى ١٨٠ درجة (٩٠ درجة في الشمال ومثلها في الجنوب) وأن معظم النصف الجنوبي مياه ومعظم القسم الشمالي يابس.

---

[1] المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم، مصدر سابق: ٩.

[2] خصباك، كتابات مضيئة، مصدر سابق: ١٠٩، أحمد أبو سعد، مصدر سابق: ٨٠– ٨٢.

واعتمد المقدسي في منهجه على الخبرة والمشاهدة الشخصية والإستقصاء والسماع والإهتمام بالخارطة ضمن المتن والإعتماد على المراجع الموثوقة، فضلاً عن جولاته الميدانية ولقائه العلماء ومجالسته القضاة ودرسه على الفقهاء ومزاولته التجارة في البلدان التي زارها فأتقن مساحة الأقاليم بالفراسخ وعرف الأجناد وبحث وأحصى الخراج[1].

ويقول المقدسي عن كتابه: "إعلم أني أسستُ هذا الكتاب على قواعد محكمة وأسندته بدعائم قوية وتحريتُ جهدي الصواب، وإستعنتُ بفهم أُولي الألباب... ". وحذّر قراءه أنه لم ينقل عن أحدٍ، ولكنه خَبَرَ ودوّنَ وكتب. وهنا يلاحظ أن المقدسي دوَّن كتابه وإنتقد من سبقه من الجغرافيين. فمنهم من كتب بإختصار لا يفيد مثل الجاحظ وإبن خرداذبه، ومنهم من جمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك إليها. ومنهم من إختصر ولم يذكر الأسباب المفيدة كالجيهاني والباخي. ويقول عن إبن الفقيه الهمداني أنه "أدخل في كتابه ما لايليق به من العلوم ..."[2].

وما تقدم من أقوال المقدسي يتضح أنه كان يتوخّى الدقة فيما يكتب وأن يكون البحث مبنياً دائماً على الدرس والإختبار وأن يكون منظماً ومبوباً، وافياً في معلوماته بحيث لا يخلط بين العمل الجاد ونقيضه.

---

[1] المقدسي البشاري، مصدر سابق: ٢.

[2] المصدر نفسه: ٣- ٤.

ولذلك أعجب المستشرقون به وبكتابه فعدَّ سبرنجر Sprenger مؤلِفه أكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبةً. كما عدّه كرامرز Kramers أكثر الجغرافيين العرب أصالةً. بينما عدّ آدم متز Adam Metz كتابه ذروة ما وصلته كتب الجغرافية العربية من تقدم في وصف البلدان.

٤٦. المرزباني: ٢٩٧-٣٨٧هـ/ ٩١٢- ٩٩١م

هو أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، ولد في بغداد ودفن في جانبها الشرقي. أشهر كتبه الجغرافية "كتاب الأزمنة" وتناول فيه الفصول الأربعة والحرارة والبرودة والأمطار والغيوم والرياح والشمس والقمر ومنازله وحركات النجوم، وعدد صفحات كتابه ألفا ورقة.

٤٧. أبو الحسن بن يونس: ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م

هو أبو الحسن علي بن أبي سعيد بن يونس المنجم المصري، ولد في مصر وعاش تحت رعاية الخلفاء الفاطميين، وبنوا له مرصداً على جبل المقطم وفيه برزت عبقريته حيث رصد كسوف الشمس وخسوف القمر لعام ٢٧٠هـ/ ٩٧٨ م، وأثبت من هذا المرصد تزايد حركة القمر.

كما استعمل من هذا المرصد ولأول مرة المسقط العمودي للكرة السماوية على كل من مستوى الأفق ومستوى الزوال[1].

---

[1] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ٩٨- ٩٩.

الفصل السادس

الجغرافيون العرب بين القرنين الخامس والثامن للهجرة/ بين ١١ و ١٤م

٤٨. أبو جعفر القيرواني: ت ٤٠٠هـ/ ١٠١٠ م

هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الإفريقي القيرواني المعروف بـ (إبن الجزار)، توفي في الأندلس. وهو علم من أعلام الجغرافيا والطب في المغرب العربي وبارع فيها. عاش في أيام معز الدولة الفاطمي في مصر ثم رحل إلى الأندلس ومات فيها. أهم ما عُرف له من مؤلفات كتاب (عجائب البلدان).

٤٩. إبن الهيثم: ٣٥٤- ٤٣٠هـ/ ٩٦٥- ١٠٣٩ م

هو ابو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم البصري ولُقب بـ(بطليموس الثاني)، ولد إبن الهيثم في البصرة الواقعة جنوب العراق. عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥ م[1]، ونشأ فيها

---

[1] علي عبد الله الدفاع، إسهامات علماء المسلمين في الرياضيات، دار الشرق، بيروت، القاهرة، ١٩٨١: ٩٢.

وفي نواحيها والأهواز وبغداد[1]، وكان موظفاً في البصرة. أما وفاته فقد أقرَّ القفطي وعدد آخر من الباحثين أنها كانت بالقاهرة سنة ٤٣٠هـ/ أو بعدها بقليل[2]. وسفره إلى مصر تمَّ تحقيقاً لرغبة حاكمها حيث رحل من البصرة إلى الشام ومنها إلى مصر. ومن إبداعات إبن الهيثم أنه فكَّر بإنشاء خزان أسوان في مصر قبل تنفيذه بألف عام[3]. وفضلاً عن شهرته بالعلوم الطبيعية والرياضيات والفلك إشتهر أيضاً في الجغرافيا، فقد أوجد طريقة جديدة لتعيين إرتفاع القطب أو عرض المكان المراد معرفته على وجه الدقة، ومن بين مؤلفاته كتاب (صورة الأرض) و(خط نصف النهار) و(الإرصاد الكلية). وإختلف الكتّاب في تقديرات عدد مؤلفاته بين ٦٩ و٢٠٠، بين كتاب ورسالة.

وعموماً إعتمد منهج إبن الهيثم على الملاحظة الدقيقة والتجربة والقياس والإستقراء والإستنباط ولم يسلِّم بآراء من سبقوه، بل نظر إليها نظرة نقدية فاحصة.

---

[1] إبن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء،مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥: ٥٥٠، ٥٥٨-٥٦٠.

[2] القفطي، تاريخ الحكماء، مصدر سابق: ١٦٥- ١٦٧.

[3] باقر امين الورد، معجم العلماء العرب، مراجعة كوركيس عواد،بغداد، ١٩٨٢: ١/ ٧٠، محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م: ٢٦٨.

وسبق في آرائه ومنهجه (فرنسيس بيكون)، الذي يُعد مؤسس الطريقة الحديثة في البحث العلمي، في أوربا بعدة قرون.

٥٠. البيروني: ٣٦٢-٤٤٠هـ/ ٩٧٣- ١٠٤٨ م

ولد البيروني على الأرجح في خيوه، وهي واحة نائية في إحدى ضواحي خوارزم بآسيا الوسطى في الثاني من ذي الحجة عام ٣٦٢هـ/ ٤ أيلول ٩٧٣ م[١]. وتوفي فيها في الثاني من رجب من عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨ م. ويرى البعض أنه كان ينتمي إلى العراق الفارسي لكنه كان عربي الثقافة والولاء. لغته الأصلية الخوارزمية لكنه مال إلى العربية وجعلها لغته المفضلة وقال مفتخراً: "الهجو بالعربية أحبُّ إليَّ من المدح بالفارسية"[٢]. وفي أيامه كانت اللغة الفارسية لا تزال هي السائدة في خيوه، وتخلّت عن مكانتها إبتداءً من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي إلى اللهجات التركية.

---

[١] إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، مطبعة وكالة المعارف، استانبول، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٥: ٢/ ٦٥، بروكلمان، البيروني، دائرة المعارف، مصدر سابق: ٣٩٧.

[٢] كراتشكو فسكي، ١٩٦٣: ١/ ٢٥٢، صلاح الدين عبد اللطيف الناهي، الخوالد، ١٩٨٥: ١١، جمال مرسي بدر، البيروني، دائرة معارف الشعب، ج٣، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٨٠: ٣/ ١٣٥.

تعلّم البيروني تعلماً جيداً ودعمته أسفاره العديدة وتجواله وتعطشه الشديد إلى المعرفة فألهم مشاعره منذ سنٍّ مبكرة. وعاش حياة مضطربة تنقل خلالها بين مناطق مختلفة من آسيا الوسطى في كل من تركستان وإفغانستان وإيران والهند.

غادر البيروني موطنه وهو في سن العشرين متوجهاً إلى جرجان في الجنوب الشرقي لبحر قزوين حيث أقام فيها نحو من ١٥ سنة في ظل حكم السلطان أبو الحسن قابوس المعالي[١]. عاد إلى موطنه خوارزم سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩ م وزار مسقط رأسه مرة ثانية سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤ م. وفي جرجان عاصمة الدولة الخوارزمية لقي البيروني التقدير الكبير من أميرها أبو العباس مأمون فأتيحت له الفرصة للإجتماع بكبار العلماء أمثال إبن سينا.

وقد رافق البيروني السلطان محمود الغزنوي في معظم حملاته على الهند التي إستمرت إلى عام ١٠٢٤م/ ٤١٥هـ. وشهد معه ١٣ غزوة وطالت إقامته في غزنة مع السلطان محمود وحلفائه. وخلّف إبنه مسعود الذي قرّب البيروني للإستفادة منه. وقد ساعدته إقامته في غزنة على القيام بعدة رحلات علمية إلى الهند تمخَّض عنها كتابه الشهير (الهند) الذي ضمَّ قسمه الأول ٨٠ فصلاً في الجغرافية الوصفية والرياضية

[١] مايرهوف، كتاب الصيدنة، ص٧ (عن: كراتشكو فسكي، ١٩٦٣: ١/ ٢٤٦- ٢٤٧)، فاضل أحمد الطائي، أعلام العرب، ١٩٨٦: ٢٢٠- ٢٢١.

والإخبارية[1]. ووصف الهند مستنداً إلى دراسته للمصادر الهندية من خلال تعلّمه للغة السنسكريتية وعلى أبحاثه الميدانية.

وفي غزنة ألّف البيروني كتابه (القانون المسعودي) وهو موسوعة جامعة شاملة تحتوي على جميع العلوم الفلكية المعروفة آنذاك، وقد صحح مفاهيم بطليموس والرد عليه وإظهار أخطائه وعرض فيه المواقع الفلكية المعروفة آنذاك. أما بلدان الشرق الأقصى فقد إستقى معلوماته عنها من (سفارة خيطاي) التي زارت غزنة، وهي أسرة ملوكية أصلها من منشوريا الحالية[2].

أتقن البيروني لغات عدّة كالسريانية والخوارزمية والفارسية والعبرية والسنسكريتية والجرجانية واليونانية والتركية، فضلاً عن العربية التي فضّلها على غيرها من اللغات في مؤلفاته[3].

وللبيروني ١٩٠ كتاباً من بينها "القانون المسعودي" الذي يضم معلومات جغرافية قيّمة، ومن كتبه الجغرافية الأخرى "الآثار الباقية من القرون الخالية". ويضم كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة" ٨٠ باباً عن أحوال الهند

---

[1] أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، إستخراج الأوتار، (د. ت.)، تعليق المحقق: ٢١ – ٢٤.

[2] مينورسكي، الجغرافيون والرحالة المسلمون، نشرة دورية، (تسلسل ٧٣)، الكويت، ١٩٨٥: ١٨.

[3] أحمد سوسة، "الرحالون والبلدانيون، من العهد العربي الإسلامي"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية،١٩٦٢: ١/ ٢٩٨.

وتقويمها وقوانينها وسكانها وجغرافيتها ومعارفها في الرياضيات والفلك وانهارها وتفسيره لبعض الظواهر الطبيعية والإجتماعية كتفسيره لإمتناع الهندوس عن أكل اللحوم لأسباب إقتصادية، وفهمه لحركة المد والجزر والربط بينها وبين أوجه القمر وتفسيره لتكوين سهول شمال الهند بالترسبات وتقاليد الهندوس بالزواج[1].

وبهذا الكتاب ختم البيروني العهد الجغرافي القديم، ونشره المستشرق (سخاو) في لندن وترجم إلى الإنكليزية في جزئين عام ١٨٨٨، كما طبع طبعة جديدة في لندن عام ١٩١٠، وطبعته أيضاً دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن عام ١٩٥٧ عن نسخة قديمة محفوظة في المكتبة الأهلية في باريس.

وعن البيروني وموسوعته المذكورة عن الهند يقول سارتون "أنه من أعظم العلماء المسلمين، وهو كرحالة وكفيلسوف ورياضي وفلكي وجغرافي وواضع موسوعة من أعظم العلماء على مر العصور... "[2].

إهتمامه بعلم الجغرافيا:

قام البيروني بتحديد خطوط الطول ودوائر العرض وحدد الأماكن والمسافات بين البلدان، وله في الجغرافية الرياضية عشرة مؤلفات وأربعة كتب في هيئة الأرض.

---

(١) أحمد أبو سعد، مصدر سابق: ٩٠-٩١.

(٢) عبد الرحيم بدر، الفلك عند العرب، مؤسسة مصر للتوزيع، طرابلس، لبنان، ١٩٨٦: ٧١.

وله مقالة (في تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الأرض)، ومقالة (في تعيين البلد من العرض والطول)، وقام البيروني برسم الخرائط الفلكية. وله مبتكرات في كيفية نقل صورة الأرض الكروية إلى الورق المسطح، وكذا في كيفية رسم الخرائط الفلكية للسماوات، مما جعل فضل البيروني على فن رسم الخرائط غير منكور.

ومن مظاهر إهتمامه بالجغرافيا تفسيره لكيفية تكوين سهل هندستان، فذكر أن أصله قاع بحر ملأته الترسبات الطموية، وهو تفسير قريب من الفكرة الحديثة[1]. وورد في كتابه "تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن" آراء في كيفية تكوين القشرة الأرضية، في قوله، بكتابه المذكور، وهو مخطوط في إستنبول: "ينتقل البحر إلى البر والبر إلى البحر في أزمنة... فهذه بادية العرب وقد كانت بحراً فإنكبس، حتى أن آثار ذلك ظاهرة عند حفر الآبار والحياض بها..."[2].

والبيروني من المتحدثين عن حفر قناة السويس في كتابه "تحديد نهايات الأماكن". ففي القرن الخامس عشر نجد المقريزي يستشهد بكتاب البيروني المذكور عند كلامه عن محاولات القدماء لحفر قناة بين البحرين الأحمر والمتوسط.

---

[1] صلاح الدين علي الشامي، الإسلام والفكر الجغرافي العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٨: ١١٩.

[2] جمال مرسي بدر، البيروني، مصدر سابق: ٣/ ١٣٩.

ويقول عنه الجغرافي الإيطالي (نللينو) إن "قياس المأمون والبيروني لمحيط الأرض يعد من الأعمال العلمية المجيدة والمآثر الحميدة للعرب"[1]، بمعادلة رياضية لإستخراج محيط الأرض. ولعل البيروني خير من درس مساحة الأرض المسكونة وهي الجزء الذي أطلق عليه إسم (الربع المعمور) من الأرض والذي سبق وأن حدده بطليموس بين دائرتي عرض ١٦ جنوباً و٦٣ شمالاً[2]. بينما حدده الجغرافيون العرب بين دائرتي عرض ٢١ جنوباً و٦٣ شمالاً. فقد قسّم البيروني المعمور إلى سبعة أقاليم وإتبع طريقة الخوارزمي في هذا التقسيم وحذا حذوه فقسمها على أساس مناطق عرضية متوازية تمتد من خط الإستواء، من المشرق إلى المغرب. وإستند هذا التقسيم إلى ساعات النهار والأطوال في كل إقليم يبدأها من خط الإستواء إلى الدائرة القطبية بمعنى إظهار الإختلافات ما بين النهار والليل بخطوط متوازية تبدأ من أقصى العمارة في الشرق إلى منتهاها في الغرب[3].

---

[1] قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي، (د. ت.): ١٦٧.

[2] أبو الفدا، الملك المؤيد، تقويم البلدان، عناية رينود وديسلان، باريس، ١٨٥٠: ١٦-١٨.

[3] زكي وليدي توغان، صفة المعمور على البيروني، مطبعة اسْتانبول ١٩٣٤ : ٤، ٥٣، ٦٢ (عن: نداء نجم الدين، آلاء نافع جاسم، قراءة في بعض منجزات البيروني الجغرافية، مجلة التراث العلمي، ٢٠١١: ٢/ ٧٤).

كما صحح البيروني كثيراً من الأخطاء الموجودة عند اليونان، وهو يستبعد وجود معمور في النصف الغربي من الكرة الأرضية. إهتم أيضاً بالجغرافية الطبيعية للهند حيث درس بنيتها الطبيعية وسهولها وجبالها ومناخها. كما وزّع البحار وإحاطتها بالأرض، ويعتقد بإتصال المحيطين الهندي والأطلسي الجنوبي (جنوب القارة الأفريقية). وسمّى البحر المحيط بهذا الإسم، بينما أطلق عليه اليونان إسم "أوقيانوس". وأعطى لكل بحر إسمه، وإستعرض أسماء بعض الجبال والأقوام التي تقطن بحيرة بايكال.

ويرى البيروني أن العرب إتبعوا ثلاث طرق في تحديد المسافات، إما أنهم أخذوها من بطليموس، أو أنهم أجروا إرصادات خاصة بهم، أو أنهم إستقوا معلوماتهم من أسفار الرحالة وسير البريد. وقد طبق البيروني الطرق الثلاث مستفيداً من ملاحظاته الشخصية فيما يتعلق بشرق إيران.

٥١. أبو عبيد الله البكري الأندلسي: ٤٣٢ - ٤٨٧هـ/ ١٠٤٠ - ١٠٩٤م

هو أبو عبيد الله بن أبي مصعب عبد العزيز بن محمد البكري الإندلسي، ويرجع نسبه إلى بكر بن وائل وكان تلميذاً للعذري وإبن عبد البر، ومن الأخير تسلّم إجازته في التدريس. ولد في قرطبة وترعرع فيها وأتمَّ دراسته على فحول علمائها. وحينما شبّ أصبح موظفاً كبيراً ودبلوماسياً. إلّا أنه زهد في السياسة وإنصرف إلى العلم وتجول في مدن مختلفة من الأندلس وأقام في عدد من حواضرها وتوفي فيها.

والبكري لم يقم بجولات في العالم الإسلامي ولكن قراءاته الواسعة مكنته من تأليف كتابه الجغرافي (المسالك والممالك) الذي أكسبه شهرة واسعة ومكانة مرموقة في الفكر الجغرافي، صنفه عام ٤٦١هـ/ ١٠٦٨ م. وقال عنه المستشرق الهولندي (دوزي) Dozy أنه أكبر جغرافي عرفته الأندلس قاطبةً. ويقع الكتاب في عدة أجزاء، لم يصل إلينا منها سوى قطع تناولت أخبار شمال أفريقيا ومصر والعراق وبلاد ما وراء النهر. وكان يتحدّث عن سكان البلد الذي يتناوله وجغرافيته الطبيعية وشهرته ومناخه وحياة الناس فيه وعاداتهم وملوكهم. ويتصف إسلوبه عموماً بالجفاف مع دقة التفاصيل[١].

وللبكري كتاب آخر مشهور هو (معجم ما إستعجم) وتوجد نسخة خطية من الكتاب في دار الكتب المصرية. عُني بإستنساخها العالم الألماني (فرديناند)، وطبعت في مجلدين ظهرا عامي ١٨٧٦ و ١٨٧٧. وقام بتحقيق الكتاب أيضاً مصطفى السقا وطبع سنة ١٩٤٥ وركز على جزيرة العرب وحدودها ونزولهم فيها ومنازلهم ومحل كل قبيلة منها مع ذكر تفاصيل هذه القبائل إلّا أن تركيزه يقع على المدينة ومكة واليمامة واليمن[٢]. كما ذكر في كتابه قبائل العراق قبل الإسلام مثل الأزد وخزاعة وقضاعة.

---

[١] كراتشكو فسكي، ١٩٦٣: ١/ ٢٧٥، خصباك، كتابات مضيئة، ١٩٧٩: ١٤٠.

[٢] أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما إستعجم، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، ١٩٤٥: ٥

وبعد ذكر القبائل القحطانية إنتقل إلى القبائل العدنانية مثل أياد وتغلب وبكر بن وائل وربيعة. كما تناول تضاريس سطح الأرض مثل الأودية والأنهار والمرتفعات ومراكز العمران والديارات[1].

ويمثل كتابه المذكور معجم في الأمكنة والبقاع الجغرافية التي تتعلق بالمشرق دون ذكر الأندلس. وإتصف الكاتب بالأمانة العلمية حيث كان يذكر المصدر الذي إعتمد عليه عند ورود خبر معين. يقول عنه (دوزي) إن الكتاب يحوي على عدد ضخم من أسماء الأماكن والجبال والأنهار والمياه. ومقدمة الكتاب مهمة وفيها إشارات عن المغرب وأقسامها الجغرافية وقبائلها العربية ووقائعها وأيامها.

٥٢. العذري: ٤٠٧-٤٩٦هـ/ ١٠١٦- ١١٠٢م

هو أحمد بن عمر العذري، من العلماء الذين أسهموا في توثيق الصلة بين شطري العالم الإسلامي وفي تكوين مدرسة المرية الجغرافية التي من أقطابها أبو عبيد البكري (٤٣٢- ٤٨٧هـ/ ١٠٤٠-١٠٩٤م) الذي إشتهر بكتابه "المالك والمسالك" و "معجم ما إستعجم". ولد العذري في بلدة (دلاية) القريبة من مدينة المرية وتقع

[1] علي المياح، جغرافية العراق في معجم البكري، منشورات المجمع العلمي العراقي ٢٠٠٢: ١١- ١١٦.

على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة الأندلسية. رحل إلى مكة سنة ٤٠٧هـ ومكث فيها حتى سنة ٤١٦هـ ثم عاد إلى الأندلس.

وللعذري كتاب في الجغرافيا يحمل عنوان كتاب "ترصيع الأخبار"، ويبلغ عدد أوراق القطعة التي عثر عليها من مخطوط كتابه المذكور ٤٨ ورقة من الحجم الكبير كتبت بخط أندلسي قديم واضح يذكر فيه المؤلف الكور المصرية ثم كرمان (إيران) وبلاد الشام وأقسامها الجغرافية منها فلسطين وهي الشام الأولى والمسافات بين المدن. وتوجد أكبر مجموعة من نصوص كتاب العذري عند زكريا القزويني لا علاقة لها بالأندلس حيث يتحدّث فيها عن جزيرة صقلية وقبرص وايرلندا وكرمالة وباطن الروم[1].

منهج العذري: يتضح منهجه من خلال تتبع النقاط الآتية:

١. قسّم العذري كتابه إلى سبعة أسفار تناول فيها المواضيع نفسها التي تناولها البكري مع إستطرادات تاريخية تفوق مثيلاتها عند البكري وكان آخرها الجزء الخاص بالأندلس.

٢. إهتم العذري بذكر الغرائب والعجائب في الأقاليم الموصوفة.

٣. يمكن التعرف على منهجه من خلال تصنيفه للمادة الجغرافية في بلاد الأندلس لوفرة معلوماته عنها وبضمنها المعلومات الإقتصادية ومناخها ومصادر مياهها.

---

[1] عبد الله يوسف الغنيم، الجغرافي الاندلسي، مصدر سابق: ٣- ١٧.

٤. تتضح منهجية العذري في تقسيمه للأندلس إلى قسمين: شرقي وغربي والفاصل بينهما كان حداً طبيعياً.

٥. يضاف إلى التقسيم العام للأندلس أن العذري قسّم كل قسم إلى مجموعة من الكور، وكل كورة تضم مجموعة من الأقاليم والأجزاء. والإقليم بمفهومه هنا يشمل النطاق الإداري للمدينة ويقابل (الرستاق) عند المشارقة. أما الجزء فهو عبارة عن منطقة تضم الغابات والأحراش لأهل الإقليم المحيط بها، ويهتم العذري بتعليل أسماء المدن وتفسيرها[1].

٥٣. الزمخشري: ٤٦٧-٥٣٨هـ/ ١٠٧٤-١١٤٣م

هو أبو القاسم الشيخ محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، ولد في خوارزم ونشأ في بغداد وتربى فيها، وتوفي بعد عودته من مكة. أشهر كتبه الجغرافية "الأمكنة والمياه والجبال" ترجم إلى اللاتينية والألمانية وطبع في لندن عام ١٨٥٦ على يد المستشرق الهولندي جونبول.

٥٤. الشريف الإدريسي: ٤٩٣-٥٦٠هـ/ ١٠٩٩-١١٠٠م

الأدريسي هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، لُقب بالحسني الطالبي الشريف، وهو جغرافي ومؤرخ ونباتي ورحالة وأديب وشاعر. ويمثل

[1] المصدر نفسه، ١٧-٢٦.

الإدريسي خاتمة الجغرافيين العرب والرحالة ذوي الأصالة العلمية والتفهم الصحيح لعلم الجغرافيا. وهو من أكثر الجغرافيين العرب المسلمين معرفةً بالأقطار الأوربية والأفريقية. ويعد كتابه "نزهة المشتاق" من أهم المصادر العربية القديمة، وصنع أول كرة أرضية من الفضة. وتعد خارطته من أفضل الخرائط القديمة في دقتها وشمولها وضاهت خارطة بطليموس بل فاقتها دقةً. وفي هذا يقول العالم الفنلندي البارز في مجال الجغرافيا (يوحنا كاريسيكو): "حق لنا أن نعد خارطة الإدريسي خارطة عالمية بالمعنى الذي نعرفه اليوم".

ينتمي أبو عبد الله إلى بيت الأدارسة العلويين الذين طالبوا بالخلافة لذلك إشتهر بالشريف الإدريسي. ولما قتل إبن أخيه الحسين بن علي أيام ثورته بمكة على الخليفة العباسي علي الهادي في موقعة الفخ سنة ١٦٩ (أو ١٧٠ هـ)/ ٧٨٦ م)، إختفى إدريس مدة من الزمن، ثم هرب إلى مصر بصحبة مولاه وأمينه راشد ثم وصل مراكش ونزل بمدينة (وليلي) في مكناس. وهناك إستقبله إسحاق بن محمد زعيم قبيلة (أَوْرَبَة). وهي قبيلة من البربر، وتم إنتخابه زعيماً لها نزولاً عند رغبة إسحاق وتبعتها قبائل أخرى[1]. وقام بدعوته وخلع طاعة بني العباس سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٩ م وأسس دولة الأدارسة بنواحي سبتة وبقي فيها حتى وفاته عام ١٧٥هـ فأقاموا الدعوة لإبنه

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، منشورات وزارة الثقافة، القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف، (د. ت.): ٥/ ١٨٠.

إدريس الأصغر. وإستمر حكم الأدارسة ٢٠٣ سنوات وإمتد نفوذهم من السوس إلى وهران وقاعدة حكمهم مدينة فاس.

ولد الشريف الإدريسي في سبتة من أبوين عربيين أندلسيين، وتلقى في حداثته التعليم في المغرب وحفظ القرآن الكريم – عند الكتّاب – والمتون واللغة العربية والفقه وعرِف القاضي عياض وهو قاضي سبتة ومعلمها. وبذلك أمضى طفولته بالمغرب ثم إنتقل في صباه إلى قرطبة بالأندلس لإتمام الدراسة الثانوية والعليا في جامعتها[1]، لأن الأندلس كانت من ممالك المغرب وأن هناك من بقايا الأدارسة من أجداده، مما أعانه على الدرس ووجهه. ويرى (ميللر) أن وصفه الدقيق لقرطبة يدل على أنها كانت مقر دراسته وموطن تخرجه[2]. وتمت دراسته العليا على أساتذة مشهورين وتخصص في الجغرافيا والطب.

بدأت أسفاره في سنٍّ مبكرة عندما كان عمره ١٦ عاماً (٥١٠هـ/ ١١١٦ م) وزار لشبونة وإيطاليا وسواحل فرنسا وإنكلترا. وتجول في بلدان البحر المتوسط ثم رجع إلى شمال أفريقيا وقصد مصر والشام حيث زار المدن والقرى وأقام فيها مدة طويلة. وزار آسيا الصغرى والقسطنطينية واليونان ولم يكن يتجاوز عمره ١٨ عاماً. ووصل إلى منابع النيل ووجد أن مصدر مياهه هو البحيرات التي تقع جنوب خط

---

[1] شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، مصدر سابق: ٣٨٢.

[2] أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، مصدر سابق: ٢/ ٢٧٥.

الإستواء ورسم لها خارطة شهيرة توجد في أحد المتاحف الفرنسية. ويعد الإدريسي أول جغرافي عربي تنقل على نطاق واسع في القارة الاوربية.

ذهب الإدريسي إلى صقلية عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨ م وكانت هذه الجزيرة في السابق من المعابر التي إنتقلت عن طريقها الحضارة الإسلامية إلى أوربا، فأصبحت بالرمو (عاصمة صقلية) عاصمةً لأمراء العرب بعد عام ٨٣١ م وبرزت فيها الحضارة العربية وفنونها[1].

ولا يعرف مصير الإدريسي بعد وفاة الملك روجر الثاني عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٤ م وهو العام الذي أنجز فيه الإدريسي كتابه "نزهة المشتاق" وأهداه إلى صديقه روجر الذي توفي بعد ذلك بشهر ونصف نتيجة مرضٍ عضال. وقضى في تأليفه ١٥ عاماً. ويرى كراتشكو فسكي وعبد الله كنون وآخرون، ومنهم الباحث، أن الإدريسي عاد إلى مسقط رأسه سبتة في شيخوخته وتوفي فيها، عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤ م[2].

وللإدريسي ١٤ كتاباً أشهرها " **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**" ويمثل هذا الكتاب موسوعة جغرافية مصنفة على الأقاليم السبعة المعروفة يومذاك. كما أنه مزود بـ (٦٩ رسماً) ومقطعاً وقيل ٧١ رسماً بعد إضافة الخارطة المدورة الموجودة في مقدمة

---

[1] أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية ، الطبعة العربية، الجزائر، ١٩٤٦ : ٢٣٦- ٢٣٧.

[2] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٢٨٠.

الكتاب. ولو جُمّعت لظهرت على شكل مستطيل يمثل الأقاليم المعروفة في ذلك الوقت.

وروجر الثاني ملك صقلية هو الذي كلّف الإدريسي بتأليف كتابه المذكور الذي قدّم في موسوعته هذه وصفاً موجزاً للأرض التي تصورها على شكل كرة مع وصف قصير للأقاليم والبحار والخلجان ثم إنتقل إلى وصف سطح الأرض بالتفصيل. كما وصف الأندلس وإسبانيا والمغرب وبحر الإدرياتك وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط وأفريقيا الشمالية وهي البلاد التي تجول فيها. فضلاً عن وصفه أوربا الشمالية مثل المانيا والبلاد الإسكندنافية[1]. وإعتمدت معلوماته عن الروس على روايات إبن حوقل والجيهاني، غير أن (نللينو) إعتقد أن معلوماته عن بلاد آسيا وأفريقيا غير الإسلامية إعتمدت على بطليموس[2].

ولقد رسم الإدريسي خارطته على تصورٍ جديد يختلف عن تصور القدماء والقائل إن الأرض مسطحة أما هو فقد صحح الفكرة وقال انها بيضاوية الشكل محاطة بالماء وقسمها إلى قسمين بفصلها خط الإستواء، وقد رسمها بشكل مثير للدهشة عدا قارتي أمريكا واستراليا حيث لم تكشف بعد. ويعد أطلس الإدريسي أهم أثر للكارتوكرافيا العربية في العصور الوسطى.

---

[1] محمد عبد الله عنان، "الشريف الإدريسي"، مجلة العربي، الكويت، ١٩٦١: ٢٩/ ٩٢-٩٦.

[2] فيليب حتى وزميليه، تاريخ العرب مطول، مصدر سابق: ٢/ ٢٧٢.

وبعد أن تمَّ تجميع خرائط الإدريسي ونشرها بفضل جهود عالم الخرائط الألماني (ميللر) الحاذقة، أصبحت هذه الخرائط مرئية فوق جدران أكثر المؤسسات التعليمية في العالم الغربي. وتوصل ميللر من خرائط الإدريسي السبعين التي صنفها لأجزاء العالم، بعد أن جمعها الواحدة إلى جنب الأخرى، إلى خارطة كبيرة موحدة للعالم بطول مترين وعرض متر ونشرها بالحروف اللاتينية وطبعت طبعة أنيقة بالألوان الأصلية في عام ١٩٢٨، كما طبعت عام ١٩٥١ طبعة باللغة العربية.

ونظراً لأهمية هذه الخارطة قام المجمع العلمي العراقي بتحقيق الأسماء الواردة في تلك الخارطة ومقارنتها بخرائط الإدريسي الملحقة بكتاب " نزهة المشتاق" واخرج منها خارطة عربية بالحجم نفسه والألوان والعوارض التي وضعت في خارطة ميللر.

منهجه العلمي:

إن مصادر الإدريسي الأساسية في كتابه وخارطته هي مشاهداته الشخصية وكتب المتقدمين في علم الجغرافيا، مثل المسعودي، الجيهاني، إبن خرداذبه، العذري، اليعقوبي، بطليموس الاقلودي، أرسيوس الأنطاكي. وكذلك إعتمد على ما رواه السياح من المعارف الكثيرة، وعلى عدة خرائط، وعلى ما كان يسجله من أحاديث التجار والحجاج المسافرين والملاحين في السفن التي كانت ترسو في موانئ صقلية، وكذلك من الموفدين الذين أرسلهم الإدريسي. وكان يدقق ما يصله من هؤلاء من معلومات ويعيد صياغتها وبعد أن يتأكد منها يثبتها على خارطته لأنه كان يتوخى

الحصول على معلومات موثوقة من مصادرها الأصلية بالمعاينة والمشاهدة والتدقيق الشخصي كما أشار الصفدي[1].

وفي ضوء ما تقدم حصل الإدريسي على معلومات مبنية في الأساس على تقارير مبتكرة حصل عليها عن طريق موفدين سبق وأن أرسلهم- بمساعدة روجر ملك صقلية- إلى بلدان متفرقة لكي يأتوه بالمعلومات التي يتفحصها، ومن ثم يدونها مما يدل على رجاحة عقله وسعة صدره، فضلاً عن إدراكه لكروية الأرض.

وقد أضاف الإدريسي تصنيفاً جديداً إلى الأقاليم السبعة، حيث قسّم كل إقليم منها إلى عشرةِ أقسام متساوية تبدأ من القطب الشمالي وتنتهي بالقطب الجنوبي، جعل لكل قسم خارطة. وبذلك حصل على مستطيلات محددة من الأرض وما يقع فيها من الأقطار والمعالم الجغرافية. وهو بذلك قد خالف من سبقه من الفلكيين الذين قسموا قبة الفلك فوق الأرض إلى ٣٦٠ درجة وذكروا ما يقع مقابل كل خط من المدن وتصوروا أن خطوط الطول مستقيمة متوازية[2]. إلاّ أن الإدريسي عدَّ طول الدرجة الواحدة (بين خط وآخر) ٧٥ ميلاً أي أنها أطول مما هي عليه الآن بقليل. ولذلك فإن قياساته لم تكن دقيقة جداً ولكنها أقرب إلى الواقع من التقسيم الفلكي الذي كان

---

[1] عباس فاضل السعدي، موضوعات وأعلام، ط١، مؤسسة الوراق، عمان، ٢٠١٤: ١٤٦- ١٤٧.

[2] فلاح شاكر أسود، علم الخرائط: نشأته وتطوره ومبادئه، بيت الحكمة، جامعة بغداد، ١٩٨٩: ١٠.

سائداً قبله[1]. فأصبح العالم المعمور عند الإدريسي مقسماً إلى ٧٠ قسماً، كل قسم ملحق به خارطة توضح ما في داخله من مدن وجبال وبحار وجزر وأنهار وطرق وغيرها. ومن مجموع تلك الخرائط السبعين تفتقد منها عادةً في المخطوطات واحدة أو إثنتان[2].

كما أضاف الإدريسي خارطة جامعة للعالم رسمها على شكل دائرة في مطلع كتابه نزهة المشتاق نقلها عن كرته الفضية تمثل التقليد الذي سار عليه الجغرافيون العرب في تصوير العالم على شكل دائرة تدور حول المحيطات من جميع أطرافها. وهذه الخارطة هي الوحيدة التي يمكن ربطها بمنهج (أطلس الإسلام) أو المدرسة الكلاسيكية.

٥٥. أبو عبد الله الغرناطي: ٤٧٢-٥٦٥هـ/ ١٠٨٠-١١٦٩ م

هو أبو عبد الله محمد المازني القيسي الغرناطي، ولد في غرناطة وتوفي بدمشق، وهو من بين أهم الرحالة العرب الذي سافر وكتب عن الأماكن النائية في روسيا والفولكا وبلاد المجر وكشف عن طرق التجارة وطرق المقايضة التي كانت سائدة حينذاك في روسيا.

---

[1] حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، مدريد، معهد الدراسات، ١٩٩٦: ٢٠٧-٢٠٨.

[2] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٢٨٩- ٢٩٠.

رحل الغرناطي إلى مصر وحلب وبغداد وخراسان ومنها إلى روسيا عام ١١٣٦م/ ٥٣١هـ حتى وصل إلى نهر الفولكا وشاهد النشاط التجاري في البلغار وطرق المقايضة. ومن أشهر مؤلفاته[1]:

١. تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ويبحث عن سكان المعمورة وأنسابهم وعجائب البلدان وصفة البحار وعجائب حيواناتها والقبور وساكنيها. نشره المستشرق الألماني (فراند) عام ١٩٢٥، والمخطوطة توجد في مكتبة جامعة برلين.

٢. نخبة الأذهان في عجائب البلدان ويبحث في إسبانيا وأفريقيا الشمالية والإسكندرية والقاهرة وعسقلان وبحر الخزر من حيث السكان والعادات والإقتصاد والجغرافيا. توجد نسخة خطية من الكتاب في برلين.

٣. عجائب المخلوقات ويبحث عن الكائنات الحية في البر والبحر، وتوجد المخطوطة في جامعة أكسفورد.

٤. المعرب عن بعض عجائب المغرب.

٥. تحفة الكبار في أسفار البحار ويتناول البحار وأسفارها وخلجانها وجزرها.

---

[1] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ١٥٢-١٥٣.

٥٦. أبو جعفر الخازن: عاش في عهد السلطان سنجر ٥١١-٥٥٢هـ/ ١١١٨-١١٥٧م

هو أبو جعفر محمد بن حسن بن روح الصابي المعروف بالخازن، وهو أول عالم عربي بحث في موضوع الهيدروستاتيكا قبل نورشيلي وباسكال وبويل بقرون طويلة. ويعد أول عربي وضع المصورات الجغرافية التي تدرس كل إقليم على حدة كدلائل للمسافرين كذلك أوجد تراثاً عربياً مهماً في الرصد والآلات الفلكية. ومن أشهر كتبه:

١. كتاب زيج الصفائح

٢. كتاب الآلات العجيبة (وهي آلات رصدية)

٣. المسائل العددية

٥٧. أبو بكر بن طفيل: ٥٠٦-٥٨١هـ/ ١١١٠-١١٨٥م

هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي، ولد في غرناطة وتوفي في مراكش. وهو أستاذ الفلاسفة في الأندلس كإبن رشد. ومن كتبه "البقع المسكونة وغير المسكونة"، ويبحث فيه عن الأرض وما فيها وما عليها والسماوات وأفلاكها ونجومها.

وقد تعمق إبن طفيل في دراسة سطح الأرض وتأثير الحرارة على سكانها فهو القائل في (حي بن يقظان) ما نصه: " إن بقاع الأرض التي تقع على خط الإستواء

تكون الشمس عمودية على رؤوس أهلها مرتين في العام، المرة الأولى عند حلول الشمس برأس الحمل ومرة أخرى عند حلولها برأس الميزان وعلى هذا فليس عندهم حر مفرط ولا برد مفرط وأحوال سكانها، بسبب ذلك، متشابهة "[1].

٥٨. أسامة بن مظفر: ٤٨٨-٥٨٤هـ/ ١٠٩٥-١١٨٧م

هو مجد الدين أبو مظفر مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني الشيرزي. شبّ وترعرع بين جدران البلاط النوري بدمشق ثم إنتقل إلى مصر على أيام الملك الصالح الفاطمي، ثم عاد إلى دمشق وسجن في حصن كيفا. وعندما جاوز التسعين من عمره أخرجه صلاح الدين الأيوبي. توفي في دمشق شرقي جبل قاسيون.

ولإسامة تراث خالد في الجغرافيا تمثل في كتاب الإعتبار تناول فيه الجغرافية الإقتصادية من حيث أنواع الغلات التي تزرع في سوريا. كما تناول الغابات في الشمال وسفوح الجبال وأشار إلى فائدة الإنسان منها وذكر طرق صيد الأسماك في شواطئ الأنهار مثل دجلة والفرات والعاصي والنيل. ويوجد المخطوط الأصلي لكتابه المذكور في مكتبة أكسفورد ويقع في ٨٨ ورقة مكتوبة بالخط الشامي، ومخطوطات أخرى توجد في إسبانيا، كما نشر فيليب حتي مخطوطة عام ١٩٣٠[2].

---

[1] المصدر نفسه: ١/ ١٦٠-١٦٢.

[2] أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل)، تقويم البلدان، مصدر سابق: ١-١٤.

٥٩. جمال الدين إبن الجوزي: ٥١٠- ٥٩٧هـ/ ١١١٦- ١٢٠١ م

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن عبد الله البكري المعروف بإبن الجوزي، ويعود نسبه إلى الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، ولد في بغداد وتوفي بها. له ٣٠٠ كتاب في مختلف العلوم والفنون وأشهر كتبه الجغرافية هي[١]:

١. كتاب تبصرة الأخبار في نيل مصر وأخواتها من الأنهار ويبحث فيه عن أثر مياه النيل في حياة مصر الإقتصادية ويقارن النيل مع أنهار أخرى زارها.

٢. كتاب تاريخ الخميس، ويعرف أيضاً بإسم كتاب "مثير عظم الساكن إلى أشرف الأماكن" وهو من الكتب الجغرافية النفيسة الذي لا زال مخطوطاً في برلين.

٦٠. إبن جبير: ٥٤٠- ٦١٤هـ/ ١١٤٥- ١٢١٧ م

هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن سعيد بن جبير الكناني، ولد في مدينة بلنسية ودرس الحديث والفقه والشعر والأدب وسكن مدينة غرناطة. ورسخت في ذهنه فكرة تدوين مشاهداته منذ أن شرع بالتوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج للمرة الأولى تكفيراً عن كأس خمرٍ شربها بعد أن أجبره عليها حاكم غرناطة أبو سعيد عبد المؤمن وكان إبن جبير كاتبه. وبدأت رحلته في شباط من عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٣ م.

---

[١] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٨٧- ٨٨.

ومرَّ إبن جبير في رحلته بسبتة وسار بمحاذاة سواحل سردينيا وصقلية حتى دخل ميناء الإسكندرية ومنها ركب النيل إلى القاهرة ثم غادرها إلى صعيد مصر فوصل إلى مرفأ عيذاب ومنه نزل إلى جدة، ثم صحب قافلة إلى مكة حيث أقام فيها حوالي عام ونصف ثم مرَّ بالمدينة في طريق عودته إلى الكوفة وزار الحلة وبغداد وفيها زار المدرسة النظامية وشرح طريقة التعليم فيها. كما زار سامراء وتكريت والموصل فحلب[1]، ومنها ذهب إلى دمشق التي أمضى فيها بضعة أشهر، ثم إستقل سفينة مسيحية من عكا فنزل بصقلية . وفي نيسان من عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥ م وصل إلى غرناطة بعد غيبة دامت أكثر من عامين[2].

وسجل إبن جبير خلال هذه الرحلة مشاهداته، وكانت أشبه بيوميات سفر، وإنطباعاته عن المدن والبلدات والشعوب مما يجعل رحلته سجلاً أميناً للأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية لأقطار البحر المتوسط الإسلامية مع وصف حي للمدن وإشارات عن التاريخ والطوبوغرافيا والمناخ.

وتطرق إبن جبير، بعد رحلة بحرية، إلى صناعة السفن الشراعية التي تختلف عن سفن بحر الروم (البحر المتوسط). وإعتمد إبن جبير فيما كتبه على المشاهدة والتدقيق دون الإعتماد على السماع والوصف المجرد، وصاغ ما كتبه بإسلوب بارع

---

[1] إبن جبير، الرحلة، تحقيق حسين نصار، ١٩٥٥: ١٩٧- ٢١٦.

[2] كراتشكو فسكي، مصدر سابق، ١/ ٢٩٩، أحمد أبو سعد، مصدر سابق: ٠٨- ١٠٩.

فجاءت رحلته بنفحة أدبية. وبعمر ٧٣ عاماً غادر إبن جبير برحلة أخيرة إلى المشرق وهي الرحلة الثالثة ولكن أدركته المنية. أما عنوان كتابه الأصلي فهو "تذكرة الأخبار عن إتفاقيات الأسفار" غير أنه إشتهر بإسم "رحلة إبن جبير التي نقلت إلى اللغات الأخرى مثل الفرنسية والإنكليزية.

٦١. ياقوت الحموي: ٥٧٥-٦٢٦هـ/ ١١٧٩-١٢٢٩ م

هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي. أُسر من بلاد الروم صغيراً، وقد تداولته الأيدي ولقطته الأسواق حتى حُمِلَ إلى بغداد مع غيره من الأسرى فبيع فيها واشتراه تاجر من أهل حماه يسكن بغداد عرف بـ(عسكر) بن إبراهيم الحموي، ومن هنا جاءت تسميته بالحموي، أي بإسم مولاه. ولد ياقوت سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩ م، ولم يكن يفهم لغته الأصلية أو على الأقل لم يُجِدْها فأصبحت العربية لغته القومية.

نال ياقوت الحموي تعليماً إسلامياً جيداً، وكان شراء عسكر لياقوت نقطة تحول مهمة في حياته. فقد كان ذلك التاجر أمياً لا يحسن القراءة والكتابة ولا يعلم شيئاً غير التجارة، وكان على سعة من العيش. تزوج في بغداد ورزق عدة أولاد ووضع ياقوت بينهم ثم عينه بالكتّاب فتعلم القراءة والكتابة وإتخذ منه كاتباً يساعده

في حساباته ومعاملاته وضبط أعماله التجارية، فلما كبر إنصرف إلى النحو واللغة[1]. ومن بين أساتذته اللغويين المشهورين العكبري (٦١٦هـ/ ١٢١٩ م) وإبن يعيش (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥ م).

ومن أكثر الرحلات لياقوت مع سيده والتي تركت أثراً في نفسه رحلاته العديدة إلى جزيرة قيس (أو كيش) في الخليج العربي حيث ساعدت في توسيع أفقه الجغرافي. وكانت الجزيرة في عهده مركزاً من مراكز التجارة الخارجية للعالم الإسلامي، يجتمع فيها ممثلو مختلف الأقطار والشعوب وسبق أن زارها بنيامين التطيلي، وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر زارها ماركو بولو.

وفي سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م، وكان ياقوت في الحادية والعشرين من عمره، حدثت بينه وبين سيده جفوة فأبعده عنه[2]. فإشتغل ياقوت بنسخ الكتب للناس بالأجرة، وهذه المهنة جعلته يقرأ الكثير ويحصل من المعارف الشيء الوفير. ثم إشتغل بتجارة الكتب بعد أن ساعده عسكر الذي عطف عليه.

---

[1] عبد الفتاح محمد الحلو، أعلام التراث الإسلامي، ط١، شركة مكتبة عكاظ للنشر، الرياض، ١٩٨١: ١٢٥.

[2] إبن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢، ج١، مجلد ٦/ ١٢٧.

وكان القفطي متحاملاً عليه واتهمه بعسر الفهم وتلفيق الكتب وعدم تراجعه عن الخطأ[1]. بينما شهد له الصفدي والذهبي بالبلاغة والتبحر بالعلم مما يبعد عنه تلك التهم. لكن ياقوت نفى عن نفسه تهمة عدم التراجع عن الخطأ[2]. كان ذلك في حلب وسرعان ما غادرها ثم عاد إليها مرة أخرى سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م فإجتمع بالقفطي وسمع من شعره وتوجه بعد ذلك إلى دمشق[3]. سافر إلى حلب والموصل وإربل وخراسان.

وأقام ياقوت في خراسان ينسخ ويؤلف ويطالع ويتاجر بالكتب وتنقل بين خراسان ومرو ونسا وخوارزم إلى ان بلغ مرْوَ[4]، وكان أكثر مقامه بها خاصةً وإن فكرة وضع المعجم قد إنبثقت لديه فيها عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م ويقول عنها: "... وأنساني حبها كل بلدٍ وألهاني عن الأهل والولد وأكثر فوائد هذا الكتاب _معجم البلدان_ وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن"[5].

---

[1] القفطي، أنباه الرواة، مصدر سابق: ٤/ ٧٥، ٧٩.

[2] ياقوت، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٥-١٩٥٧: ٥/ ٤٥٧.

[3] القفطي، مصدر سابق: ٤/ ٧٦.

[4] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٣٣٩.

[5] ياقوت الحموي، مصدر سابق: ٥/ ١١٤.

إنتقل ياقوت من مرو إلى نسا وإلى خوارزم، وبعد خروج المغول عام ٦١٦هـ/ ١٢١٩ م وإستيلائهم على بخارى وسمرقند فرَّ ياقوت في أواخر عام ٦١٦هـ/ ١٢١٨م وإتجه غرباً إلى خراسان ومرَّ بالري وقزوين وتبريز حتى بلغ إربل سنة ٦١٧هـ[1]. ثم تركها إلى الموصل "في صحفٍ يكتبها وأوراقٍ يستصحبها " وبعدها ذهب إلى سنجار ومنها إلى حلب. وهناك دخل على القفطي الذي رحب به على كره كما يبدو فوجد عنده الراحة والعلم والكتب فأخذ يجتمع بالعلماء والفضلاء ويقرأ الكتب وينسخ حتى تجمع له مال فسافر ببضاعة إلى مصر وعاد منها ببضاعة وربح فيها.

وفي حلب فرغ من وضع مسودة كتابه معجم البلدان في ٢٠ صفر من عام ٦٢١هـ/ ١٣ آذار ١٢٢٤ م فأهداه إلى خزانة الوزير القفطي وهو بخط يده. وفي عام ٦٢٤هـ سافر إلى فلسطين ومصر ثم رجع إلى حلب وأخذ على عاتقه مهمة تنقيح المعجم وكان الشروع في هذا التبييض في ٢١ محرم سنة ٦٢٥ هـ[2] ولكن الوفاة

---

[1] صلاح الدين المنجد، أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، مؤسسة التراث ، بيروت، ١٩٥٩: ٦٧- ٦٨.

[2] ياقوت، معجم البلدان، مصدر سابق: ١/ ١٤-١٥.

عاجلته في العام التالي في ٢٠ رمضان عام ٦٢٦هـ/ آب ١٢٢٩ م عند أحد أبواب حلب ولما يتجاوز الخمسين"[1].

ولياقوت ١٤ كتاباً كان أشهرها معجم الأدباء ومعجم البلدان، وكان الهدف من تأليف كتاب معجم البلدان هو ضبط أسماء المواضع لأنها ذات شأن عظيم وتفيد أناساً كثيرين. وفي هذا يقول: "ومن ذا الذي يستغني من أُولي البصائر عن معرفة أسماء الأماكن وتصحيحها وضبط أصقاعها وتنقيحها"[2].

منهج ياقوت: يختتم ياقوت مقدمته بتحليل لكتابه ولمنهجه في التأليف، فقد رتب الأماكن ترتيباً أبجدياً، أي على حروف المعجم على أن الترتيب قد يختلف داخل الحرف الواحد أحياناً. وبعد أن يضبط تسمية البلدة ويثبِت شكل كتابتها يورد توضيح مفصل بالألفاظ لنطقها مع ذكر إختلاف القراءات. ثم يذكر إشتقاق بعض التسميات وتوضيح منشئها وأصلها، وهو يحاول تفسير التسمية من صميم اللغة العربية. وبعد تحديد البلدة وضبطها يبين طولها وعرضها وموقعها من الأقاليم وبرجها، أي تحديد موقعها فلكياً وجغرافياً.

ويعد معجم ياقوت، على رأي كراتشكو فسكي، أوسع وأهم بل أفضل مصنف من نوعه لمؤلف عربي في العصور الوسطى. وكان (فستفلد) أول ناشر لمعجم

---

[1] إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مطابع كوستا تسوماس وشركاه، القاهرة، ١٩٦٣: ٨/ ١٨٧.

[2] ياقوت، معجم، مصدر سابق: ١/ ٨.

البلدان وبمثابة حجر الزاوية في دراسة شخصية ياقوت ودراسة المادة التي يحتويها مصنفه.

ويضم المتن المطبوع ٣٨٩٤ صفحة وتضمن ١٥٠٠٠ موضع، ويتكون المعجم من خمسة أبواب: تناول الباب الأول صفة الأرض وما فيها من الجبال والبحار وغير ذلك. وذكر في الثاني الأقاليم السبعة وإشتقاقها والإختلاف في كيفيتها. وتضمن الباب الثالث تفسير الألفاظ التي يتكرر ذكرها في هذا الكتاب. وتناول الباب الرابع أقوال الفقهاء في أحكام أراضي الفيء والغنيمة وكيفية قسمة ذلك، وإحتوى الباب الخامس جملاً من أخبار البلدان[1].

٦٢. عبد اللطيف البغدادي: ٥٥٧-٦٢٩هـ/ ١١٦٢-١٢٣٢ م

هو أبو محمد موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، وفي بغداد ولد وترعرع ودرس الأدب والكيمياء كما توفي فيها ، ثم غادرها إلى دمشق وإتصل برجالها ثم قصد عكا لملاقاة صلاح الدين الأيوبي، وبعدها ذهب إلى القاهرة في أواخر عام ٥٨٣هـ وظل عند صلاح الدين حتى وفاته. وفي مصر درس الجغرافيا وخاصةً النباتية منها ثم نزح إلى الشام ومنها إلى بلاد الروم. ومن أشهر كتبه[2]:

---

[1] عباس فاضل السعدي، ياقوت الحموي، مصدر سابق: ٢٥-٣٦، ١٩٧٦.

[2] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٣٤٤- ٣٤٦.

١. "كتاب الإفادة والإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة في أرض مصر"، والقسم الأول من الكتاب يبحث في جغرافية مصر النباتية والحيوانية والإقليمية وحياتهم الإجتماعية والعمرانية وهندسة الأبنية. والقسم الثاني يشرح فيه نهر النيل من حيث أثره على حياة مصر الإقتصادية وتتضح في الكتاب روح المقارنة والتحليل.

ووصف البغدادي في كتابه المذكور الوباء الأسود الذي حلَّ بمصر عام ٥٩٧هـ والذي أدى إلى هجرة الكثير من المصريين إلى خارجها وقدّر عدد الذين هلكوا خلال ٢٢ شهراً بنحو ١١١ ألف شخص. وترجم الكتاب إلى اللاتينية في أكسفورد عام ١٨٠٠ بعناية المستشرق البريطاني يوسف وليم وايت[1].

٢. "رحلة البغدادي" وفيه يتحدث عن رحلته من بلاد الشام إلى بغداد ماراً ببلاد الروم وشرح فيه جميع المظاهر الجغرافية وترجمها (دساس) ونشرها في باريس عام ١٨١٠.

٦٣.شرف الدين التيفاشي: ٦٥١هـ/ ١٢٥٣ م

هو شرف الدين ابو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي القيسي ولد في مدينة تيفاش. رحل إلى مصر ودمشق وإشتغل بها على عهد تاج الدين الكندي، ثم عاد إلى تونس وولي القضاء فيها حتى وفاته. وكرس حياته في الجغرافيا بجميع فروعها.

---

[1] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٩١- ٩٣، أحمد ابو سعد، مصدر سابق: ١٤٠- ١٤١.

أما أهم مؤلفات التيفاشي فهي: كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، ويوجد مخطوطه في مكتبة نيويورك، وكتاب النظر في المحسوسات، ويتناول جزؤه الثاني الفصول الأربعة ودلائل المطر والصحو والبرق وهالة القمر وقوس قزح والسحاب والأنوار والرياح والأعاصير والزوابع. توجد نسخة خطية منه في مكتبة الخديوي في القاهرة ضمن كتب زكي باشا في ٤٦٠ صفحة منقولة عن الأصل الخطي الموجود في مكتبة الإستانة[١].

٦٤. أبو الحسن المراكشي: ت ٦٢٧ هـ/ ١٢٣٠ م

هو ابو الحسن علي المراكشي ظهر في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي وتوفي في عام ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠ م ويرى آخرون غير ذلك. ويعد علماً من أعلام العرب في الجغرافيا وكانت له رحلات إلى جنوب إسبانيا وشمال أفريقيا. وعيّن دوائر العرض والطول لـ(٤١ مدينة) تقع بين مراكش والقاهرة. أهم مؤلفاته الجغرافية[٢]:

١.كتاب جامع المبادئ والغايات في علم الميقات، يشرح فيه علم الفلك وصناعة أجهزة الرصد وكيفية العمل بها ويقدم كشفاً بأسماء ٢٤٠ نجماً وجداول العروض والأطوال لـ(١٣٥) موضعاً جغرافياً وإتخاذ "الأرين" خطاً للإبتداء وأكمل المصنف

---

[١] المصدر نفسه، (صبري محمد حسن): ١/ ٤٤.

[٢] المصدر نفسه، ١/ ١٠٢- ١٠٣، كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ١١٣.

عام ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م. ويشرح المراكشي تجاربه وخلاصة آرائه في أبواب الكتاب .
وإستمع المراكشي الخطوط الدالة على الساعات المتساوية، وهو أول جغرافي عربي إستعمل هذا النوع من الساعات الزمنية. وقام (سيديو) بنشر الكتاب باللغة الفرنسية. كما قام (كاردي فو) بنشر فصلٍ من الكتاب خاص بالإسطرلاب.

٢. كتاب المسالك والممالك.

٣. كتاب وصف بلاد المغرب والأندلس يصف فيه طبيعة البلاد ومعالمها الجغرافية ومناخها وإنتاجها.

٤. كتاب جداول الجيب ويبحث في الجغرافية الفلكية وفيه أكبر مجموعة من النجوم.

٦٥. محي الدين المغربي: عاش في عهد الطوسي (٥٩٧- ٦٧٢هـ/ ١٢٠١- ١٢٧٤ م)

هو محي الدين أبو الحسن يحيى المغربي من أهل الأندلس، سافر من المغرب إلى سوريا ومنها إلى العراق وإيران ومراغة حيث إشترك مع نصير الدين الطوسي في مرصدها. ومن بين مؤلفاته كتاب (المدخل المفيد في حكم المواليد) وكتاب (النجوم) وكتاب (تسطيح الإسطرلاب).

٦٦. أبو الحسن الغرناطي: ٦١٠- ٦٧٣هـ/ ١٢١٣- ١٢٧٤ م

هو أبو الحسن نور الدين علي بن موسى بن محمد الغرناطي، ولد في مدينة غرناطة وتوفي في تونس. وهو رحالة شهير جاب كثيراً من الأمصار والممالك أهمها المغرب العربي والمشرق العربي وألّف في ذلك كتباً كثيرة منها:

١. كتاب النفحة المسكية في الرحلة المكية.

٢. كتاب المشرق في حلي المشرق، وفيه رحلته من تونس إلى المشرق العربي عام ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م.

٣. كتاب المغرب في حلي المغرب، وفيه يبحث تاريخ المغرب العربي وجغرافيته وعاداته.

٤. كتاب بسط الأرض في طولها وعرضها ويوجد مخطوط الكتاب في أكسفورد وآخر في بطرس برج.

٦٧. زكريا بن محمد القزويني: ٦٠٠- ٦٨٢هـ/ ١٢٠٣- ١٢٨٣ م

هو جمال الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن محمود القزويني نسبةً إلى البلدة التي ولد فيها وهي قزوين. وينحدر من أسرة عربية إستوطنت إيران منذ زمن طويل، ويرجع نسبه إلى مالك بن أنس إمام المدينة وفقيهها المشهور. رحل إلى دمشق في شبابه ودرس الفقه على أحد أئمة الصوفية، ثم إلى العراق وتولى منصب القضاء في واسط والحلة في عهد الخليفة المستعصم بالله. وحينما سقطت بغداد على يد هولاكو المغولي كان مايزال في ذلك المنصب، وكان عالماً في التاريخ والجغرافيا.

وأشهر كتبه الجغرافية كتابان هما (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) و(أخبار البلاد وآثار العباد). ويمثل القزويني في هذين المؤلفين الإتجاه الذي ساد الجغرافية العربية في أواخر عهدها، وهو الإتجاه العجائبي، وكان يعنى فيه بذكر

العجائب والغرائب دون تمحيص والتي تخرج عن حدود العلم والمنطق وهو ما كان يؤخذ على القزويني بسبب ذكره هذه الأساطير، ومع هذا لقبه البعض بـ(هيرودوت القرون الوسطى) أو (بليني العرب).

ومصنفه (عجائب المخلوقات) مزين بالتصاوير، فهو مزود لا بأشكال وجداول فلكية فحسب بل بالرسومات المصغرة. ويعد أكبر كوزموغرافي مبسط للعلوم من أجل الجمهور هو وأتباعه مكملون للجاحظ والمسعودي والبيروني ولكن مع الإفتقار إلى الأصالة والإبداع وإكتفوا بالنقل والجمع وكانوا أمناء في نقلهم فوصل القزويني إلى أعلى درجة في الإبداع الفني[1].

ويشتمل كتابه (عجائب المخلوقات) على قسمين: الأول يكاد يكون فلكياً يتعرض فيه لدراسة الكواكب السيارة والقمر والشمس والنجوم والنيازك والشهب. والقسم الثاني يتناول وصف الأرض عامةً وما يوجد على سطحها كالجو والماء (البحار، البحيرات، الأنهار، الينابيع) وأشكال سطحها والمعادن والنبات والحيوان والإنسان. وترجم الكتاب إلى اللغات الحية مثل الفرنسية (١٨٠٥) والألمانية (١٨٤٨) والفارسية والتركية. وتوجد نسخة خطية منه في مكتبة الكونكرس الأمريكي[2].

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٣٦٠، ٣٦٥.

[2] شاكر خصباك، كتابات مضيئة، مصدر سابق: ٢٠٤، صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٧١.

أما كتابه الثاني (أخبار البلاد) فقد ألّفه في عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م وترجم إلى اللغة الألمانية وطبع فيها سنة ١٨٥٠، وقد تحدّث فيه عن أخبار المعمورة بعد أن قسمها إلى سبعة أقاليم، حسب التقسيم البطليموسي وتناول فيه الجوانب الطبيعية والإقتصادية والبشرية لتلك الأقاليم.

وبدأ في كتابه الثاني (أخبار البلاد) بالكلام عن الحاجة الداعية إلى إحداث المدن والقرى وأخذ يصف المدن التي عرفها في بلاد العرب والفرس والروم والفرنجة ويذكر تاريخ بنائها وبيّن أن لكل منطقة من الأرض خاصية لا توجد في غيرها، كما تكلّم عن الإنسان والزروع. وهذه المعرفة جاءت من خلال رحلاته التي لها مكانة خاصة عنده. وتناول كتابه المذكور ثلاث مقدمات: الأولى عن إحداث المدن والقرى المشار إليها، والثانية عن خواص البلاد وتأثيرها على سكانها، فهناك مساكن باردة وأخرى ساخنة وحجرية وبحرية، والمقدمة الثالثة كانت تتعلق بأقاليم الأرض وتقسيماتها بحسب خطوط الطول ودوائر العرض التي قالها الأقدمون ليعرفوا حدود المالك والمسالك[1].

[1] زكريا بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٠: ٣، ٧، ١٢.

٦٨. إبن سعيد: ٦١٠- ٦٨٥ هـ/ ١٢١٤- ١٢٨٦ م

هو أبو الحسن علي بن سعيد بن موسى بن عبد الملك بن سعيد المغربي، ولد في غرناطة وتوفي في دمشق. تلقى العلم في إشبيلية وتهيأت له الفرصة أن يتنقل في أرجاء العالم الإسلامي فزار شمال أفريقيا ومصر والشام وأقام في الموصل وبغداد والبصرة ورحل إلى حلب ودمشق ومكة.

ويعد إبن سعيد من أخصب الكتاب إنتاجاً في مختلف حقول الأدب والتاريخ والجغرافيا، ومن أشهر كتبه الجغرافية (كتاب الجغرافيا)[١] الذي نال به شهرته الجغرافية. ويعتقد البعض أن إبن سعيد إعتمد على الإدريسي إعتماداً كبيراً في معلوماته وتبويبه. وفي كتابه معلومات جيدة عن أوربا الغربية ولاسيما فرنسا وهنغاريا والصقالبة الغربيين سكان سواحل بحر البلطيق، وكذلك عن الروس سكان سواحل بحر آزاق ونهر الدون، وعن الشعوب القاطنة إلى الشمال والشرق من جبال القوقاز كالبرطاس والقز والقومان والقبجاق. وقد إستعار أبو الفدا والقلقشندي معلومات كثيرة من هذا الكتاب، وقام بتحقيقه ونشره مؤخراً إسماعيل العربي[٢].

---

[١] إبن سعيد، كتاب الجغرافيا، منشورات المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠.

[٢] شاكر خصباك، كتابات مضيئة، مصدر سابق: ١٩٢.

٦٩. شمس الدين الدمشقي: ٦٥٤- ٧٢٧هـ/ ١٢٥٦- ١٣٢٦م

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي المعروف بإسم (شيخ الربوة). ولد في دمشق وأمضى معظم حياته في مسقط رأسه إماماً بمسجد الربوة، ولقب بالصوفي لميوله الصوفية. ألّف عدة كتب غير أنه إشتهر بكتابه الجغرافي (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر). وبالرغم مما يحويه الكتاب من الغرائب والعجائب إلّا انه عالج بعض المواضيع العلمية بدقة كبيرة. ويفضله العلامة كراتشكو فسكي في أهميته الجغرافية على كتاب تقويم البلدان لأبي الفدا لاسيما عن النبات والحيوان والمعادن وطبقات الأرض[١].

ويقول عنه نفيس أحمد أنه يحتفظ بأسماء كثيرة لمواضع جديدة لم تذكر في كتب من تقدموه، وأنه يعد مصدراً مهماً في مجال معرفة العرب بالهند الجنوبية، حيث يقدم أكبر قائمة من أسماء الأماكن بهذا الخصوص. ويعد مصدراً أساسياً بالنسبة لجغرافية سوريا وفلسطين وتاريخها. وتناول كتابه أيضاً كل ما يتعلق بالكرة الأرضية من بحار وجزر وجبال وطرق مواصلات وعيون وآبار. وطبع الكتاب في بطرسبرج بعناية المستشرق (فراهن) عام ١٨٦٦، وطبع مرة أخرى في ليبزك عام ١٩٢٣[٢].

---

[١] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٣٨٧.

[٢] خصباك، كتابات مضيئة، مصدر سابق: ٢١٤- ٢١٥.

٧٠. إبن فركاح: ٦٦٢- ٧٢٩هـ/ ١٢٦٢- ١٣٢٩ م

هو إبراهيم بن إسحاق بن فركاح الشافعي الفزاري، خطيب الجامع الأموي في دمشق وجغرافي بارع يشار إليه بالبنان لانه علم من أعلام دمشق. ومن أهم مؤلفاته كتاب (باعث النفوس في زيارة القدس المحروس) الذي يبحث في جغرافية فلسطين وجبالها وأوديتها. يوجد مخطوط الكتاب في مكتبات ليدن وبرلين وباريس.

٧١. عماد الدين أبو الفداء: ٦٧٢- ٧٣٢هـ/ ١٢٧٣- ١٣٣١ م

هو أبو الفدا الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمد بن أيوب، يرتبط نسبه بالمظفر بن شاهنشاه إبن أخ صلاح الدين الأيوبي. ولد في دمشق وساهم في حروب عديدة ضد الصليبيين في صباه وشبابه. وكان في آخر حياته نائباً عن ملك مصر في قلاوون على مدينة حماه. ومع ذلك إهتم بالتاريخ والجغرافيا الذي تمثل بكتابيه (المختصر في أخبار البشر) وهو في التاريخ و(تقويم البلدان)[1] في الجغرافيا. ونال كتابه هذا شهرة كبيرة في أوربا كما ذكر ذلك المستشرق الفرنسي (رينو) Reinaud. أتمّ مسودة الكتاب في عام ١٣٢١ م وإعتمد فيه على العديد من المصادر السابقة. إتبع فيه منهجاً جديداً يجمع بين منهج الكتّاب الإقليميين أمثال الإصطخري وإبن حوقل ومنهم البطليموسيّون.

---

[1] الملك المؤيد أبو الفدا، تقويم البلدان، مصدر سابق: ٣٧—٦٤.

وقسّم أبو الفدا العالم المعروف إلى أقاليم سمّاها "الأقاليم العرفية" وهي أشبه بأقاليم الإصطخري والمقدسي، إذا إعتمدت على التحديد الطبيعي أو الإداري أو البشري وشرحها إقليماً إقليماً. غير أنه في ذات الوقت حاول تعيين مواضع تلك الأقاليم العرفية ضمن الأقاليم البطليموسية بتحديد خطوط طولها وعرضها. وكان يفضل التقسيم إلى مناطق جغرافية وليس فلكية. وهكذا جمع كتابه مزايا المنهج الوصفي والمنهج الرياضي، ومع أنه نقل مادته من عدد كبير من المؤلفات القديمة إلّا أنه أضاف إليها الكثير من المعلومات الجديدة عن البحيرات والبطائح والأنهار والجبال والبحار[1].

وأبو الفدا أحد القائلين بكروية الأرض والأفلاك السماوية. قال ما نصه في كتابه تقويم البلدان: "إن الأرض كروية وأنها في وسط الكرة السماوية، فسطح الأرض هو محدبها موازٍ لمقعر السماء. ثم أن الدوائر العظام التي على سطح الأرض موازية لتلك الدوائر ويختص كتابه في الجغرافية الرياضية، والفلكية وتنقسم إلى ٣٦٠ درجة"، وقسّم الأرض إلى سبعة أقاليم وأطال في وصف الأرض ذاكراً كل مملكة مستقلة في باب خاص. وهو القائل بأن ربع الكرة الأرضية مسكون تشغله قارات أوربا وآسيا وأغلب أفريقيا والباقي مغمور بالماء كما ورد في كتابه تقويم البلدان الذي

[1] خصباك، كتابات مضيئة، مصدر سابق: ٢٢٠- ٢٤٧.

تُرجم إلى اللاتينية في القرن الثامن عشر. ويوجد مختصر لكتابه المذكور مخطوط في مكتبة جامعة برنستن خُطت عام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣ م[1].

وتناول أبو الفدا من سبقه من الجغرافيين بالنقد وقال إن إبن حوقل والإدريسي وإبن خرداذبه لم يحققوا الأسماء وغيرهم لم يحققوا الأطوال والعروض. أما هو فقد جمع بين التحقيق في الأسماء والأطوال. وكتابه يصح أن يعد تاريخاً إنتقادياً للكتابة الجغرافية العربية لغاية عصره (وهو القرن الثامن الهجري)[2].

٧٢. أبو العباس النويري: ٦٧٧- ٧٣٢هـ/ ١٢٧٩- ١٣٣٢ م

هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري القرشي النويري، ولد في مدينة أسيوط بمصر وكان مقرباً للسلطان الناصر، وشغل لبعض الوقت منصب رئيس كتبة إدارة الجيش بطرابلس الشام. وفيما بعد أصبح رئيس كتبة لعدد من المقاطعات المصرية. أشهر مصنفاته هي (نهاية الأرب في فنون الأدب) وهي موسوعة هدفها تلخيص جميع العلوم الإجتماعية التي يحتاجها كبار الكتّاب ومصدر مهم في الجغرافية التاريخية. ويتألف الكتاب من ٣١ جزءاً، إستغرق النويري في تأليفه نحواً

---

[1] قدري حافظ طوقان، العلوم، مصدر سابق: ٦٨، صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٤٧- ٤٨.

[2] نقولا زيادة، الرحالة العرب، مصدر سابق: ٤٠.

من ٢٠ عاماً. ويوجد الكتاب خطياً في الإستانة ومصوره في دار الكتب المصرية في ٤٤٠٠ صفحة، طبع منه ١٤ جزءاً[1].

ركز النويري في كتابه على الجغرافية الجنسية والإجتماعية وصفات كل جنس وعاداته وتقاليده. كما تناول خلق العالم والظواهر الجوية والعناصر وقياس الوقت والفصول والأرض وأبعادها والأقاليم السبعة والجبال والبحار والجزر والأنهار والبحيرات والبلدان المختلفة والمدن والحيوانات وطرق صيدها والنباتات وطرق إستغلالها وأثر عوامل الطبيعة على نموها وسكانها وآثار المنازل والمحال.

٧٣. أبو العباس المراكشي: ٦٥٢- ٧٣٣هـ/ ١٢٥٨- ١٣٣٩ م

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي الذي قضى أكثر عمره في مراكش. ولد في غرناطة، وهو من أعلام العرب في الرياضيات والجغرافيا والفلك غير أن أكثره قد ضاع بضياع تراث العرب في الأندلس وشمال أفريقيا. ومن مؤلفاته كتاب الإسطرلاب وإستعماله وكتاب أحكام النجوم، وكتاب تحديد القبلة، وكتاب المناخ.

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٤٠٨- ٤١٠، صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٣٢- ٣٣.

٧٤. أبو العباس العمري: ٧٠٠- ٧٤٩هـ/ ١٣٠١- ١٣٤٨ م

هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العمري الشافعي. ولد بدمشق ودرس بالقاهرة وتعلّم فيها. وتداولت أسرته رئاسة ديوان الإنشاء بمصر مدة قرن من الزمان. تتلمذ العمري على اساتذة كبار منهم برهان الدين الفركاح الذي يتصل نشاطه العلمي في الجغرافيا. شغل العمري وظيفة قاضي بمصر وخلّف أباه في رئاسة ديوان الإنشاء في عهد السلطان الناصر. كان ضليعاً بعلم الفلك وإمام عصره في معرفة المالك والمسالك والكواكب ومعرفة الإسطرلاب. توفي بسن مبكرة بدمشق، له ١١ مصنفاً أشهرها كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) وهو عبارة عن موسوعة تاريخية جغرافية تقوم على أساس أدبي عريض تتكون من ٢٧ جزءاً. وأثبت أحمد زكي باشا أنها تتألف من ٣٢ جزءاً وتقع في ٩٨٨١ صفحة خطية. وتناول العمري في هذه الموسوعة أبعاد الأرض والأقاليم السبعة والبحار والطرق والممالك والدول والسكان والديانات[1].

وفضلاً عما تقدم تناول العمري في موسوعته الجغرافية الطبيعية من رياح وأمطار وأنهار وبحار وجزر وجبال وصخور وغابات وطرق معيشة السكان وتأثير المناخ على عاداتهم وطباعهم. ويوجد الكتاب خطياً في أيا صوفيا والإستانة. طبع

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٤١٠- ٤١٢.

الجزء الأول منه بدار الكتب المصرية، وطبع بالفرنسية عام ١٨٣٨ م على يد المستشرق الفرنسي (كترمير). وإختص قسم من كتابه بذكر أشهر ممالك المسيحيين من حيث جغرافيتها ومناخها وإنتاجها وسكانها، طبعه ميخائيل أماري في روما عام ١٨٨٣[1].

٧٥. إبن بطوطة: ٧٠٣- ٧٧٦هـ/ ١٣٠٤- ١٣٧٧ م

هو شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بإبن بطوطة وهو من قبيلة لواته البربرية. ولد في طنجة وشبّ في مسقط رأسه في محيط ديني وتعلّم شيئاً من علوم الدين والفقه. وما أن بلغ الثانية والعشرين من عمره حتى شدّ الرحال وذهب للحج عام ٧٢٥هـ وظل يجوب أقطار الأرض، ولم يعد إلى موطنه حتى أشرف على الخمسين عاماً.

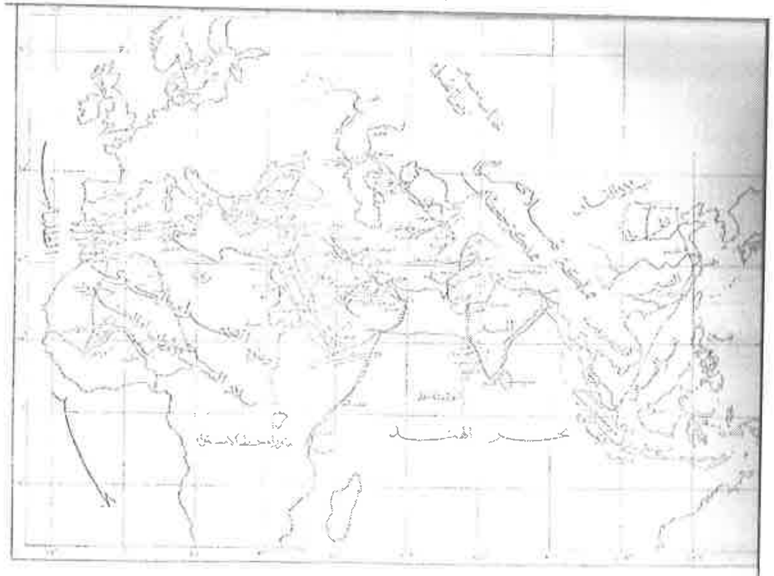
لقد زار إبن بطوطة خلال رحلاته معظم أجزاء العالم القديم المعروف- عدا القسم الأوربي- مما حقق له تفوقاً على جميع رحّالة القرون الوسطى. ومن المؤكد أنه بزّ جميع الرحالة القدماء – الإفرنج والعرب- في إتساع رحلاته ولا يدانيه أحد سوى ماركو بولو، الرحالة البندقي المشهور. وقدر ما قطعه في رحلاته بحوالي ١٢٠٠٠٠

[1] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٤١.

كم. وإستغرقت رحلاته ٢٨ عاماً وأكد أن الإنتقال بين البلاد العربية لا تقف في سبيله عوائق أو حدود وكأنه ينتقل في بلده[١].

الشكل (١٣)

رحلات إبن بطوطة في العالم القديم (تحقيق الشيخ محمد فخر الدين)



المصدر: شاكر خصباك، إبن بطوطة ورحلاته، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٧١، ص٢٨٧-٢٨٨.

[١] أحمد ابو سعد، مصدر سابق: ٤٦.

إن ثمة صفتين قد غلبتا على طبع إبن بطوطة وتحكمتا في حياته وهما: روح المغامرة وحب السفر إلى بلدان عديدة وقطع المسافات الطويلة ولم يكن له هدف سوى إشباع تلك الرغبة الجامحة. ولقد إستتبع عدم لجوئه إلى تسجيل ملاحظاته في حينها إلى صعوبة رسم خارطة واضحة لخط سيره، ولم يهتم بذكر الإتجاهات أثناء سفراته بل كان يقفز من مدينة إلى أخرى. أما الصفة الثانية التي تحكمت في حياة إبن بطوطة فهي نزعة الورع التي طبعت رحلته بطابعها الخاص كلياً، فلا تخلو صفحة من صفحات الرحلة من ذكر رجال الدين أو حكايات ذات صبغة دينية[1].

وشملت رحلات إبن بطوطة جميع أجزاء جزيرة العرب، فزار نجد والحجاز والبحرين وعمان وحضرموت واليمن وحج بيت الله الحرام ثلاث مرات. وطاف في أرجاء العراق ومصر أيام ملكها الناصر أبي الفتح. وقدّر عدد السفن في نهر النيل والتي تحمل البضائع بين مصر العليا والسفلى بنحو ٣٦٠٠٠ سفينة[2].

وواصل إبن بطوطة رحلاته فزار بلاد الشام وبلدان المغرب العربي وساحل أفريقيا الشرقي وبلاد فارس والأناضول وأواسط آسيا وتركستان والحوض الأدنى لنهر الفولغا، ثم إتجه إلى أقطار الشرق الأقصى فأقام في بلاد الهند زمناً، ثم تجول بين جزر الساحل الجنوبي الغربي للهند، وعُيِّن قاضياً في دلهي لمدة سنتين . ومكث ما ينيف

---

[1] شاكر خصباك، إبن بطوطة ورحلته، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١ : ٢٨٧ – ٢٨٨.

[2] يسري الجوهري، الكشوف، مصدر سابق: ٩٦، خصباك، كتابات مضيئة. مصدر سابق: ٢٧٤.

على عام ونصف في جزر المالديف. ثم تنقل بين جزر الهند الشرقية وزار سرنديب والملايو ثم رحل إلى جنوبي الصين، وربما تقدم في جولته حتى شمالها.

ولمّا عاد إلى موطنه طنجة سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٩ م بعد غيبة قاربت الثلاثين عاماً حنَّ إلى السفر ثانيةً فقام برحلة قصيرة إلى الأندلس، ولم يكد يستقر في فاس بعض الوقت حتى عبر الصحراء الكبرى متجهاً إلى السودان الغربي في مهمة رسمية، ولبث يتجول في تلك الأنحاء لمدة عامين وكانت آخر رحلة له في عام ١٣٥٢ م. وإستقر به المقام أخيراً في عاصمة الدولة المرينية في كنف السلطان أبي عنان المريني. وأقام في بلاطه ما يقرب من عشرين عاماً بعد عودته من رحلته الأفريقية، وتولى قضاء مدينة تامنسا. وفي أثناء ذلك كان السلطان المريني قد أمر كاتبه (إبن جزي) بتدوين مشاهدات إبن بطوطة في كتاب حمل عنوان (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) وعرف أيضاً بإسم "رحلة إبن بطوطة" في أربعة مجلدات نقلها إلى الإنكليزية المستر صاموئيل عام ١٨٢٤ ونشرها بالفرنسية المستشرقان (ديفر يمري وصانكتين) في عام ١٨٥٣[1].

والإهتمام برحلة إبن بطوطة بدأ يتزايد منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فحُقِّقت وترجمت وكتبت عنها الدراسات في معظم اللغات الأوربية

---

[1] خصباك، كتابات مضيئة، مصدر سابق: ٢٧٤- ٢٧٥، كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٤٢٢- ٤٢٣، صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ١٥٤- ١٥٥.

والشرقية. وأول طبعة ظهرت لكتابه في البلاد العربية هي التي نُشرت في جمادى الآخرة من عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ م نُقلت عن الطبعة الفرنسية وطبعت في مطبعة وادي النيل وأشرف على تصحيحها أبو السعود.

وقد تميزت رحلة إبن بطوطة بشمولية عظيمة تكاد تفتقد في أي مؤلف من مؤلفات الرحالة القدماء. وقد مكنت تلك الشمولية إبن بطوطة أن يدلي بأحكامه عن الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والسياسية لكل بلد عن خبرة ومعرفة بالأوضاع السائدة في بقية بلدان العالم القديم. ورحلات إبن بطوطة الواسعة قد أكسبته فهماً خاصاً لأحوال الشعوب ومعرفة بإقتصادها، فضلاً عن معاصرته لكثير من الأحداث التاريخية للبلدان التي زارها ومعرفته المباشرة بحكامها[1].

ويمكن القول أن رحلة إبن بطوطة ذات أهمية عظيمة لدارسي الجغرافية التاريخية ولعلماء الإنثروبولوجيا. فقد حفلت بالأوصاف المسهبة والدقيقة للأنظمة الإجتماعية والسياسية لبلدان جنوب شرقي آسيا ولاسيما الهند وجزر الهند الشرقية والصين، وكذلك لأقطار آسيا الوسطى والغربية مثل تركستان وبلاد الأناضول وجهات أفريقيا الغربية، مما يمكن إعتباره سجلاً ممتازاً للأحوال السائدة في البلدان المذكورة في ذلك العصر.

---

[1] المصدر نفسه (خصباك)، ص٢٧٥- ٢٧٦.

ويذكر كراتشكو فسكي في حقه أن إبن بطوطة على نقيض الغالبية العظمى من الجغرافيين العرب لم يجمع مادته من صفحات الكتب بل جمعها عن طريق التجربة الشخصية، وعن طريق محادثاته مع شخصيات تعرَّف عليها عرضياً خلال رحلاته. وكان لإهتمام إبن بطوطة بالمواضع الجغرافية مكانة ثانوية قياساً بإهتمامه بالبشر. لهذا فقد أصبح كتابه نسيج وحده لوصف المجتمع الإسلامي والشرق عامةً في القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري[1]. فهو خزانة تحفل بمادة غنية لا في مجال الجغرافية التاريخية أو تاريخ عصره فحسب بل عن جميع حضارة ذلك العصر، فتراه يعرض لجميع الظواهر الإجتماعية بالسرد ولا يبخل بملاحظاته وتعليقاته في أية مناسبة تعرض.

---

[1] المصدر نفسه (كراتشكو فسكي): ١/ ٤٣١.

الفصل السابع

الجغرافيون العرب بين القرن التاسع والقرن الثالث عشر للهجرة

٧٦ . إبن خلدون: ٧٣٢-٨٠٨هـ/ ١٣٣٢-١٤٠٦ م

يعد ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد إبن خلدون الحضرمي الإشبيلي المالكي آخر الكوكبة الشهيرة من علماء العرب المسلمين الذين يشار إليهم بالبنان إبان القرون الوسطى.

تنتمي أسرة إبن خلدون إلى وائل بن حجر، وهم فرع من كندة كانت تقيم قبل الإسلام في حضرموت. نزح جدهم الأعلى خالد بن عثمان إلى الأندلس مع الفتح برفقة جند اليمن وإستقروا بقرمونة وإشبيلية في القرن الثالث الهجري، وتحول إسمه من خالد إلى خلدون. وإنتقل بنو خلدون، بعد سقوط إشبيلية على يد الإسبان عام ١٢٤٨م، إلى شمال أفريقيا وإستقروا في تونس، وفيها توفي والده عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨ م[1].

---

[1] المصدر نفسه، ١/ ٤٣٩.

وفي تونس ولد إبن خلدون في الأول من شهر رمضان عام ٧٣٢هـ/ ٢٧ مايس (أيار) ١٣٣٢ م، وتوفي بالقاهرة في ٢٥ رمضان عام ٨٠٦هـ/ ١٩ آذار ١٤٠٦ م[1].

وفي تونس تربى في حجر والده وقرأ القرآن على يد أستاذه أبي عبد الله محمد بن نزال الأنصاري. وبعد ان ترعرع في تونس غادرها هارباً من الطاعون إلى هواره، وهي من كبريات قبائل البربر في شمال أفريقيا وفيها نزل على صاحبها إبن عبدون، ثم تنقل في بلاد كثيرة وهو في مقتبل الشباب حيث لقي العلماء لقاء الأخذ عنهم والتحدث إليهم، وحفظ المعلقات وطالع شعري المتنبي والمعري.

ومن بين الأماكن التي نزل فيها إبن خلدون مدينة فاس عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م وصار كاتب سر السلطان أبي سالم المريني عام ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م. وبعد وفاة أبي سالم سافر إلى الأندلس عام ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م متعللاً بالحج. ثم رحل إلى قشتالة عام ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م وبعدها غرناطة وفيها إختاره أميرها ليكون سفيره إلى ملك قشتالة. كما سافر إلى بجاية، وهناك قلده السلطان أعمال بلده. وأخيراً إستقر به الحال في تلمسان بالجزائر مع أهله وولده فأقام بها أربعة أعوام[2].

---

[1] عباس فاضل السعدي، دراسات في تراث العرب الفكري، مصدر سابق: ٢٠٩.

[2] علي الحلي، إبن خلدون في مرايا النقد المعاصر، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٤: ٥-٦.

وأصبح إبن خلدون، وهو في الرابعة والثلاثين من عمره (عام ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م) "مجهز حملات عسكرية" فجهز "المرتزقة من الدواودة المنحدرين من بني هلال ..."، في قلعة إبن سلامة من أعمال وهران وهي قلعة شبه بدوية، حيث أُجبر على الإحتماء فيها طيلة أربع سنوات (١٣٧٤- ١٣٧٨م/ ٧٧٦-٧٨٠هـ) وإنقطع للقراءة والتأليف لتحضير مقدمته تمكن فيها وبمجهود خارق من إنجاز تلك المقدمة المشهورة لتاريخه العام[1]. ثم عاد إلى تونس سنة ٧٨٠هـ حيث أخذ يدرّس فيها وأكرمه سلطانها وإختص بأسراره.

ولمّا أحس إبن خلدون بدسائس تحاك ضده سافر إلى الإسكندرية فوصلها سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م وإنتقل منها إلى القاهرة حيث تعد عاصمة الإسلام الفكرية آنذاك. وجلس للتدريس في الأزهر وإنكب على متابعة تاريخه فيها. وفي القاهرة شغل منصب (قاضي قضاة المالكية) لمرات عديدة إبتداء من عام ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م، ولاحقته الدسائس فأُعفي من منصبه القضائي ست مرات. وبعث إبن خلدون يستقدم أهله وولده من تونس فغرقوا في البحر جميعاً أثناء الطريق. فعظم عليه الأمر وإنقطع إلى التدريس والتأليف. وفي عام ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧ م خرج من القاهرة حاجاً، ورجع في السنة التالية إلى مصر، حيث عاد إلى العمل فيها.

---

[1] إيف لاكوست، إبن خلدون واضع علم ومقرر استقلال، ط١، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٨: ٢٨- ٢٩.

وفي عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠ م وجد إبن خلدون نفسه محاصراً في دمشق من قبل جيوش تيمورلنك ونجح في إثارته وعجب بعلمه وسمح له بالعودة إلى مصر. وفي القاهرة أتمَّ كتابه (تاريخ المبتدأ والخبر) عام ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤ م وإستمرت إقامته فيها إلى حين وفاته.

ولكتاب إبن خلدون (التاريخ) قيمة فريدة في تسجيل الشؤون الأفريقية ولاسيما معلوماته عن البربر فلها أهمية كبيرة فاقت غيرها من المؤلفات السابقة. والمقدمة "التي تشغل مجلداً كاملاً لا مثيل لها في الأدب العربي وقلَّ أمثالها في أي أدب وجد قبل إختراع الطباعة"[1].

وقسّم إبن خلدون كتابه إلى ثلاثة أقسام: الأول وتمثله المقدمة التي شرح فيها نظرياته وآراءه في التاريخ والإجتماع والجغرافيا وغيرها. والثاني وخصصه للكلام عن أخبار العرب وبعض من عاصرهم من الأقوام الاخرى. والثالث تحدّث فيه عن اخبار البربر ومعلومات تاريخية عن بلاد المغرب العربي.

ويغلب على كتاب إبن خلدون النهج الإستقرائي معتمداً المشاهدة والمعاينة عند إختياره المعلومة الجغرافية التي يراها صحيحة بعد تفسيرها. وكان العمران والعصبية والدين من أبرز المرتكزات الفكرية التي إستندت عليها نظريته الإجتماعية

---

[1] مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسن نصار، دار الثقافة، بيروت، (د. ت.): ١٧١.

وتفاعلها مع البيئة الجغرافية. ولخّص إبن خلدون المحاور الجغرافية التي تضمنتها مقدمته بستة أبواب تناولت الجغرافية البشرية والمدن والسكان والجغرافية السياسية والإقليمية.

ومن خلال المقدمة يقسِّم إبن خلدون المجتمع إلى بدو وحضر، وأن البدو هم أقدم من الحضر، والبادية هي أصل العمران وكل منهما متفاوت الأحوال[1]. ولكن المدينة هي أكثر تطوراً من البادية وبما يشابهها جاءت فكرة فيدال دي لابلاش التي ترى أن المدينة تمثل تنظيماً إجتماعياً يعبر عن مرحلة من مراحل التطور البشري سبقتها مراحل أقل تطوراً[2]. وبعد أن تصل المدينة إلى مراحلها الأخيرة، أي إلى مرحلة ما بعد الدعة والترف فعلى أهل "المدن المنهكين أن يفسحوا المجال للمهاجرين الأقوياء من البدو في إنتظام"[3].

ونهج إبن خلدون في إختيار مواقع المدن نهجاً جغرافياً سليماً تبرز فيه أهمية تحليل مقومات المكان بصورة تكاد تطابق أهمية علاقات الأحداث التي يحاول المؤرخ

---

[1] إبن خلدون، المقدمة، مصدر سابق: ١٢٢ – ١٢٣.

[2] فيدال دي لابلاش، أصول الجغرافية البشرية، ترجمة شاكر خصباك، جامعة الموصل، ١٩٨٤: ٣٢١.

[3] مرغوليوث. مصدر سابق: ١٧٢.

إبرازها وفق تعاقب زمني محدد[1]. وإعتمد إبن خلدون ثلاثة شروط في المكان الذي يتم فيه إختيار المدينة، وهي أن يكون موقعه سوقيًّا عسكرياً ويكون مناخه معتدلاً صحياً، على أن يكون هذا الموقع غنياً بموارده الإقتصادية.

ويعد إبن خلدون أول من إقترح الأساس الوظيفي للتمييز بين المراكز الحضرية، وأول من وضع المبادئ التي إعتمدت عليها نظرية "الموقع المركزي للمدن" التي طورها الجغرافي الألماني (ولتر كريستالر)[2].

وأوضحت دراسة مقدمة إبن خلدون أن الحتمية كانت من أبرز مرتكزات الفكر الجغرافي الخلدوني، ومع إيمان إبن خلدون بالحتم الجغرافي، أي قوة تأثير البيئة على الإنسان ونمط حياته وسلوكه وأنشطته الحياتية[3]، فإن من يتعمق في دراسة كتاباته في المقدمة يظهر له أن فلسفته الجغرافية بشأن تأثير البيئة على الإنسان هي أكثر إعتدالاً مما هي عليه عند الحتميين وبخاصةٍ إذا ما علمنا أن منهجيته حولها قائمة على المعالجة برؤية شرعية.

---

[1] علي محمد المياح، تعابير الإستيطان في التراث الجغرافي العربي، مطبعة المجمع، بغداد، ١٩٩٢: ١٩.

[2] عباس فاضل السعدي، الجغرافيا وتخصصاتها في مقدمة إبن خلدون، رسائل جغرافية (٤٩٥)،٢٠٢١: ٢١.

[3] حسن الخياط ،"العطاء الجغرافي في مقدمة ابن خلدون، مجلة مركز الوثائق، العدد الثامن، الدوحة، ١٩٩٦: ١١- ١٣.

ويمكن أن يعد إبن خلدون واضع حجر الأساس لما يعرف بالديموغرافية التاريخية، فقد ربط بين عدد السكان (ويمثل عنده العمران) وبين كثرة الأعمال وسعة الرزق ورفاهية الناس وإزدهار التجارة بعلاقة طردية[1].

وانتبه إبن خلدون إلى دورة الظواهر الديموغرافية، ذلك أن للدولة أعماراً وللعمران مراحل حيث تنتعش في بداية العمران الدولة ويكثر التناسل حتى إذا إنتهت الدولة إلى غايتها في الترف والنعيم تقع المجاعات وتنتشر الأمراض والموتان[2].

وفيما يخص الجغرافية السياسية تعد العصبية أساس قيام الدولة حيث تتطلب إجتماع البشر وتعاونهم لكونها كائناً عضويًّا وتتطلب أن تكون الدولة قوية[3]. وفي ضوئها جاءت نظرية النشوء والتطور لـ(دارون).

وسار إبن خلدون على نهج الإدريسي في تحديده للأقاليم السبعة، حيث قسّم كل إقليم إلى عشرة أجزاء، وجعل الحد الشمالي للمعمور دائرة العرض ٦٤ درجة شمالاً بدلاً من ٦٣ درجة شمالاً عند الإدريسي[4].

---

[1] إبن خلدون، المقدمة، مصدر سابق: ٣٨٠- ٣٨١.

[2] المصدر نفسه، ص١٧٥-١٧٦، ٣٠١- ٣٠٢.

[3] المصدر نفسه، ص ١٧٠، ١٨٧.

[4] تغريد رامز هاشم العذاري، "دور العلماء المسلمين في الجغرافية الفلكية"، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل، مجلد ٦، عدد ١٧، ٢٠١٤، ص ١٩٣..

٧٧. القلقشندي: ٧٥٦- ٨٢١هـ/ ١٣٥٥-١٤١٨ م

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي، ولد بمحلة صغيرة قرب قليوبية مصر تسمى "قلقشند" وإليها نسب. وهو من أصل عربي ينتمي إلى قبيلة فزارة التي إستقرت بمصر عقب الفتح الإسلامي. وتلقى العلم بالإسكندرية وأصبح منذ عام ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦ م مدرساً للحديث والفقه في أحد مساجد المدينة.

واهتم القلقشندي بنسب القبائل العربية وله مصنف فيها عنوانه (قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان) إهتم فيه بالتعريف بتلك القبائل وذكر عاداتها ومواطنها ومعيشتهم وغيرها من مسائل الجغرافية الجنسية. وإلتحق منذ عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٩ م بديوان الإنشاء وظل مرتبطاً به إلى حين وفاته. وحفز عمله هذا للبدء بتأليف مصنفه الكبير (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) وأتم الجزء الرابع عشر منه سنة ٨١٤هـ/ ١٤١٢ م وظل يزيد فيه إلى حين وفاته. وقد إعتمدت موسوعته هذه إعتماداً كبيراً على مصنفي العمري كليهما ولكنها تتميز عنهما بدقة التبويب، وبأن غرضه منها أن تكون مرجعاً من أجل كتّاب الدواوين، أي أعمال ديوان الإنشاء. وفيها يلخص المؤلف جميع المعارف التي يحتاج إليها الكاتب المثالي[1].

وتتضمن المقالة الثانية من موسوعته (الأجزاء من ٣- ٥) معلومات جغرافية وتاريخية وصف فيها مصر والشام والدول الأخرى ذات العلاقة بمصر وتحدّث فيها

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٤١٦.

أيضاً عن أراضي إمبراطورية المغول. كذلك درس اليمن والساحل الشرقي وبضمنها عُمان والهند وبلاد المغرب العربي والأندلس. وخاتمة الكتاب تبحث أساساً في وسائل النقل والمواصلات وفيه تحدّث عن البريد العادي وبريد الحمام وطريقة نقل الثلج من الشام إلى مصر على ظهور الجمال وعلى السفن. وعموماً يمكن القول أن صبح الأعشى يمثل عهد الجغرافية العامة التي تتضمن الكوزموغرافيات والموسوعات وتناول فيها أيضاً معلومات الجغرافية الإقتصادية. كما ذكر البحار الخارجية المتصلة في البحر المحيط وما يتصل به من البحار الأخرى التي لا تتصل بالبحر المحيط[1]. وفي الحقيقة أن معلومات القلقشندي الجغرافية تخلو من الأصالة وتكوِّن جزءاً بسيطاً من موسوعته الضخمة بالرغم من إعتقاد كراتشكو فسكي بأن مادته الجغرافية بالرغم من ذلك هي جديدة بكل ما يليق به من التقدير. ويقف إلى جانبه كتّاب آخرون يذكرون فيه جهوده الكبيرة في تأليف موسوعته المذكورة بإعتماده مصادر عديدة تاريخية وأدبية وجغرافية أمثال فضل الله العمري والإدريسي فضم كتابه ١٢٠٠ صفحة[2].

---

[1] القلقشندي، صبح الاعشى، مصدر سابق: ٣/ ٢٢٩-٢٤٦، كراتشكو فسكي، مصدر سابق١/ ٤١٧-٤٢١.

[2] عبد اللطيف حمزة، القلقشندي: عرض وتحليل، وزارة الثقافة، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٦٢: ٥٢-١٢٣.

٧٨. حافظ إبرو: ت ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠ م

هو شهاب الدين عبد الله بن لطف الله الخوافي، ولد في (هراة) وتعلّم في (همدان) وتوفي بـ(زنجان). وكان من رجال البلاط منذ عهد تيمور. وقد جعل منه حفيد تيمور (شاهرخ) الذي اخذه بمعيته في حملاته العسكرية بمثابة مؤرخ رسمي لدولته وكلفه بمهام علمية مختلفة، وإحدى هذه المهام وضع مصنف جغرافي وتغلب عليه أفكار المدرسة الكلاسيكية في الجغرافيا من طراز البلخي- الإصطخري. فهو يبدأ ببلاد العرب فالمحيط الهندي فأفريقيا ثم الأندلس. وبعدها جزر البحر المتوسط فمصر والشام والشرق الأدنى وإيران، ويسير الترتيب من الغرب إلى الشرق. أما من حيث مضمون الكتاب ففي البداية توجد مقدمة ذات طابع كوزموغرافي تحوي التفاصيل المعهودة عن الأرض والأقاليم والبحار والبحيرات والأنهار والجبال[1].

ومَنْ كشف النقاب عن المعلومات الجغرافية في مصنف إبرو المؤرخ الكبير "بارتولد " Bartold الذي أولى عناية خاصة لروايات حافظ إبرو التي تؤكد أن نهر أموريا (جيحون) كان يصب في بحر قزوين في الأزمنة التاريخية. ويلقي ضوءاً على وصف بلاد ما وراء النهر. وأبرز ما يميز خارطتي حافظ إبرو وجود خطوط الطول ودوائر العرض فيهما.

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ٢/ ٥٢٥.

٧٩. المقريزي: ٧٦٦- ٨٤٥هـ/ ١٣٦٤- ١٤٤١ م

هو أبو العباس تقي الدين الحسيني العبيدي المقريزي، ولد بالقاهرة وتوفي بها، وإعتز بمصريته. ومن أساتذته إبن خلدون، وقد بدأ بالتخصص بالعلوم الشرعية وكان من غلاة الشافعية. درّس الحديث بسن مبكرة بالقاهرة وتقلد منصب القضاء وولي الحسبة بعدها إنتقل إلى دمشق عام ٨١١هـ/ ١٤٠٨ م ورجع إلى القاهرة بعد عشرة أعوام ثم كرّس حياته للكتابة في التاريخ والجغرافيا.

وأدّى المقريزي فريضة الحج مع أسرته في عام ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م، وأقام بالحجاز بعض الوقت وهناك إستطاع أن يتعرف على طريق الحج في بلاد العرب الجنوبية والحبشة. ورجع من الحجاز في عام ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥ م وإستقر نهائياً في القاهرة وبقي فيها إلى حين وفاته بها في عام ٨٤٥هـ/ ١٤٤١ م[١].

وأشهر كتبه التي وردت فيها معلومات جغرافية – تاريخية هو كتابه المعروف بالخطط والذي يحمل عنوان "المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار". ويبحث الكتاب في الجغرافية التاريخية وجغرافية الأقاليم وأخبارها وتاريخها. وذكر المقريزي أن كتابه (الخطط) يتكون من سبعة أجزاء إشتملت على أخبار مصر وأحوال نيلها وخراجها وجبالها ومدنها وخططها وأجناس أهلها وأخبار الفسطاط والإسكندرية

---

[١] المصدر نفسه، ٢/ ٤٧٦.

وقلعة الجبل والسودان وذكر الأسباب التي نشأ عنها خراب مصر وقد تضمن كل جزء من هذه الأجزاء عدة أقسام.

أما مصادر الكتاب فهي النقل من الكتب المصنفة في العلوم، والرواية من مشايخ العلم والمشاهد التي رآها المقريزي. وبدأ بتدوين كتابه بين عامي ٨٢٠ و٨٢٥هـ/ ١٤١٧ و١٤٢٢ م ونهايته كانت في عام ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦ م وظل يضيف إليه إلى عام ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩ م.

وقد تُرجم كتابه المذكور إلى اللغة اللاتينية عام ١٧٢٤، وترجم المستشرق الألماني (وسيتفيلد) القسم الخاص بالقبط وتاريخهم عام ١٨٤٥. كما ترجم المستشرق الفرنسي القسم الخاص بقلعة القاهرة وتاريخها باللغة الفرنسية عام ١٨٩٤-١٨٩٧ في مجلدين وطبع الكتاب في مصر كاملاً في عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣ م في مجلدين كبيرين. وتوجد نسخة خطية منه في برلين وباريس والمكتبة الخديوية في مصر[١].

ومن المصنفات الأخرى للمقريزي كتاب "النمل وما فيه من غرائب الحكمة"، وهو من كتب الجغرافية الحيوانية وما زال مخطوطاً في مكتبة جامعة كمبردج. وكتاب "البيان والإعراب عما في أرض مصر من الإعراب" ويثبت أن مصر بجغرافيتها وتاريخها وسكانها جزء لا يتجزء من الوطن العربي. وتوجد نسخة خطية منه في

---

[١] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ٥٦.

باريس وفيينا والمكتبة الخديوية بمصر وترجمه إلى الألمانية المستشرق الألماني وسيتفيلد عام ١٨٤٧.

وللمقريزي كتاب آخر هو "الإلمام بمن في أرض الحبشة من الإسلام" وهو من الكتب النادرة التي تبحث في جغرافية الحبشة وطبيعة أرضها وكيفية إنتشار الإسلام بها. ترجمه إلى الفرنسية وطبع في بتافيا عام ١٧٩٠، وفي مصر عام ١٩٨٥. وله أيضاً كتاب " الطريقة الغريبة في أخبار دار حضرموت العجيبة" يشرح فيه تاريخ حضرموت وجغرافيتها ترجمه إلى اللاتينية المستشرق (نوسكوي) ونشره في بون عام ١٨٦٦[١].

٨٠. سراج الدين الوردي: ٨٦١هـ/ ١٤٥٧ م (أو حوالي ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦ م)

هو سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي وإشتهر بكتاب "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" وعمل كتابه هذا برسم شاهين المؤيدي أمير قلعة حلب. ويحتوي هذا الكتاب على البلدان والأقطار والبحار والخلجان والجزائر والعجائب ومشاهير الأنهار والعيون والآبار والجبال والأحجار والمعادن والجواهر والنبات والحشائش المختلفة والبقول والبذور والحيوانات والطيور وخواصها ثم خاتمة المؤلف التي

---

[١] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ٢/ ٤٩١-٤٩٣.

تختلف من نسخةٍ إلى أخرى وإستفاد المؤلف من كتبٍ كثيرة. وقد أتم النسخة الأصلية لكتابه في ١٨ من ذي الحجة سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥ م، والورق والتجليد كان أوربي الصنعة[١].

٨١. أبو عبد الله الحميري: ٨٦٦هـ/ ١٤٦١ م

هو أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله بن عبد المنعم الحميري، وهو علم من أعلام الجغرافيين في الأندلس ونابغة إشتهر بموسوعته الجغرافية المعروفة بإسم (الروض المعطار في خبر الأقطار) وإشتملت على أسماء المدن والأقاليم والأنهار الأندلسية. والكتاب مرتب بحسب حروف الهجاء لخصه شهاب الدين المقريزي وسماه (جني الأزهار من الروض المعطار). طبعه المستشرق الفرنسي بروفنسال عام ١٩٣٨ مع ترجمة فرنسية وعليه تعليقات. يوجد المخطوط في مجلدين عند (مارتينو) بباريس ووجده هذا في مدينة تنبكت في السودان. ويوجد مخطوط آخر في مكتبة السيد محمد بن علي الدكالي في مدينة سلا، ومخطوط ثالث عند محمد بن عبد الحي الكتاني في فاس[٢].

---

[١] أنس خالدوف، المخطوطات العربية، رسائل جغرافية (تسلسل ١٠٨)، الكويت، ديسمبر ١٩٨٧: ٣٠- ٣١.

[٢] صبري محمد حسن، مصدر سابق: ١/ ١٥٨-١٦٠.

ونقل الحميري من كتاب الإدريسي "نزهة المشتاق" القسم الذي يعالج إسبانيا برمته بالرغم من توجيهه نقداً شديداً للإدريسي، وبالقدر نفسه نقل الحميري من كتاب المسالك والممالك للبكري، كما إعتمد على كتاب الإستبصار لمؤلف مجهول من القرن الثاني عشر[1].

٨٢. كمال الدين السمرقندي ٨١٦- ٨٨٧هـ/ ١٤١٣- ١٤٨٢ م

هو كمال الدين عبد الرزاق السمرقندي ، ولد بـ(هراة) وتوفي فيها ونسب إلى سمرقند لأنه أقام بها طويلاً. وكان أبوه مقرباً إلى بلاط (شاهرخ) كإمام وقاضٍ. وأظهر الإبن إستعداداً للدبلوماسية فكلفه شاهرخ بمهام دبلوماسية في الأقطار الأجنبية فبعثه في عام ٨٤٥هـ/ ١٤٤١ م إلى الهند حيث أمضى بها ثلاث سنوات. وفي ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م نجده بكيلان. وفي العام التالي أرسله إلى مصر. وإبتداءً من عام ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م إلى آخر أيام حياته تولى السمرقندي الإشراف على خانقاه بـ(هراة).

واكتسب السمرقندي شهرته العلمية من مصنفه التاريخي الكبير الذي يقع في جزئين وهو "مطلع السعدين ومجمع البحرين" الذي أتمّ تأليفه بين عامي ٨٧٢

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ١/ ٤٤٩.

و٨٧٥هـ/ ١٤٦٧ و١٤٧٠م والذي كرسه بصورة خاصة لتاريخ المغول ولتيمور وشاهرخ.

أما مادته الجغرافية فموزعة بحسب الموضوعات ولبعض الأقسام صلة مباشرة بتاريخ شعوب الإتحاد السوفيتي السابق مثل روايته عن حملة تيمور في سهوب القبجاق في عام ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م. ووصف رحلته إلى الهند التي بدأها في يناير من عام ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م ووصّل فيها ولاية كرمان ثم جزيرة هرمز بالخليج العربي ووصف نشاطها التجاري وتعداده للأمم والسلع التجارية التي تجلب إليها، حيث كانت هرمز أحد مراكز التبادل التجاري العالمية في ذلك العصر. ومن هرمز إلى الساحل الشرقي لبلاد العرب. وأخذ السفينة من مرفأ قلهات فبلغ كاليكوت وكانت وقتذاك أكبر موانيء الساحل الغربي للهند (مليبار) وتجول في الهند ولم يغادرها إلّا في مارس من عام ٨٤٨هـ/ ١٤٤٨ م فوصل مرة أخرى إلى مسقط ومنها إلى هرمز وهو يقدم وصفاً مفصلاً لنواحي الهند[١].

٨٣. أحمد بن ماجد: ٨٣٦-٩٢٣هـ/ ١٤٣٢-١٥١٧ م

هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن أبي معلق السعدي بن أبي الركائب النجدي. ولد في جُلفار (رأس الخيمة) على الساحل الغربي لخليج عُمان،

---

[١] المصدر نفسه: ٢/ ٥٢٩- ٥٣١.

وينحدر من صلب أسرة إنصرف أفرادها لقيادة السفن. وهناك من يرى أنه توفي في عام ٩٠٨هـ/ ١٤٩٤ م.

ويذكر المؤرخ البرتغالي (باروش) في كتابه آسيا البرتغالية أن فاسكودي غاما إلتقى في مالندي بمسلم من كجرات يدعى المعلم (كانا) وجد لديه عدداً كبيراً من الخارطات والآلات. وتمكن الباحثون، في مطلع القرن العشرين، من الكشف عن شخصية المعلم (كانا) الذي دلَّ فاسكودي غاما على الطريق من مالندي إلى كاليكوت بالهند وهو إبن ماجد.

ومن بين الخرائط التي كانت لدى أحمد إبن ماجد خارطة بحرية دقيقة عن البحار الواقعة ما بين بلاد العرب وبلاد الصين وعلى هذه الخارطة إعتمد المكتشف البرتغالي فاسكودي غاما وكان إبن ماجد ساعده الأيمن ودليله الأوحد للملاحة في المحيط الهندي[1].

ويرجع الفضل في معرفة إبن ماجد وأنه المرشد الذي قاد أسطول فاسكودي غاما إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح إلى جهود المستشرق الفرنسي (جبريل فران)

---

[1] صبري فارس الهيتي، شهاب الدين أحمد بن ماجد، ط١، هيئة كتابة التاريخ، بغداد ١٩٨٩: ٣٨-٣٩.

عام ١٩٢٢ والذي عثر على هذه المعلومة في مخطوط لقطب الدين النهروالي وعنوانه "البرق اليماني في الفتح العثماني" يرجع تاريخه إلى عام ١٥٧٧م[1].

وحفظ لنا قطب الدين النهروالي (٩١٧- ٩٩٠هـ/ ١٥١١- ١٥٨٢ م) في كتابه عن فتح العثمانيين لليمن المشار إليه ورواية عن ظهور البرتغاليين في الخليج العربي. وتمكن (فيران) من تقديم ترجمة دقيقة لنص النهروالي والذي يقول إن دخول البرتغاليين إلى ديار الهند كان في أول القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي (إبتداء من عام ١٤٩٥م/ ٩٠١هـ) وكانت طائفة منهم يركبون البحر قادمين من زقاق سبتة (مضيق جبل طارق) ويلجون بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) وما زالوا يواصلون إلى معرفة هذا البحر إلى أن دلهم شخص ماهر من أهل البحر يقال له (أحمد بن ماجد) صاحبه كبير الفرنج عاشره في السكر فعلّمه الطريق في حال سكره وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان (أي الساحل الأفريقي) وتوغلوا في البحر ثم عودوا (إلى ساحل الهند) فلا تنالكم الأمواج، فلما فعلوا ذلك صارت مراكبهم تسلم من التحطم، لذلك إزداد عددهم في بحر الهند وبنوا مستعمرة (كَوا) Goa على ساحل الدكن، وبذلك أخذوا فيما بعد يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً

---

[1] المصدر نفسه، ص١٧.

فإستنجد السلطان "مظفر شاه بن محمود شاه" سلطان كجرات (٩١٧- ٩٣٢هـ/ ١٥١١- ١٥٢٥ م) بالسلطان الأشرف (قانصوه الغوري) يستعين به على الإفرنج[1].

وقد وصفت المصادر البرتغالية أحمد بن ماجد أنه (مسلم من كجرات) وذلك لصلته بالهند، وربما كانت كجرات مركزاً لعملياته البحرية، كما أن له علاقات مع الفرس ومارس نشاطه خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي. ويذكر في إحدى المخطوطتين أن له تجربة (أربعين عاماً) في الملاحة، وإن إرشاده لسفن فاسكودي غاما كان في الغالب في أواخر أعماله الملاحية الكبرى.

وكانت مخطوطات إبن ماجد على جانب كبير من الجودة، فالمخطوطة الرئيسة في باريس تمثل نسخة مأخوذة من الأصل وترجع إلى عام ٩٨٤ هـ/ ١٥٧٦ م. أما مخطوطة دمشق فقد نُسخت بمكة في عام ١٠٠١هـ/ ١٥٩٢ م. كما أن نسخ المصنفات الثلاث الموجودة بمعهد الدراسات الشرقية ترجع إلى منتصف القرن السادس عشر.

وبلغ عدد آثار إبن ماجد نحو الأربعين ومعظمها قد تمت صياغته شعراً وفقاً للمنهج التذكيري القديم. غير أن واحداً من مصنفاته الكبرى قد كُتب نثراً ويحمل عنوان "كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد".

---

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ٢/ ٥٧١- ٥٧٢.

٨٤. سليمان المهري: تأليف كتابه ٩١٧هـ/ ١٥١١ م

زاول سليمان المهري نشاطه البحري بعد نصف قرن بالتقريب من نشاط أحمد بن ماجد، أي خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. ولم يكن ، على ما يبدو، في القدر نفسه من الأصالة والإبداع كزميله إبن ماجد.

وسليمان المهري من مدينة الشحر على الساحل الجنوبي لحضرموت ، أي في جنوب الجزيرة العربية. وقد إشتهر سكان هذه المواضع بالمهارة في الملاحة وكانت لهم صلات بحرية بسواحل أفريقيا الشرقية وأرخبيل الهند الشرقية. وتقع المدة التي زاول فيها نشاطه، على ما يبدو، في النصف الأول من القرن السادس عشر، أي بعد مضي بعض الوقت على رسوخ قدم البرتغاليين بالمحيط الهندي[١].

وكانت المصنفات الخمسة التي تبقت لدينا عن سليمان المهري مكتوبة نثراً ومحفوظة بأجمعها في إحدى مخطوطتي باريس (رقم ٢٥٥٩)، وأكبرها "العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية" التي يرجع تأليفها إلى عام ٩١٧هـ/ ١٥١١ م، وتنقسم إلى سبعة ابواب وعدة فصول.

أما المصنف الثاني الكبير لسليمان المهري فهو "كتاب المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر" وينقسم أيضاً إلى سبعة أبواب. وسليمان المهري يصل في نهاية الشوط

---

[١] كراتشكو فسكي، مصدر سابق، ٢/ ٥٧٨- ٥٧٩.

إلى النتيجة نفسها التي وصل إليها إبن ماجد بالتقريب وهي أن المعرفة بالشؤون البحرية إنما تقوم على أساس مزدوج من سلامة التفكير والخبرة العملية[1].

٨٥. محمد بن إياس الحنفي: ٨٥٢- ٩٣٠هـ/ ١٤٤٨-١٥٢٤ م

هو شمس الدين محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، سليل أسرة من المماليك الجراكسة، وصل بتاريخه "نشق الأزهار" إلى عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢ م. وقد إعتمد الناشر في طبعه لهذا القسم من تاريخ إبن إياس على المخطوطة الفريدة الموجودة بمعهد الدراسات الشرقية بالإتحاد السوفيتي السابق. وكتابه يحمل عنوان "نشق الأزهار في عجائب الأقطار" وأتم كتابته (بخط يده) علي بن محمد الملاح في ١١ رمضان سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٩ م، أما الكاغد فهو شرقي الصنعة[2].

ويضم الكتاب مواد مختلفة مروية بدون نظام مقرر تناول فيه تعيين الأطوال والعروض، وتقسيم سطح الأرض بين الأقاليم السبعة، ووصف فيه بلاد المغرب ومصر (التي فصَّل فيها عن سطحها ومناخها وإقتصادياتها) والنوبة وغانة والسواد والشام وأرمينيا والجزيرة والعراق واليمن والحجاز والهند والأندلس ونواحي بحر الخزر وسكانها ومن بينهم الروس والبلغار وذكر البحور والخلجان والجزر والأنهار

---

[1] المصدر نفسه، ٢/ ٥٧٨- ٥٧٩.

[2] المصدر نفسه، ٢/ ٤٩٠- ٤٩١.

(وفيضان النيل) والآبار والاعياد والتواريخ. ويشير المؤلف في مصادره إلى كتب البيروني والإدريسي وإبراهيم بن وصيف شاه المقريزي والسيوطي والأسواني وغيرهم[1]. ولابن إياس كتب أخرى مثل "بدائع الزهور في وقائع الدهور" في ثلاثة أجزاء وكتاب " نزهة الأمم في العجائب والحكم".

٨٦. محمد بن طولون: ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦ م

هو أكثر الجغرافيين المتأخرين أصالةً دون منازع في ميدان الجغرافية الإقليمية وهو من مواطني دمشق وينحدر من صلب الطولونيين من فرع خمارويه، والدته رومية وكانت تجيد الكلام بلغتها الأصلية. أمضى سني دراسته بالقاهرة إلّا انه وطيلة حياته الباقية قضاها مقيماً بمسقط رأسه دمشق. وهو تلميذ عبد القادر بن محمد النعيمي (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١ م). كان له ولع بالتاريخ ويشعر بميل خاص إلى الرسائل الموجزة المفردة لموضوعات جغرافية محددة مثل مواضع معينة من المدينة كالقلعة وباب جيرون المشهور والمقابر القريبة من باب الفراديس وبعض رسائلهم مكرس لأحياء معينة أو ضواحٍ وقرى قريبة من مدينة دمشق وبضمنها موطن المؤلف

---

[1] أنس خالدوف، المخطوطات العربية، المصدر نفسه: ٣٧.

(ضاحية الصالحية)، فضلاً عن غوطة دمشق وقرية الربوة وقريتي داريا والمزة والبساتين المحيطة بها[1].

وبهذا إستطاع إبن طولون أن يدخل ردحاً جديداً في أدب قديم ومتواتر فيما يتعلق بالجغرافية الإقليمية للشام. مع وصف لطريق الحج من الشام إلى الحجاز كما ورد في كتابه "منازل الحج الشامي". ومن طراز الفضائل له "معالم مكة المشرفة" والمدينة "معالم المدينة" والقدس "معالم بيت المقدس". ويوجد من بينها مقال خاص عن مقام إبراهيم المشهور بالكعبة "مقام الخليل".

وعليه يمكن القول إن الجغرافية المنطقية كانت حافلة للغاية في ذلك العصر من حيث الكم، وتضاءلت إلى جانبها المصنفات في الجغرافية العامة بشكل بيِّن.

٨٧. ليون الأفريقي: ٨٩٦-١٠٠٩هـ/ ١٤٩٢-١٦٠٠م

هو من أهل مراكش، عاش في القرن السادس عشر ويعد آخر المؤلفين الكبار في محيط الجغرافية العربية ببلاد المغرب. وسيرة حياته شبيهة بسيرة حياة الإدريسي. وهو معروف في الأقطار العربية بإسم الحسن بن محمد الوزان الزياتي، بينما يرد إسمه على مصنفاته التي وضعها بأوربا على أنه "يوحنا الأسد الغرناطي" أو "يوحنا ليون الأسد الإيبيري أو الإفريقي". ولد فيما يبدو بغرناطة قبل أمد قصير من سقوطها عام

[1] كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ٢/ ٦٨٠-٦٨٢.

١٤٩٢ على أيدي المسيحيين. فإنتقل أهله إلى مراكش شأن الكثير من الأسر المسلمة فشبَّ بمدينة فاس. ومنذ عام ١٥١١ م إصطحبه عمه في رحلة دبلوماسية ساقته إلى تمبكتو. ومن المؤكد أنه نال حظاً جيداً من التعليم وتمرّس في فنون الكتابة الدواوينية، وإضطلع بما لا يقل عن ثلاث مرات بأعباء سفارات مهمة في جنوبي مراكش لأسرة بني وطاس الحاكمة بفاس، وهي واحدة من آخر فروع أسرة بني مرين. ويلاحظ وجود وصف دقيق لمدينة فاس دوّنه يراع ليون الأفريقي، وإستطاع من خلال رحلاته العديدة أن يتعرف بصورة جيدة على أفريقيا الداخلية والشمالية[1].

أما الدوافع التي دفعت ليون لمغادرة مراكش في عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥ م فهي غير واضحة المعالم، شأنها في هذا شأن جلّ التفاصيل المتعلقة بسيرة حياته. ولعل الدافع الأساس كانت رغبته في أداء فريضة الحج أو لإعتبارات أخرى. ولقد زار مصر وبلاد العرب وإيران والشام وأرمينيا وبلاد التتار (وقد يقصد بالأخيرة تبريز). وكان بمكة ومصر عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧ م، وبلغ في تجواله إستنبول. وفي جزيرة جربة وقع في أسر قراصنة من جزيرة صقلية ساقوه إلى نابولي في عام ١٥٢٠ ثم إلى روما وأهدوه إلى البابا ليون العاشر (١٥١٣- ١٥٢١). إضطر المغربي أن يعتنق المسيحية ويتخذ لنفسه إسم ولي نعمته (جيوفاني ليوني). ويسّرَ له البابا سبل الإشتغال بتدريس اللغة العربية والتفرغ للنشاط العلمي بـ(روما وبولونيا) وكان يلمّ باللغة الإسبانية التي

---

[1] المصدر نفسه: ١/ ٤٥٠- ٤٥٤.

كانت أشبه ما تكون بلغته القومية، وكان يعرف أيضاً اللغة اللاتينية ويقرأ بها. وفي عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤ م ألّف معجماً عربياً -عبرياً-لاتينياً، وفي ١٠ مارس ١٥٢٦ م أتمّ الترجمة الإيطالية لكتابه (وصف أفريقيا) الذي وضعه أصلاً باللغة العربية بعد إنجاز تأليفه. ولكن ماسينيون يرى أن ليون الأفريقي لم يدون الكتاب باللغة العربية وإنما صاغ مذكراته وملاحظاته باللغة الإيطالية مباشرةً. ويرى كراتشكو فسكي أن ذلك هو الأقرب إلى الصواب. وعلى الرغم من أن الوصف الجغرافي عنده يتميز بالدقة الشديدة إلّا أن مادته التاريخية وتواريخه ليست في المستوى المطلوب[1].

وينقسم وصف ليون الأفريقي في كتابه المذكور إلى تسعة كتب يعالج الأول منها أفريقيا بصورة عامة وسكانها من البدو الرحل، والثاني لنواحي مراكش ومدنها وجبالها، والثالث لفاس والرابع لتلمسان والخامس لبجاية وتونس والسادس لطرابلس والسابع لدول السودان والثامن لمصر. أما التاسع فكان وصفاً موجزاً للأنهار والحيوان والأسماك والطيور والمعادن والنباتات الأفريقية. وقلما يشير إلى مصادره وأهمها مصنفات المسعودي والبكري، والإدريسي وإبن الخطيب وإبن بشكوال. ويعد كتاب ليون الإفريقي البحث الوحيد في جغرافية مراكش المتميز بالأصالة والترتيب الذي ظهر بأوربا في القرن السادس عشر. وقد ظهرت الطبعة الإيطالية للكتاب عام ١٥٥٠م والترجمتان اللاتينية والفرنسية في عام ١٥٥٦

---

[1] المصدر نفسه، ٢/ ٤٥٠- ٤٥٤.

والإنكليزية في عام ١٦٠٠. وقد أجاد ماسينيون عام ١٩٠٦ بتدوين بحثٍ ممتازٍ كان بعنوان "مراكش في السنوات الأولى من القرن السادس عشر كما وصفها ليون الإفريقي".

٨٨. حاجي خليفة: ١٠١٧-١٠٦٧هـ/ ١٦٠٩-١٦٥٧م

ولد حاجي خليفة بالقسطنطينية، وكان موظفاً صغيراً يعمل بديوان العسكرية. وإسمه في الأصل مصطفى بن عبد الله، ولكن غلب عليه لقب كاتب جلبي وحاجي خليفة. وبعد ١٥ عاماً شغل وظيفة محاسب بوحدات الجيش بالأناضول ولهذا ساهم بالحملة العسكرية على بلاد فارس وحضر حصار أرضروم عام ١٦٢٧- ١٦٢٨م/ ١٠٣٧-١٠٣٨هـ وبعدها رجع إلى القسطنطينية ليشغل وظيفة رئيس للكتبة، ولذلك لُقب بـ(كاتب جلبي). وإتجه إلى دراسة اللغة العربية وتبع القوات العثمانية إلى همدان. وبعد حين إندلعت الحرب مع الفرس ولم يعد إلى موطنه إلّا في عام ١٦٣٠ وإنشغل بدراسة التفسير، ثم ذهب إلى سوريا في عام ١٦٣٣ مع جيش الصدر الأعظم محمد باشا وإشترك في الحملة مع الفرس لعام ١٦٣٥ التي قادها مراد الرابع بنفسه. وحينما عسّكر الجيش بحلب لتمضية فصل الشتاء أدّى فريضة الحج وقويت رغبته إلى العلم بحلب المليئة بالكتبيين والوراقين، وكانت من أكبر المراكز الثقافية بالبلاد العربية منذ عهد الحمدانيين في القرن العاشر لغاية عهد حاجي خليفة، وفيها بدأ يجمع مادته العلمية لمصنفه الببلوغرافي، فرجع إلى القسطنطينية وإنصرف لمدة عشرة أعوام

خصص جزءاً منها لدراسة الرياضيات والفلك والجغرافيا والطب. وأخذ يقتني الكتب، ثم عينه محمد باشا نائباً ثانياً بالإدارة المالية لديوان الجيش وثبت عليه لقب (حاجي خليفة)، وإشترك بلجنة لتحسين ميزانية الدولة. وظلّ أربعة أعوام يبحث ويدرِّس إلى أن وافاه الأجل بمسقط رأسه، ويرجع البعض وفاته إلى عام ١٦٥٨ م، ولم يكن قد جاوز الخمسين من عمره حين وافته المنية.

وأهم مصنفاته "كشف الظنون" وهو أشبه ما يكون بدائرة معارف في تواريخ المصنفات المختلفة، وإن إنتاجه أقل من السيوطي، وله مصنفات في المسائل المالية والإقتصادية، ولكن أكثر إهتمامه كان في التاريخ والجغرافيا. وبلغ عدد مصنفاته بين ٢٠ و٣٠ مصنفاً. غير أن مصنفاته الجغرافية أو المتصلة بالجغرافيا يبلغ عددها أربعة وهي: معجمه الببلوغرافي الضخم الذي وضعه باللغة العربية ويحيط بجميع فروع العلم والأدب. أما سفره الأساسي في الجغرافية العامة فكان باللغة التركية، ومصنفان بالتركية يحملان طابعاً أكثر تخصصاً، أحدهما صياغة معدلّة لأطلس أوربي للعصر القريب منه، والآخر مصنف تاريخي يرتبط إرتباطاً مباشراً بالجغرافية الملاحية.

وحاجي خليفة يبدي إهتماماً خاصاً بالجغرافية الفلكية، وهو يفرد داخل علم الفلك مكاناً خاصاً "لعلم الزيجات والتقاويم"، كما يوجد لديه داخل قسم الهندسة قسم خاص للملاحة يقترب كثيراً من الجغرافية الملاحية، وفيه يعرف الملاحة تعريفاً خاصاً بأنه علم يبحث عن "كيفية صنعة السفن وكيفية ترتيب آلاتها وكيفية إجرائها

في البحر ويتوقف على معرفة سموت البحار والبلدان والأقاليم ومعرفة ساعات الأيام والليالي ومعرفة مهاب الرياح وعواصفها ورخائها وممطرها وغير ممطرها ومن ميادين علم الميقات وعلم الهندسة".

ويفرد حاجي خليفة أقساماً خاصة لموضوعات شتى مثل "علم مسالك البلدان" و "علم خواص الأقاليم والبلدان" و"علم خواص البر والبحر" و"علم البرد- البريد- ومسافاتها". اما المصنف الرابع له فقد إهتم فيه بميدان الجغرافية الملاحية وأتمه في عام ١٦٥٥ بعنوان "تحفة الكبار في أسفار البحار"، وأساس الكتاب تاريخي لكنه يرتبط بالجغرافيا إرتباطاً وثيقاً. وينقسم الكتاب إلى قسمين: الأول وفيه تسعة فصول تبحث في تاريخ الإسطول القديم وإنتصاراته مركزاً فيه على الحروب مع البندقية وجنوا وغيرهما وتفصيلات عن أعمال العثمانيين في البحر الأسود والأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي. أما القسم الثاني والأصغر فيقع في سبعة فصول ويتحدث فيه عن ديوان البحرية، والأسطول على أيامه مع قادته يمثل تحليلاً لنظامه الإداري ووصفاً لأنواع السفن وأساليب القتال البحري[1].

---

[1] تم تلخيص حاجي خليفة إعتماداً على : كراتشكو فسكي، مصدر سابق: ٢/ ٦١٨- ٦٣٥.

٨٩. أوليا جلبي: ١٠٢٠-١٠٩٠هـ/ ١٦١١-١٦٧٩ م

كانت له ميول علمية ولقب بإبن بطوطة التركي وأسفاره لم تبلغ المدى الذي بلغه حاجي خليفة أو أسفار إبن بطوطة، فلم تذهب تلك الأسفار أبعد من العراق لكنه كان أكثر قراءة من الرحالة إبن بطوطة.

إلتحق متأخراً بالجيش النظامي برتبة (سباهي)، وكان جده حاملاً للواء السلطان محمد الثاني الفاتح، وإشترك في فتح القسطنطينية . وبلغ أفراد اسرته أعماراً طويلة، فجده عاش ١٤٧ عاماً، ووالده درويش كان من جواهري البلاط السلطاني وكان في معية السلطان سليمان القانوني في أكثر من حملة عسكرية، وخدم عشرة من السلاطين وتوفي في عام ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨ م عن ١١٧ عاماً.

بدأت أسفار أوليا جلبي منذ عام ١٦٣١ في أنحاء القسطنطينية وما يحيطها من مواضع وكرّس لها الجزء الأول من كتابه الضخم المؤلف من عشرة أجزاء ويحمل عنوان "تاريخ سياح" أو "سياحة نامه". وهو مخصص لأسفاره التي إنتظمت مدة ٤١ عاماً ودونها على شكل يوميات. وقد ساقته السفارة إلى بلاد فارس والقوقاز وبغداد وسوريا ومكة ومصر وجنوبي روسيا والأفلاق والبوسنة والنمسا والمجر وألمانيا والسويد وبولندا، وآخر تاريخ لأسفاره هو ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨ م.

ويعد كتابه من أهم الوثائق التي تصف عصره ومصدراً لتاريخها وشعوبها ومظاهرها الحضارية، وينبغي أن يُضم إلى مدرسة الجغرافيين العرب كما يرى

كراتشكو فسكي. وينتمي إلى المنهج الإسلامي القديم. وهو لا يكشف عن أية معرفة بالأفكار الجغرافية الأوربية، وهو في هذا يقف على طرف نقيض مع معاصره حاجي خليفة والذي يكبره سناً. وإعتمد أوليا جلبي على مصادر شرقية وكذلك إعتمد على ملاحظاته الشخصية الدقيقة كرحالة. وهو مع إبن بطوطة يجعل محور إهتمامه الآدميين مع تفصيل عن الأوضاع السياسية للبلدان التي زارها ونماذج عن لغاتها ولهجاتها ومادته ذات طابع حضاري وتاريخي"[1].

٩٠. عبد الغني النابلسي: ١٠٥٠-١١٤٣هـ/ ١٦٤١-١٧٣١ م

هو عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، الرحالة المتصوف، ولد في نابلس وتجول في أكثر أنحاء الوطن العربي ثم عاد إلى دمشق وتوفي فيها. رحل إلى الشام والحجاز لغرض الحج ودراسة المظاهر الجغرافية لتلك الأصقاع والّف كتاباً مهماً عن جغرافية الشام والحجاز. له ٩٠ كتاباً أهمها[2]:

١. كتاب الحقيقة والمجاز في رحلة الشام والحجاز، وهو مخطوط في المكتبة الخديوية بمصر.

٢. كتاب التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، مخطوط يوجد في المتحف البريطاني.

---

[1] تم تلخيصه إعتماداً على: كراتشكو فسكي، ١٩٦٣: ٢/ ٦٣٨- ٦٤٤.

[2] صبري محمد حسن، ١٩٥٩: ١/ ٨٨.

٣. علم الفلاحة في علم الملاحة، طبع في بيروت عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م.

٤. كتاب الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية.

٩١. محمد مرتضى الزبيدي ١١٤٥- ١٢٠٥هـ/ ١٧٣٢- ١٧٩١ م

ولد بالهند لكنه ينتمي إلى أسرة عربية أصلها من العراق ودرّس في شبابه بمكة وعاش طويلاً باليمن ومنها اخذ لقب الزبِيدي نسبةً إلى مدينة زَبِيد اليمنية. ومنذ عام ١٧٥٣ إستقر بالقاهرة وزار مضارب القبائل العربية بمصر السفلى والعليا، وتوفي بالقاهرة متأثراً بمرض الطاعون، وإشتهر في مجال التدريس.

يقول الجبرتي حول مصنفاته إن الزبيدي صنف مؤلفاً في الرحلات يصف فيه أسفاره بمصر وربما شغلت مجلداً. وأحد آثاره المهمة معجمه الكبير الذي أمضى في تأليفه ١٤ عاماً وأكمله في عام ١٧٦٧- ١٧٦٨ أو ١٧٧٤ وهو "تاج العروس من شرح جواهر القاموس" الذي يمثل في جوهره شرحاً لمعجم الفيروز آبادي للقرن الرابع عشر. وأهميته أنه يحوي قدراً من الأسماء الجغرافية ومن مصادره ياقوت والبكري وخطط المقريزي وإبن مماتي وإبن الجيعان[1].

---

[1] المصدر نفسه، ٢/ ٧٧٤.

٩٢. أبو بكر الكرخي:

هو أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرخي، نشأ ومات بالجانب الغربي من بغداد.إهتم بالرياضيات وإختص بالجغرافية الطبيعية والمياه الجوفية وكيفية إستخراجها والإنتفاع منها. له كتابان في المياه هما[1]:

١. علم إستنباط المياه

٢. المياه الكامنة في الأرض والإنتفاع بها .

---

[1] صبري محمد حسن، ١٩٥٩: ١/ ١٤٦- ١٤٧.

الفصل الثامن

حياة المسعودي والتخصصات الجغرافية التي تطرق إليها

ولادته ورحلاته:

نظراً لأهمية أبي الحسن المسعودي ودوره الكبير في الجغرافيا فسنفصِّل حياته وإنجازاته أكثر من غيره . فهو يعد من بين الجغرافيين الذين برزوا في مجال الجغرافية العربية والرحلات الميدانية وهو صاحب المؤلفات الضخمة والتي فُقد الكثير منها، وأبرز كتابين إشتهر بهما وتضمنت معلومات كثيرة في مجال الجغرافيا بفروعها العديدة هما "مروج الذهب ومعادن الجوهر" و "التنبيه والإشراف".

والمسعودي هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله بن زيد بن عتبة بن عبد الله بن مسعود. فهو من ذرية عبد الله بن مسعود، أحد أحفاد صاحب رسول الدعوة الإسلامية الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[1].

---

[1] دمتري ف. ميكولسكي،" المسعودي هيرودوت العرب"، جريدة الرياض، العدد ١٣٧٤٤، الخميس ١٠ محرم ١٤٢٧هـ/ ٩ فبراير ٢٠٠٦م.

ويُعد المسعودي من أكابر المؤرخين والجغرافيين، وقد إعتمد إبن خلدون (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)على كثير من رواياته التاريخية[١]. وكتابه "مروج الذهب" هو من عجائب المكتبة الإسلامية علماً وثقافةً وإحاطةً بكل معارف عصره.

وأطلق المؤرخ الفرنسي (م. دوسن) عليه لقب "هيرودوت العرب"، وسماه غيره "بطليموس المسلمين". وحمل اشهر كتب المستشرق الروسي "دمتري ميكولسكي"لقب (المسعودي هيرودوت العرب)، إذ "حلَّ المسعودي مسألة مهمة من مسائل علم الجغرافيا في عصره، مكتسباً بذلك للأبد شهرة جغرافي عالم، ورحالة بارز"[٢]. كما لقبه مؤرخو العلوم بـ (بلينوس الشرق). ويرى الدوميلي أن المسعودي كان يفوق بلينوس الروماني شهرةً[٣].

وتظهر معلومات المسعودي الموسوعية من خلال معارفه المتعددة، فكان ملماً بعدة لغات كالفارسية والهندية واليونانية والرومية والسريانية. وقد تتلمذ على يديه كثير من العلماء والمؤرخين وأكثروا من النقل عنه والتوثيق له. وهو ذو ثروة علمية

---

[١] إبن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص ١٠-١٢.

[٢] ميكولسكي، مصدر سابق، العدد ١٣٧٤٤.

[٣] عن: عدنان النقاش، الجيولوجيا عند العرب، الموسوعة الصغيرة، تسلسل ٢٤٧، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦، ص٣٤.

كبيرة ولكنها مبعثرة في كتبه، موزعة في مصنفاته[1] . وقال عنه الذهبي إنه كان معتزلياً[2].

والمسعودي من عائلة بغدادية كريمة، فقد ولد في بغداد ونشأ وتعلّم بها وسمع فيها من فحول النحويين أمثال نفطويه. ومن أقواله شوقاً بمسقط رأسه:" من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها تائقة، وإلى مسقط رأسها شائقة...ومن علامة وفاء المرء دوام عهده وحنينه إلى إخوانه وشوقه إلى أوطانه "[3].

لذلك إهتم المسعودي بوصف الإقليم الرابع الذي يقع فيه العراق إنه (مولده). ويخطأ إبن النديم في جعله من أهل المغرب[4]. ولعله شخص آخر أو لعل بعض أجداده نزحوا إلى المغرب.

---

[1] المسعودي، التنبيه والإشراف، عُني بتصحيحه ومراجعته عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى في بغداد، بقلم المحقق، ص: (ج).

[2] المسعودي، مروج الذهب، إعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، ط١، الجزء الأول، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥، ص٥.

[3] المعرفة، المسعودي مؤرخ جغرافي ورائد نظرية الإنحراف الوراثي. أنظر الموقع على النيت: https://www.marefa.org/المسعودي

[4] إبن النديم، الفهرست، مصدر سابق ص٢٢٥.

غير أن المسعودي نفسه يؤكد أنه بغدادي الأصل والمولد، إذ يقول ما نصه: "وأشرف الأقاليم مدينة السلام التي مولدنا فيها..."[1]. كما وصف إقليم بابل وحنينه إليه قائلاً:" وأوسط الأقاليم الإقليم الذي ولدنا فيه ... وولدتْ في قلوبنا الحنين إليه، إذ كان موطننا ومسقطنا، وهو إقليم بابل. وقد كان هذا الإقليم عند ملوك الفرس جليلاً، وقدره عظيماً، وكانت عنايتهم إليه مصروفة، وكانوا يشتون بالعراق، وأكثرهم يصيفون بالجبال..."[2]. ويذكر المسعودي في مؤلفيه "مروج الذهب" و"التنبيه والإشراف" أن العراق موطنه، وقد أكثر من الحنين إليه، وأغرق في الثناء عليه، ويذكر إبن خلكان أن عداده في البغداديين[3].

ومع إختلاف الآراء حول تحديد سنة ولادته إلّا أن المرجح أنه ولِدَ في عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م، أي في أواخر القرن الثالث الهجري/ أواخر القرن التاسع الميلادي. ويميل أغلب الباحثين في تحديد ولادته إلى هذا التاريخ.

أما وفاته فكانت في الفسطاط بمصر سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م، أي في أواسط القرن الرابع الهجري/ أواسط القرن العاشر الميلادي. وإن ذكر البعض أن وفاته كانت في سنة ٣٤٥هـ.

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ج٢، ص٥١.

[2] المصدر نفسه، ج٢، ص٥١.

[3] المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، بقلم المحقق، ص: ط.

وبخصوص رحلات المسعودي فقد إبتدأها من موطنه بغداد عام ٣٠١هـ/ ٩١٣م بعمر ١٨ عاماً. حيث كان يحب الرحلة منذ صباه. وظل يتجول بين فارس وكرمان وإستقر في إصطخر حتى عام ٣٠٤هـ/ ٩١٦م، ومنها رحل إلى مجاهل الهند وصيمور(السند، البنجاب، مليبار، الملتان، المنصورة) وقطن بومباي. ومن المحتمل أن يكون قد أقام حينذاك في جزيرة سرنديب (سيلان) وعبر البحر العربي إلى زنزبار (زنجبار) ومدغشقر إلى عُمان ومسقط في طريق عودته إلى بغداد. ويمكن أن نستنتج أنه ذهب إلى قناطر (فالنسيه) العجيبة وشارف الصين. وعانى في تلك الرحلة من مخاطر وصعاب عديدة، وتعمق في دراسة حدود البلدان داخل الإمبراطورية العربية الإسلامية مستعيناً بالآلات العلمية التي كانت معروفة إبان تلك المرحلة[1].

وفي عام ٣١٤هـ/ ٩٢٦م ذهب المسعودي إلى البصرة عن طريق البحر العربي ومكث فيها مدة طويلة من الزمن، وتجول بين دجلة والفرات وإستقصى كل صغيرة وكبيرة. ويقول في ذلك ما نصه:" كان نهر دجلة يجري في أراضٍ منخفضة ويبتعد عن الشرق في بطائح... ثم تخرج دجلة من مدينة السلام فتصب فيها أنهار كثيرة فإذا خرجت دجلة من مدينة واسط تفرقت في أنهار أُخر إلى بطيحة البصرة ..."[2].

---

[1] المصدر نفسه، بقلم المحقق، ص: (ط، ي)، المسعودي، مروج، ج١، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ص٥، صبري محمد حسن، ج١، مصدر سابق، ص١٣.

[2] المسعودي، مروج،٢٠٠٥، ج١، مصدر سابق، ص٨٢-٨٣.

أما نهر الفرات فيقول فيه:"... ثم ينتهي إلى الرقة وإلى الرحبة وهيت والأنبار ... مما ينتهي إلى مدينة السلام ... وقصر إبن هبيرة والكوفة والجامعين... ثم تنتهي غايته إلى البطيحة التي بين البصرة وواسط..."[1]. والجزء الأكبر من الفرات يجري في فرعه الشرقي، لعله يقصد شط الحلة أو نهر العباسيات.

وبعد تجواله في العراق ذهب إلى بحر قزوين (الخزر) وأذربيجان وجرجان وآسيا الصغرى وسوريا[2]. وفي سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م جاء المسعودي إلى أنطاكيا والثغور الشامية ودمشق وفلسطين وإستقر أخيراً في مصر فنزل الفسطاط سنة ٣٤٥هـ[3].

بعد ذلك رحل المسعودي جنوباً حتى وصل منابع النيل، وفي ذلك يقول ما نصه:" ومنبعه ومبدأ ظهوره من إثنتي عشرة عيناً فتصب تلك المياه إلى بحرين هناك كالبطائح، (ولعله يقصد النيلين الأزرق والأبيض)، ثم يجتمع الماء جارياً فيمر برمال هناك وجبال مما يلي بلاد الزنج..."، ويخترق أرض السودان ويصل مدينة أسوان في

---

[1] صبري محمد حسن، مصدر سابق، ص١١٤-١١٥.

[2] المسعودي، التنبيه، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص: ي، صبري محمد حسن، مصدر سابق، ج١، ص١١٣-١١٤، نقولا زيادة، الرحالة العرب، مصدر سابق، ص ٤٧.

[3] المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ج١، ص٥.

صعيد مصر، ثم يمر بالفسطاط وينقسم قرب البحر إلى فروع تصب في البحر الرومي[1].

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن الميدان الحقيقي للمسعودي هو الرحلات الواسعة والإتصال المباشر بممثلي مختلف الطبقات. فقد شملت رحلاته جميع البلدان، من الهند إلى المحيط الأطلسي، ومن البحر الأحمر إلى بحر قزوين. وكثيراً ما يثبِّتْ في مصنفاته تاريخ زيارته لمواضع معينة، وهو أمر يعطي فكرة عن تجواله الواسع.

ويشير "ميكولسكي" بأن رحلاته " لم تكن لها علاقة بأيةِ مهمة رسمية، أو أغراض تجارية، أو مسائل ذات صبغة دينية... فالمسعودي يصبو إلى معرفة العالم وعجائبه وسننه، ويتطلع إلى توسيع تصورات معاصريه عن المعمورة وحياة العديد من الشعوب"[2] ومشاهدة البلاد التي يزورها ومعرفة أحوال أهلها وعاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم. وبالتالي فإن رحلاته كانت إرضاءً لميوله وأذواقه، ورغبةً منه في التجوال، فقد أحب الرحلة منذ صباه.

---

[1] المصدر نفسه، ج١، ص٧٨-٧٩.

[2] ميكولسكي، مصدر سابق، العدد ١٣٧٤٤.

ومن أهدافه الأخرى لرحلاته المغامرة والكشف عن الجديد، فقد أشار في القرن العاشر الميلادي إلى رحلة المغرورين في بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)[1] التي سبق وأن رواها الشريف الإدريسي في القرن التاسع الميلادي[2].

وفي خاتمة رحلاته يقول المسعودي: " على أننا نعتذر عن أي تقصير أو إغفال إن حصل من جراء تقاذف الأسفار وقطع القفار، تارةً على متن البحر، وتارةً على ظهر البر، مستعلمين بدائع الأمم بالمشاهدة، عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة قطعنا بلاد السند والزنج والصين وإقتحمنا الشرق والغرب، فتارةً بأقصى خراسان وتارةً بأواسط أرمينية وأذربيجان والران والبلقان وطوراً بالعراق، وطوراً بالشام..."[3].

منهجه العلمي:

إعتمدت منهجية المسعودي على الرحلة الميدانية، فهي تُعد في أهميتها عوناً للجغرافي في صقل المنهج وتأكيد المشاهدة والمعاينة، الأمر الذي أوثق المرئيات وأكد حدوث الوقائع. هذا علاوةً على ما وسعته الرحلة من أُفق ومدارك للجغرافي بسبب إتساع دائرة إتصالها بالبلدان والأقوام وحوارها بأصحاب الشأن والمعرفة بأحوال

---

[1] إغناطيوس كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ص١٣٦-١٣٧.

[2] الشريف الإدريسي، ذكر الأندلس، ص٥٥ (باللغة الإسبانية).

[3] المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ج١، ص١٠.

البشر وتقلباتها في الزمان والمكان[1]. حيث تمثل الرحلة بالنسبة للجغرافيا العين المبصرة في الدراسة الميدانية وتكفل حمل لواء الإضافة والتطوير والتجديد. وكان المسعودي الرائد في هذا المجال فقد أمضى أكثر من ربع قرن من حياته في التطواف في مملكة الخلفاء الواسعة والممالك المجاورة وسجل ما شاهده في مؤلفاته ووصف بين ما وصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول[2].

واحتل المسعودي المكانة الأولى بين الجغرافيين العرب في القرن العاشر الميلادي. فهو أكثر الكتاب الجغرافيين أصالةً ابان القرن المذكور، على حد قول واحد من أفضل المتخصصين في هذا المجال وهو (كرامرز) kramers حيث كان المسعودي ملماً بجميع فروع المعرفة وأحاط بالتراث الأدبي لعصره. فكان يصور الحياة الإجتماعية والثقافية في عصر الخلافة أفضل تصوير. وليس غريباً أن يفتتن به شخص عُرف بتقديره لهذا النوع من العرض، وهو الباحث الفرنسي"آرنست رينان " Ernest Renan[3].

---

[1] حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، سلسلة ١٣٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطابع الرسالة، الكويت، حزيران ١٩٨٩، ص٦٣، ٩٧.

[2] طارق فتحي، مصدر سابق، ١٢/ ١٠/ ٢٠١٥. Alba7th.COM/t7840_topic

[3] عن: كراتشكوفسكي، مصدر سابق، القسم الأول، ص١٨١.

وبناءً على ما تقدم فإن المسعودي اتبع المنهج العلمي الصائب الذي يتطلب من الجغرافي أن يتثبت من معلوماته بالملاحظة والمشاهدة والتجربة، ومن ثم إستخلاص النتائج في صور حقائق علمية جديدة. إلا أنه لا يتبع إتباعاً أعمى المنهج التأليفي السائد في الجغرافيا آنذاك، بل يفرد مجالاً واسعاً للمعلومات الجغرافية المأخوذة مباشرةً من الرحالين والتجار. وبالتالي فهو يلفت النظر إلى التباين بين النظرية الموجودة في الكتب والمشاهدات الواقعية فيها[1].

ويمكن القول إن المسعودي قد جمع مادته العلمية على أساس منهجي يشابه القواعد المنهجية المتعارف عليها الآن في الدراسات الإثنوغرافية مثل دراسة لغة المجتمع وثقافته ومعارف عصره وأموره الحياتية ونمط معيشة المجتمع.

وعدَّ "مينورسكي" المسعودي الممثل النموذجي لأفضل مواهب بني جنسه من حيث النظر إلى الفضول العلمي، وحب الأسفار، وحيوية الملاحظة، ويجتذبه كل ما هو مستغرب والذي يتفحص كل ما يقع تحت بصره، ولا تفوته فرصة الإستفسار من الشخصيات البارزة، أو زيارة الذين يرددون الأقاويل والإنتقادات عن مدينة ما. وبعبارةٍ أخرى لا يأخذ المسعودي مصادره على علاتها بل وقف منها موقف الناقد. وينبه الكاتب إذا وقع في خطأ. فقد فحص بإهتمام شديد رواية الجاحظ عن نهري السند والنيل، ووجد أن تفسير الجاحظ للمصدر الذي يأتي منه ماء السند أنه من نيل

[1] المصدر نفسه، ١/ ١٨٥.

مصر، لوجود التماسيح فيه، تفسيرٌ غير صحيح لا يتفق مع العقل والمنطق[1]. لذلك نبّه إلى خطأ هذا التفسير وقال: " فلستُ أدري كيف وقع له هذا الدليل "[2]. وبالتالي فهو يعبّر عن إستنكاره ودهشته لهذا التفسير.

كما شك المسعودي فيما قاله الجاحظ في كتابه (الحيوان) من أن " الكركدن يحمل في بطن أمه سبع سنين وانه يخرج رأسه من بطن امه فيرعى ثم يدخل رأسه في بطنها ". وعندما أخبر أهل سيراف وعمان والهند قول الجاحظ المذكور تعجبوا وأخبروه " أن حمله وفطامه كالبقر والجواميس. ولست أدري كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ، أمن كتابٍ نقلها أو مخبرٍ أخبره بها ؟"[3].

وفضلاً عما تقدم فإن المسعودي غالباً ما كان يقارن المادة المكتوبة بالمعطيات الواقعية في وصفه للطرق المختلفة ذاكراً في كثيرٍ من الأحايين أين ومتى إلتقى بالمسافرين ، المشهور منهم أو المغمور، منهم أبو زيد السيرافي[4] الذي إلتقى به في البصرة سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، وكان يجمع قصص البّحارة وإستقى من فم أحدهم

---

[1] مينورسكي، مصدر سابق، ص١٣-١٤.

[2] المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ج١، ص٧٨.

[3] المصدر نفسه،ج١، ص.١٣٣

[256] كراتشكوفسكي، مصدر سابق،١/ .١٨٥

[257] المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١/ ١٣٣.

رواية مفصّلة عن ثورة (هوانغ تشاو) التي حدثت في الصين قبل ٤٠ عاماً من زيارة المسعودي للبصرة. وإذا تأملنا قول المسعودي عن هذه الثورة نجده يسلط الأضواء على المصادر الصينية المحلية وليس على البحّارة[١]، وهذه ميزة حسنة تحسب له. ومن مصادره أيضاً سليمان التاجر الذي أخذ عنه بعض ما جاء في أخبار رحلته عن الهند والصين[٢].

ومن هنا يظهر أن المسعودي كان يرغب في الحصول على الأخبار الموثوق بها، لذلك فإن ما خلّفه من مؤلفات فيها شيء جديد في النظرة والأسلوب. ومن خلال كتابيه (مروج الذهب والتنبيه والإشراف) إختطَّ نهجاً جديداً في مواضيعه الجغرافية بما في ذلك الرحلة. فلم يكن يرى الأحداث، مهما عظمت، على أنها مستقلة أو أنها تجري في فراغ، لذلك إهتم بحضارات الأمم السالفة والمعاصرة له. وأصبحت الشعوب وحكامها محوراً لكتاباته[٣] التي تجنب فيها طريقة الحوليات في أغلب الحالات، أي انه لم يدون رحلاته تدويناً زمنياً، فهو لم يرحل من أجل ذلك، وإنما رحل وتنقل ليفهم العالم وما يدور فيه. وقد ربط في كتاباته الجغرافيا بين الزمان والمكان والإنسان، وهي

---

[٢٥٨] عبد الفتاح محمد وهيبة ، "جغرافية العرب في العصور الوسطى"، الجمعية الجغرافية المصرية: الموسم الثقافي لسنة ١٩٦٠، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠، ص٥٥-٥٦.

[٣] الحكواتي، ٢٠١٣، المؤسسة العربية للثقافة، المسعودي: شخصيات، علماء، فلاسفة ورحالة. أنظر الموقع على النت: al_hakawati Arab Culture Trust

في ذلك تعكس فكراً ثاقباً، ونظراً بعيداً، وتفكيراً عميقاً"[1]. وقد درس بتمحيص ما رآه بأم عينه- أثناء رحلاته- أو سمعه من أناس ثقات، ودأب على فرز الصحيح وإهمال ما يناقض الحقيقة بحسب ما يراها[2].

ورغم تلك الإيجابيات إلّا أن منهجه في التبويب لا يرقى إلى المستوى المطلوب، فقد كان من الصعب عليه أن يتبع منطقاً صارماً في التفكير أو التعبير. وكان يزاول بعض أعماله بعجالة وأصبح، بنظر "دوزي" Dozy ، من المتعذر عليه تحليل المادة المتنوعة التي جمعها من مختلف المصادر عن الشعوب النائية[3].

إن طريقة المسعودي في التأليف غالباً ما تعتمد على العرض، وبعضٍ منها على الإسناد، ومن ثم قليلاً ما يشير إلى مصادره، وقد يعتمد أحياناً إلى ضعيفي السند. وما من شك في أن مجال إطلاعه وقراءاته كان واسعاً. ويشير إلى السابقين له في مضمار الجغرافيا مثل الممثلين الرئيسين لنمط المسالك والممالك (كالسرخسي والجيهاني وإبن خرداذبه). لكنه لا يتردد بوصف كتاب إبن خرداذبه (المسالك والممالك)، رغم أهميته عن طرق التجارة بين أوربا والشرق، أنه "جاف وناقص"[4].

---

[1] المصدر نفسه، ٢٠١٣.

[2] دمتري ميكولسكي، مصدر سابق، العدد ١٣٧٤٤ .

[3] عن: كراتشكوفسكي، مصدر سابق، القسم الأول، ص١٨٣ .

[4] عن: عبد الفتاح محمد وهيبة، مصدر سابق، ص٥٤ .

وفضلاً عما تقدم فإن المسعودي لا يخشى أن يذكر أسماء الشخصيات التي كانت ممقوتة في عصره. فمثلاً يشير في خاتمة تعداده للجغرافيين إلى كتاب (النواحي والآفاق) لمؤلفه (إبن أبي عون الكاتب)، وهو أحد أتباع الزنديق المعروف (بالشلمغاني). ولعل هذه الظروف هي التي دفعت إبن النديم في الفهرست أن يصفه بأنه (ناقص العقل)[1].

نستنتج مما ذكره البعض عن سلبيات المسعودي أنه لم يكن يُعنى عناية فائقة بغربلة معلوماته، لذلك إشتملت مؤلفاته الكثير من تلك المعلومات ذات الطابع الأسطوري، وتضمن بعضها حشواً وحكايات ساذجة. لذلك إختلف الكتّاب في تقييمه، فمنهم مَنْ عدّه من أكثر الجغرافيين أصالةً في القرن العاشر الميلادي، بل ولقبه البعض بـ "هيرودوت العرب"[2]. ومنهم مَنْ عدّه، بمعلوماته وإسلوبه " قرابةً ورحمةً مع أسلوب الصحافة الحديثة، وفي شخصه إنموذج للمراسلين الصحفيين المعاصرين الذين يذرعون الأرض " على حد قول (مارت ورك)[3]. فهو شأن الغالبية العظمى من مؤلفي عصره يُعنى بالتسجيل أكثر مما يُعنى بتحقيق ما يسجل. لكن له دور (مع البتاني) في تنبيه بطليموس على أخطاء وقع فيها بجعله ساحل أفريقيا الشرقي ممتداً

---

[1] إبن النديم، الفهرست، مصدر سابق، ص١٤٧ (عن: كراتشكوفسكي،١/ ١٨٤).

[2] م. ف. مينورسكي، مصدر سابق، ص١٣-١٤.

[3] المصدر نفسه، ص١٣، كراتشكوفسكي، مصدر سابق،١/ ١٧٧.

نحو الشرق إلى ما يقابل ساحل الصين. بينما جعل المسعودي والبتاني الساحل المذكور محاطاً بالبحر من جميع الأطراف، كما جعل البحر الهندي بحراً مفتوحاً، كما هو عليه الحال[1].

ويرى كراتشكوفسكي أن المسعودي جمع النقيضين في شخصيته وعلمه، فهو من ناحية لم يكن عالماً بحّاثة على غرار البيروني، ولا متخصصاً في الجغرافيا أو التاريخ بل كان أديباً قبل كل شيء وناشراً للمعارف، ومع هذا نجده يقف على قمة معارف عصره. وكان دائماً يتطلع إلى الحصول على أحدث المعلومات عن البلاد التي يزورها. وقد تميز بموضوعية عالية في الحكم على الأمور التي تتعلق بالشعوب والأديان من دون أن تكون لعاطفته الدينية أو القومية ردود فعل متميزة[2].

الجغرافية الوصفية عند المسعودي:

إختلفت أنماط كتب الجغرافية الوصفية بتنوع إهتماماتها وتباينها. كذلك تعددت أهدافها، كما تمثَل في الموسوعات ذات المعلومات الجغرافية التاريخية المتنوعة مثل مروج الذهب وأخبار الزمان. وتضمنت كتب المسعودي أيضاً مواضيع تتعلق بالكوزموغرافيا التي تُعنى بغرائب الأرض وعجائبها حيث يختلط فيها العلم

---

[1] أحمد سوسة، الشريف الإدريسي مصدر سابق، ص: (لا).

[2] كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ١/ ١٨٣.

بالخرافة. وبطبيعة الحال فقد تنوعت أساليب تلك المؤلفات ومناهجها بحسب تنوع أغراضها. فكتب الموسوعات، وبضمنها كتب المسعودي، كانت تشتمل على معلومات جغرافية وصفية عامة لا يحكمها ضابط معين. فقد تغلب عليها المعلومات التاريخية أحياناً، وقد تغلب عليها الأقاصيص الأدبية والحكايات طوراً. كما أنها قد تسهب في الحديث عن بلد معين أو مدينة محددة، وتوجز في الحديث عن بلدٍ ومدينة أخرى إيجازاً شديداً. وقد تفصِّل في وصف بحرٍ أو نهرٍ، وتختصر في بحرٍ أو نهرٍ آخر. والطابع العام لها أنها عبارة عن معلومات ذات صبغة جغرافية عامة[1].

وتناولت الجغرافية الوصفية، فيما تناولته، الأقاليم السبعة مع تفصيل وتأكيد في وصف الإقليم الرابع الذي يقع فيه العراق، مولد المسعودي. ويرد القول عرضاً عن عجائب الإسكندرية التي شغلت الناس منذ العصور القديمة. وكذلك وصف البحار والأنهار، يصحبه وصف موجز للأقطار التي تجري فيها، مع إستطرادات شتى كالحديث عن موقع بحيرة أورمية وبراكين فارس. ويفرد المسعودي فصلاً خاصًّا عن البلاد الواقعة إلى الشمال والشمال الشرقي من بحر قزوين[2].

---

[1] شاكر خصباك، علي محمد المياح، الفكر الجغرافي، مصدر سابق، ص٨٣-٨٤.

[2] كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ١/ ١٨٢.

وفي سجستان يورد أول خبر عن طواحين الهواء كما يقول العالم "سارتون"، وربما كانت هذه الطواحين من مبتكرات الشعوب الإسلامية[1]. وانه لِما يدعو إلى الدهشة تمكنه من جمع وتحليل كل هذه المادة الضخمة.

ويرى المستشرق الروسي (ميكولسكي) أن سعة إطلاع المسعودي وغزارة معارفه كانت مذهلة حقاً. فقد زار ووصف قسماً كبيراً من الأمصار "... وترك توصيفاً للشعوب التي... عاش بين ظهرانيها. وجمع معلومات صحيحة عن البلدان التي تُتاح له زيارتها. وغدت أخباره عن العديد من الأمصار والشعوب القاطنة فيها مرجعاً هاماً للمؤرخين والجغرافيين والإثنوغرافيين"[2].

ومع ان المسعودي قد جمع ثقافة واسعة لكنه لم يؤلف كتاباً جغرافياً خالصاً، غير أنه ترك أثراً جغرافياً يشار إليه بالبنان، وهو ما سُمي "بالصورة المأمونية". وهي وإن لم تصلنا منها آثار مباشرة لكن المسعودي رآها في القرن العاشر الميلادي حينما قال: "

---

[1] وكيبيديا الموسوعة الحرة، المسعودي مؤرخ جغرافي، المعرفة، ٢٠١٠. أنظر الموقع على النت:

المسعودي https://ar.wikipediaorg/wiki/

[2] دمتري ف. ميكولسكي، مصدر سابق، العدد ١٣٧٤٤.

ورأيتُ الصورة المأمونية وهي أحسن مما تقدمها من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرهما "[1].

وقد تميز المسعودي عن العديد ممن عاصروه، أو ممن سبقوه بإنتهاجه نهجاً جديداً في تناوله للجغرافيا. فقد طعَّم الجغرافية البشرية بمعلومات تاريخية وإجتماعية وإقتصادية وسياسية. وفي كتابه "مروج الذهب" خصص الجانب الأكبر من القسم الاول من كتابه المذكور لوصف عادات الأمم ومعتقداتها وتاريخها ومصادر أرزاقها من صناعة وزراعة وتجارة. كما ذكر أثر المناخ في ألوان البشر ونشاطهم الجسماني وذكائهم، وأثر البيئة الطبيعية على أخلاقهم وأعمالهم[2].

وصف المسعودي للبحار:

ذكر المسعودي البحار وأعدادها وما قيل في أطوالها وعروضها ومصبات عظام الأنهار إليها وما يحيط بها من الممالك مثل البحر الحبشي وبحر الخزر وبحر بُنطس (الأسود) وبحر أوقيانس (الأطلسي)[3].

---

[1] المسعودي، التنبيه والإشراف، روائع التراث العربي، سلسلة ٤، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٣.

[2] مقالة عن الجغرافيا وعلمائها وخرائطها، المكتبة الجغرافية، شباط ٢٠١١. أنظر الموقع على النت: geography_library.blogspot.com/2011/02/blog_post…

[3] المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص٤٥، ٥٣-٥٩.

ومنهج المسعودي في وصفه للظواهر التي يشاهدها أثناء رحلاته هو **المشاهدة والمعاينة** كقوله في وصف البحار : إن بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة. مياهها غير منفصلة، إلّا أن هيجانها وركودها يختلف لإختلاف مهاب رياحها. ويستطرد في تعليل كل بحر وإرتجاجه. كما يتحدث عن الأمواج وظلمة البحر وصعوباته وخاصةً في عصره حيث كانت السفن محدودة الإمكانيات[1]. ويقول في ذلك: وقد " ركبتُ عدة من البحار كبحر الصين وبحر الروم وقلزم واليمن، وأصابني فيها من الأهوال ما لا أحصيه كثرةً، فلم أشاهد أهول من بحر الزنج (المحيط الهندي شرق أفريقيا) وفيه السمك... طول السمكة نحو ٤٠٠ ذراع "، وأغلب الأسماك هي بطول مئة ذراع[2].

وقد تضمنت الجغرافية العربية عند المسعودي غرائب وعجائب كثيرة. وإشتمل كتابه "أخبار الزمان" على حديث مفصل عن البحر المحيط (الأطلسي) ويتصل به البحر الأسود الزفتي (المحيط الهادي شرق الصين). ويعد بحر الصين الجنوبي جزءاً من المحيط المذكور. وذكر وجود ١٢٨٠٠ جزيرة في البحر المحيط منها ٣٠٠ جزيرة عامرة مسكونة. وفي البحر المذكور غرائب وعجائب كثيرة منها وجود

---

[1] عبد ألله حمد الحقيل، مع الرحالة الجغرافيين،مصدر سابق،

www.aljazirah.com/2011/02/8/cu.15.html/...

[2] نقولا زيادة، مصدر سابق، ص٤٧.

أسماك تطير (لعله يقصد تقفز) ليلاً. وهناك بحر آخر يقال له هركند (خليج البنغال) فيه حيّات تخرج إلى البر وتبتلع الفيلة. ومن الجزائر المشهورة في بحر هركند جزيرة سرنديب المشهورة بمغايص اللؤلؤ. أما بحر الصين فهو بارد، وزعموا أن عرض الصين نحو ١٥٠٠ فرسخ. ويقال أن في بحر الهند حيواناً يشبه السرطان[1]. ويتساءل المسعودي حول الغرائب المذكورة ويقول: هل يمكث وحيد القرن سبعة أعوام في بطن أمه؟[2].

يتضح من العرض السابق ومن خلال ما ذكره المسعودي وجود حقائق جغرافية عديدة ومعلومات كوزموغرافية مختلطة ببعض الأساطير والحكايات غير الواقعية وكثيراً ما يشك المسعودي في حدوثها.

الجغرافية الطبيعية وما يرتبط بها من علوم عند المسعودي:

تتضمن الجغرافية الطبيعية حقولاً متعددة من بينها الجيمورفولوجيا التي تنوعت معلوماتها في الكتابات الجغرافية العربية وشملت السهول والجبال والبحيرات

---

[1] المسعودي، أخبار الزمان، ط٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٦، ص٤١-٤٨ (عن: شاكر خصباك، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٩، ص٤٩-٥٥).

[2] المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٩٦، مصدر سابق، ص٣٣.

والبحار. وقد تناثرت في تضاعيف الكتابات الجغرافية ولم تصنف تحت باب معين. وقد تناولت بالبحث أثر عوامل التعرية والنحت في التضاريس الأرضية، وأوضحت عملية نشوء السهول الرسوبية البحرية، وتحدثت عن تكوّن الجبال الإلتوائية.

وقد إهتم المسعودي بحقلي الجيمورفولوجيا والجيولوجيا وكان يُعد من أساطين مرحلة الرواد الموسوعيين مع نهاية القرن الثالث الهجري. وتظهر في كتابيه "مروج الذهب" و" التنبيه والإشراف" ريادته في الحقلين المذكورين. وتظهر تلك الريادة في وصفه لهيئة الأرض وغلافها المائي وغلافها الهوائي، وظاهرة المد والجزر وأسبابها وعلاقة القمر بها وتأثيرها على البر. كما ناقش دورة الماء في الطبيعة، وطبيعة الماء العذب والمالح وإختلاف كثافتهما، وأوصاف الأنهار وأخبارها وأسباب ملوحة ماء البحر ، وتغير مواضع البر والبحر وعلامات وجود الماء في باطن الأرض. كما وصف بعض البراكين التي شاهدها في رحلاته في بلاد الري وجزيرة صقلية ووصف ما تقذفه من أبخرة ودخان وصخور[1].

ولقد أظهر المسعودي بأن المياه الجارية والباطنة هي أصلاً من البحر ومآلها إليه، وأنها تحمل معها من أملاح البر ما يزيد من ملوحة ماء البحر. كما أوضح فعل حرارة الشمس في تبخير ماء البحر دون ما به من ملح ليعود سيولاً تسقط على الأرض، ويسرب منها ما يتسرب إلى باطنها ويجري على سطحها ما يجري، ثم يرجع كله مرة

---

[1] عدنان النقاش، مصدر سابق، ص٣٤-٣٥.

ثانية إلى الإهدار. وأوضح أن هذه العمليات تؤلف دورة كاملة لا يضيع أثناءها من ذلك الماء شيء[1].

وكان المسعودي أكثر إسهاباً وتوضيحاً من غيره في ذكر طغيان البحار وتراجعها وذكر الحركات البانية للجبال. ويعد أول من أشار إلى نشوء الأنهار ونشورها.

ويرى المسعودي، كما يرى بقية الجغرافيين في عصره عدم ثبات البحر أو البر في مكانه وشكله أو تأثيره، فهو دائم التغير. وفي ذلك يقول في مروج الذهب: " فليس موضع البر أبداً براً، وليس موضع البحر أبداً بحراً. ويكون بحراً حيث كان مرةً براً، ويعود براً حيث كان مرة بحراً "[2].

واهتم المسعودي بجيمورفولوجية الأنهار من خلال تأكيده على (دورة التعرية النهرية) حينما ذكر أن للأنهار شباباً وهرماً وحياةً وموتاً ونشوراً، كما يكون ذلك في الحيوان والنبات[3]. وأشار إلى إنتقال مجرى نهر دجلة نحو الشرق من بغداد، وقدّر حركته خلال مائتي عام بنحو (١/ ٩٧، ١٠٣، ١٠٤). وأشار أيضاً إلى تراجع

---

[1] المصدر نفسه، ص٣٦.

[2] المسعودي، مروج الذهب، ج١، منشورات المكتبة العصرية لصاحبها محمود حلمي، بغداد، ١٩٢٨، ص٨٠.

[3] المصدر نفسه، ج١، ص٨٠.

الساحل الشمالي للخليج العربي بإتجاه الجنوب[1]، وهو ما تضمنته النظرية الألمانية الحديثة وملاحظاتها على نظرية (ليس وفالكون).

محيط الأرض وقطرها وكرويتها:

ذكر المسعودي أن تدوير الأرض وشكلها هو (٢٤٠٠٠ ميل مربع)[2]، مع المياه والبحار وهي تأخذ شكل إستدارة الأرض. في حين قدر بطليموس التدوير بنحو (١٨٠٠٠ ميل). أما قطرها فهو ٧٦٦٧ ميلاً، والميل يساوي (٤٠٠٠ ذراع بالسوداء)، وهو الذراع الذي وضعه المأمون. والفرسخ يساوي ثلاثة اميال عربي، أي ٥٩١٩ متراً (حوالي ٦ كم)[3].

---

[1] النظريات والأفكار التي قدمتها مجموعة من العلماء العرب في مجال الجيلوجيا، التقدم العلمي: الموسوعة الجيولوجية، ج٤، ١٢/ ١٠/ ٢٠١٨. أنظر الموقع على النت:
النظريات– والأفكار www.aspdkw.com/

[2] المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص٢٤.

[3] شاكر خصباك، في الجغرافية العربية،مصدر سابق، ص٣٢٩.

كما برهن المسعودي في كتابه "مروج الذهب" على كروية الأرض بدليل وبرهان عقلي، فقد قال إن الشمس إذا غابت في جزائر الأوقيانوس كان طلوعها في أقصى الصين، وذلك نصف دائرة الأرض[1].

وحول تحديد خط طول (صفر) إختار المسعودي رأي (سترابون) فجعل هذا الخط يمر من جزيرة زنجبار الواقعة على ساحل أفريقيا الشرقي وأطلق عليها إسم (جزيرة الأرين) أو (قبة الأرض)[2].

وصف المسعودي لبعض الظواهر الطبيعية:

كان المسعودي صادقاً، إلى حدٍّ كبير، في تصوره لتوزيع الماء واليابس، فقد قال بإمتداد أفريقيا مسافة طويلة إلى الجنوب من خط الإستواء، وأنه يفصلها عن مدغشقر خليج. كما رجح وجود أرض مجهولة إلى الجنوب من تلك القارة، ولعله يقصد بها القارة القطبية الجنوبية أو أُستراليا[3].

---

[1] عباس العقاد، أثر العرب في حضارة أوربا، ص٤٩ (عن: صبري محمد حسن، مصدر سابق، ج١،ص١١٥).

[2] المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١١٧-١١٨، محمد عبد الفتاح وهيبة، مصدر سابق، ص٦٥.

[3] المصدر نفسه (وهيبة)، ص٦٨-٦٩.

وعن الزلازل ذكر المسعودي إنهيار منارة فاروس Pharos المشهورة في الإسكندرية في زلزال عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م[1] الذي حدث يوم السبت في ثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من تلك السنة والمصادف اليوم الخامس من كانون الآخر من شهور السريانيين، وقد أدّى الزلزال إلى تهدم نحوٍ من ٣٠ ذراعاً من أعالي بلاد مصر وكثير من بلاد الشام والمغرب، وقد حدثت في وقتٍ واحد وكان المسعودي حينذاك موجوداً بفسطاط مصر واصفاً إياها بقوله: " وكانت عظيمة جداً، مهولة فظيعة. أقامت- أي إستغرقت- نحو نصف ساعة زمانية ...". ودخل المسعودي بلاد سيراف من ساحل فارس، وهي أكثر المواضع المشهورة بكثرة الزلازل وأعظمها[2]. وأشار أيضاً إلى وجود البراكين في بلاد فارس.

ومن مواضيع الجغرافية الطبيعية الأخرى التي تطرق إليها المسعودي وصفه للبحر الميت، وحديثه عن إقتران البحر الأسود ببحر قزوين نافياً مزاعم البعض الذي يقول أن بحر الخزر متصل ببحر مايطس وخليج القسطنطينية ولو "كان لهذا البحر إتصال بخليج القسطنطينية من جهة بحر مايطس أو نيطس لكانت الروس قد

---

[1] كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ١/ ١٨٣.

[2] المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص٤٣-٤٤.

خرجت فيه"[1]. كما أشار إلى وجود صلة بين البحر الأسود والمحيط الشمالي، وحلقة الوصل هي نهر (تانيس)[2].

العوامل البيئية وتأثيرها:

إن محصلة الـتأثير المباشر للعوامل البيئية (الماء، الهواء، التربة) هو الذي يحدد صلاحية بلد معين للسكن أو التكسب أو الزراعة أو غيرها. " فكل بلد إعتدل هواؤه وخفَّ ماؤه، ولطف غذاؤه كانت صور أهله وخلائقهم تناسب البلد وتحاذيه".

ولكون العراق يتصف بالإعتدال في صفاء جوه، وطيب نسيمه، وإعتدال تربته، ووفرة مياهه، ورفاهية عيشه فإن أهله وأخلاقهم هي الأخرى معتدلة، وفي هذا يقول المسعودي: "إعتدلت ألوان أهله وإقتدرت أجسامهم، فسلموا من شقرة الروم والصقالبة، وسواد الحبشة، وغلظ البربر، ومن جفاء الأمم وإجتمعت فيهم محاسن جميع الأقطار ... لطفوا في الفطنة، والتمسك بمحاسن الأمور، إذن هذا بلد مسكن ومكسب في آن واحد... "[3].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١/ ١٤٢.

[2] عبد الفتاح محمد وهيبة، مصدر سابق، ص٦٨، خارطة المسعودي، الشكل ٢، ص٦٩، الخريطة ١٤.

[3] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، ج٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٣، ص٣٩.

وبما أن العراق هو مفتاح الشرق، فلا عجب أن تكون أطماع الفرس فيه قديمة ومتجددة كلما سنحت لهم الفرصة، لأنه بالنسبة لهم مفتاح الغرب أيضاً، لذلك حزم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الأمر على تحريره من أيدي الفرس وبعدها إنطلقت الجيوش تحرر أقطار المشرق من المجوسية وعبادة النار وتنشر النور والإيمان[1].

وبهذا الخصوص يروي المسعودي بيتاً شعرياً لأحد شعراء قبيلة أياد في إنتصارها على الفرس وملكهم سابور في موقعة دير الجماجم. فيقول شاعر أياد[2]:

على رغم سابور أصبحت   قباب أياد حولها الخيلُ والنِعَمُ

وحول تأثير العوامل البيئية على السكان كتب حكيم من حكماء عصر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى الخليفة يصف له المدن وأهويتها ومساكنها وتأثير الترب والأهوية في سكانها فأخبره أن غالبية أقسام الأرض غير صالح لإستيطان الإنسان وعيش الحيوان قائلاً:

---

[1] محمد عمار الراوي، دراسة في فكر العرب البيئي، بحوث الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد: ١٣-١٥ شباط ١٩٨٩، ج١، مطبعة الرشاد، بغداد، ص١٧٤.

[2] المسعودي، التنبيه والإشراف، إشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة دار الهلال، بيروت، ١٩٨١، ص١٩١. راجع أيضاً: علي محمد المياح، جغرافية العراق في معجم البكري، مصدر سابق ص٣١.

" إعلم يا أمير المؤمنين أن ألله تعالى قد قسّم الأرض أقساماً ... صار المسكون من الأرض جزءاً يسيراً: ناسب الإعتدال، وأخذ بحظه من حسن القسمة "[1].

المناخ وتأثيره على البشر:

ناقش الجغرافيون العرب العوامل المؤثرة في مناخ الإقليم وثبّتوا مفاهيم مقاربة للمفاهيم الحالية. وبهذا الخصوص قال المسعودي: " وقد تختلف قوى الأرضين وفعلها في الأبدان لثلاثة أسباب : كمية الهواء التي فيها، وكمية الأشجار، وكذلك مقدار إرتفاعها وإنخفاضها. فالأرض التي فيها مياه كثيرة ترطب الأبدان. والأرض العادمة للمياه تجففها. وأما إختلاف كونها من قبل الأشجار، فإن الأرض الكثيرة الأشجار تقوم الأشجار فيها مقام السترة (الظل). والأرض المكشوفة من الأشجار... حالها عكس حال الأرض كثيرة الأشجار. وأما إختلاف قواها من قبل مقدار علوها وإنخفاضها فلأن الأرض العالية المشرفة فسيحة، والأرض الفسيحة المنخفضة العميقة حارة ومدّة "[2].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ج٢، المطبعة البهية المصرية، القاهرة، ١٩٤٦، ص٣٤.

[2] المسعودي، التنبيه والإشراف، منشورات مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٥، ص٢٦. راجع أيضاً: شاكر خصباك، علي محمد المياح، مصدر سابق، ص١١٣.

ومنهم مَنْ رأى " أن أصناف إختلاف البلدان أربعة: أولها النواحي، والثاني الإرتفاع والإنخفاض، والثالث مجاورة الجبال والبحار لها، والرابع طبيعة الأرض. وذلك أن إرتفاعها يجعلها أبرد، وانخفاضها يجعلها أسخن على ما قدمنا. وأما إختلافها من جهة مجاورة الجبال فمتى كان الجبل من البلد من ناحية الجنوب جعله أبرد لأنه يكون سبب إمتناع الريح الجنوبية وإنما تهب الشمالية فقط. وأما إختلافها لمجاورة البحر لها، فمتى كان البحر من البلد في ناحية الجنوب كان ذلك البلد أسخن وأرطب، وإن كان البلد في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد وأيبس. وأما إختلافها بحسب طبيعة تربتها، فمتى كانت تربة الأرض صخرية جعلت ذلك البلد أبرد وأجف، وإن كانت تربة البلد جصية جعلته أسخن وأجف، وإن كانت طينية جعلته أبرد وأرطب[1].

وفيما يأتي نظرية خاصة بالرياح يعرضها المسعودي في كتابه "التنبيه والإشراف" بقوله: "إن الشمس إذا كان سيرها في الميل الشمالي عن معدل النهار حمى الهواء في ناحية الشمال وبرد الهواء الجنوبي فيجب من ذلك أن ينقبض الهواء الجنوبي ويحتاج إلى موضع أصغر ويتسع الهواء الشمالي ويحتاج إلى موضع أوسع إذ لا فراغ في العالم، فبالواجب أن يكون أكثر من رياح الصيف عند من هو في ناحية الشمال شمالية لأن الهواء من عندهم يتحرك إلى ناحية الجنوب، إذ ليست الريح شيئاً غير حركة الهواء

---

[1] المصدر نفسه، ص١١٣.

وتموجه، وكذلك يجب أن تكون أكثر رياح الشتاء جنوبية لتحرك الهواء إلى ناحية الشمال لمسير الشمس في الشتاء في الميل الجنوبي"[1].

وبخصوص تأثير المناخ على صفات البشر وألوانهم وطباعهم يقول المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف : "وأما أهل الربع الشمالي وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم من الواغلين في الشمال كالصقالبة والإفرنجة ومن جاورهم من الأمم فإن سلطان الشمس ضعف عندهم لبعدهم عنها فغلب على نواحيهم البرد وتبلدت أفهامهم وثقلت ألسنتهم وإبيضت ألوانهم حتى أفرطت فخرجت من البياض إلى الزرقة، ورقّت جلودهم، وغلظت لحومهم وآزرقّت أعينهم أيضاً فلم تخرج من طبع ألوانهم وسبط شعورهم، وصارت مهباً لغلبة البخار الرطب ولم تكن في مذاهبهم متانة وذلك لطباع البرد وعدم الحرارة ومن كان منهم أوغل في الشمال، فالغالب عليه الغباوة والجفاء والبهائمية وتزايد ذلك فيهم في الأبعد فالأبعد إلى الشمال"[2].

خارطة المسعودي:

ذكر المسعودي في كتابه "مروج الذهب" أنه رسم خرائط لبعض أقاليم الأرض، ولكنها فُقدت كما فُقد الكثير من كتبه. ويمكن عدّه من أعلام مدرسة

---

[1] المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص١٠-١١.

[2] المصدر نفسه، ص٢٢.

المسالكيين الخرائطيين المسلمين. وتعد خارطة العالم المنسوبة إليه من بين أدق الخرائط العربية. وقد نشرها (ميللر) في كتابه "الخرائط العربية"، وعدّه بعض الباحثين من أعظم الخرائطيين العرب وأحسنهم رسماً لصورة الأرض[١].

وقد تضمنت خرائط المسعودي والإدريسي أموراً كثيرة، كانت أدق من خرائط بطليموس حول صحة مواقع كثير من البلدان بالنسبة لخطوط الطول، وكذلك مواقع البحار الداخلية في آسيا كبحر قزوين وآرال وتقدمت على خارطة العالم لبطليموس في جعل المحيط الهندي مفتوحاً من جهة الشرق وفي إظهار بعض الدقة في رسم سواحل البحر المتوسط والبحر الأحمر[٢].

وكانت خارطة المسعودي أكثر دقةً من خارطة الإدريسي، وأكبر خطأ وقع فيه الإدريسي هو مدّ ساحل أفريقيا عند إبتداء خليج عدن من جهة الشرق بحيث يكاد المحيط الهندي يصبح بحيرة مقفلة تنتشر فيها الجزر الكبيرة والصغيرة، وتنصبّ فيها من جهة الجنوب مياه الأنهار الأفريقية التي تنحدر من أرض بربرة والزنج وسفالة وبلاد الواق واق، وتأتي إليها من جهة الشمال مياه أنهار الهند والصين. ليس هذا فحسب، بل أن الشكل المثلث لشبه جزيرة الهند وإمتداد شبه جزيرة الملايو عند

---

[١] محمد سالم، الرحلة والرحالة الجغرافيون المسلمون، منتدى العرب المسافرين الحقيقي. أنظر الموقع على النت : https://arabs.travel/printthread196844.html

[٢] عبد الفتاح محمد وهيبة، مصدر سابق، ص٧٢.

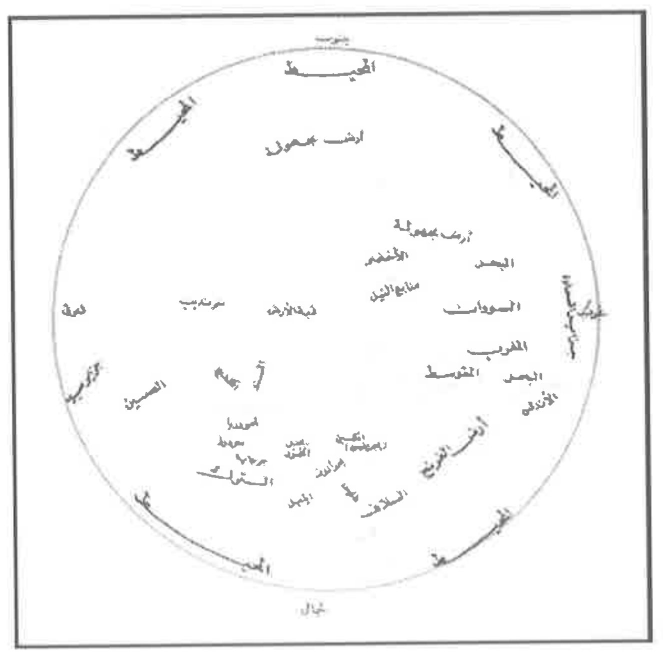
الإدريسي غير واضح. على خلاف ما نجده في خارطة المسعودي. وقد أخطأ الإدريسي في جعل جزيرة سرنديب أكبر من شبه جزيرة الهند، وحين صوّر بحر الخزر (قزوين) أكبر بكثير من بحر نيطش (الأسود). وعلى الرغم من هذه المثالب والأخطاء فإن خارطة الإدريسي تُعد وثيقة مهمة تكشف مدى معرفة الشرق والغرب وبقية جغرافية العالم[1].

---

[1] المصدر نفسه، ص٧٥.

الشكل (١٤)

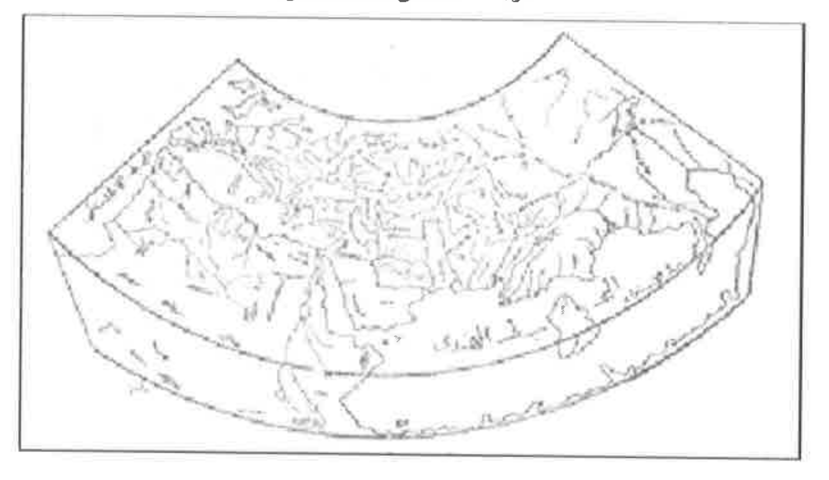
خريطة الأرض للمسعودي



المصدر: عبد الفتاح وهيبة، جغرافية العرب في العصور الوسطى، الجمعية الجغرافية المصرية، المحاضرات العامة، الموسم الثقافي لسنة ١٩٦٠، ص٦٩.

الشكل (١٥)

خريطة الأرض لبطليموس



المصدر: عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافية العرب في العصور الوسطى، الجمعية الجغرافية المصرية، الموسم الثقافي لسنة ١٩٦٠، ص٧٣.

الجغرافية الإقتصادية:

تتضمن الجغرافية الإقتصادية حقولاً متعددة مثل الزراعة والري وما يرتبط بهما من علوم، وكذلك الصناعة والنشاط التجاري والنقل وغيرها. فمن يريد زرع الأرض، بنظر المسعودي، عليه أن يفتش عن الماء من خلال العلامات التي تدل على وجوده مثل وجود منابت القصب والحلفاء واللّيّن من الحشيش في المواضع التي يوجد فيها الماء، وذلك دلالة على قرب الماء لمن أراد الحفر، وإن ما عدا ذلك فعلى البعد[1].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين ، ج١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢، ص١٢٩.

الشكل (١٦)

خريطة الأرض للإدريسي



المصدر: أحمد سوسة، العراق في الخوارط القديمة، منشورات المجمع، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩، ص٢٩

من بين إهتمامات المسعودي أثناء رحلاته وتجواله وصفه لمشاريع الري والزراعة، ومن بينها ذكر وجود مقياسٍ للماء في شبه جزيرة سيناء بناه عبد العزيز بن مروان الذي شيد أيضاً قنطرة في الفسطاط سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨ م كتب إسمه عليها[1].

وأشار المسعودي في سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٤م وجود "... شجر النارنج والأترج المدور، جُلب من أرض الهند... فزرع بعمان ثم نُقل إلى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغر الشامي وإنطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر"[2].

وتنسب إلى المسعودي نظرية الإنحراف الوراثي[3]، فقد ناقشها في كتابه "التنبيه والإشراف". وعدّ العالم "كرامرز" ما كتبه المسعودي في كتابه مروج الذهب عن الكائنات الحية أصلاً لنظرية التطور. وأشار في هذا الكتاب إلى (الإنحراف الوراثي)

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ج١، القاهرة، ١٣٤٦ه/ ١٩٢٧م، ص٢١٣. راجع أيضاً: عواد عبد المجيد الأعظمي. "مشاريع الري والزراعة في صدر الإسلام"، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، العدد الثاني، السنة الأولى، ١٩٧٨، ص١٢١-١٢٢.

[2] المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٢، مصدر سابق، ٢/ ٤٣٨-٤٣٩.

[3] نادية راضي، أفضل علماء الجغرافيا في التاريخ الإسلامي، المرسال، ١٨/ ٧/ ٢٠١٤. أنظر الموقع على النت: www.almarsal.com/post/142823

في الحمضيات اثناء عملية نقلها من السند إلى مصر وسجل هذا الإنحراف على اصناف من الليمون[1].

ومن حقول الجغرافية الإقتصادية الأخرى التي اهتم بها المسعودي هي التجارة التي تعاظمت بعد ظهور الإسلام والتي شجعت على الرحلة والتطواف التي قام بها المسعودي وأتحفنا بمشاهداته عن بدائع الأمم وخواص الأقاليم وتفسير بعض ظاهرات الجغرافية الطبيعية مثل حركة الرياح الموسمية والمواقيت الصالحة[2].

إن معرفة العرب لنظام هذه الرياح والمواسم الملائمة للسفر ساعدهم كثيراً على تسيير أمور حياتهم وتجارتهم وتحقيق أهدافها وهيمنة سفنهم على مياه المحيط الهندي لمدة طويلة منذ عهود سحيقة في القدم وحتى وصول البرتغاليين للمنطقة[3].

وقد أشار المسعودي إلى إنتعاش التجارة في موانئ شرق الجزيرة العربية حيث قامت تجارة منظمة بين عُمان وشرق أفريقيا في القرن العاشر. كما وصف نشاط التجارة

---

[1] وكيبيديا الموسوعة الحرة، المعرفة، مصدر سابق، ٢٠١٠.

[2] المسعودي، مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، المكتبة الإسلامية، بيروت، ١٩٤٨، ص ٨٦-١١٣.

[3] عباس فاضل السعدي، دراسات في تراث العرب الفكري، مصدر سابق، ص٦٩.

في بعض المناطق وذكر عاداتها وصناعاتها مثل مالندة وممبسة في القرن الثاني عشر الميلادي[1].

جغرافية العمران:

إهتم المسعودي بالعمران بإعتباره مأوى الإنسان وفيه إستقرار حياته. ويعتمد العمران على ثلاثة عناصر مهمة هي طيب الأرض والهواء والماء. وتُعد دليلاً يُعتمد في تخطيط وبناء المدن الجديدة في فضاء غير معمور. وعلى هذا الأساس تم تخطيط مدينة سامراء التي إختارها المعتصم بعد تركه لمدينة السلام حيث يتوفر فيها الفضاء الواسع، والهواء الطيب، والأرض المناسبة فبناها وأقام بها كما يذكر المسعودي[2].

واهتم المسعودي على وصف طراز البناء الحيري الذي شاع في تخطيط المدن وبنائها وخاصةً في سامراء. فقد أشار إلى إعجاب الخليفة المتوكل بهذا الطراز فنفذه في الأبنية التي أنشأها، وكان شائعاً في الحيرة. وبهذا الصدد يقول المسعودي: " إن الخليفة

---

[1] عبد الرحمن زكي، بعض المدن العربية على ساحل أفريقيا الشرقي في العصور الوسطى، المحاضرات العامة، الجمعية الجغرافية المصرية: الموسم الثقافي لسنة ١٩٦٤، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ص٧٧.

[2] المسعودي، مروج، ط٢، ج٣، ١٩٧٣، مصدر سابق، ص٤٦٦-٤٦٧.

المتوكل أحدث في أيامه بناءً لم يكن الناس يعرفونه، وهو المعروف بالحيري والكمين والأروقة ... فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنةً وميسرةً..."[1].

وبموجب الطراز المذكور يتوسط القصر فناء مكشوف يطل عليه عدد من الوحدات البنائية من الجهتين الشرقية والغربية، يتوسطهما إيوان يتصلان به بمدخل جانبي في الجناح الغربي[2]. وإتخذ العباسيون (الحيري) طرازاً رسمياً منذ زمن الخليفة المتوكل على الله ونفذوه في الأبنية التي شيدوها وخاصةً في سامراء، وهذا هو سبب ذيوعه في زمانهم[3].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ج٧، باريس، ١٨٧٤، ص١٩٢-١٩٣.

[2] 92. D.T.Rice, The Oxford Excavation at Hira, Antiquity, 1932, Vol. V1 ,p. 248.

[3] محمد غازي رجب، العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، بغداد، ١٩٨٩، ص١٩٧.

الفصل التاسع

الإثنوغرافيا عند المسعودي وأبرز مؤلفاته ودوره في الجغرافيا العربية

السكان وعلم الإثنوغرافيا:

تناول المسعودي مجاميع سكانية عديدة ووضّح بعض صفاتهم وخصائصهم الإثنوغرافية، وفصّل القول في الشعوب الجزرية (السامية) وشعوب أخرى غيرهم. وأورد في كتبه الثلاثة (أخبار الزمان ومروج الذهب والتنبيه والإشراف) معلومات دقيقة عن الأمم السامية وعلاقاتها فيما بينها ومع الشعوب الأخرى. وبدأ بذكر سام بن نوح الذي قيل أنه أول مَنْ تكلّم باللغة العربية، وكانت لغاتهم هي السريانية، ومنهم النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام) الذي خرج بعمر ٣٧ عاماً من قريته (أور) في إقليم بابل وصار إلى حرّان من أرض الجزيرة. وأمر بالمسير فعبر الفرات فيمن معه وسار إلى الشام ومصر. وله ولَد هو سيدنا إسماعيل (عليه السلام) الذي قطن الحرم المكي وأرسله إلى العماليق وجُرهم وقبائل اليمن وأوصى إلى إبنه عدنان بأمر البيت، ومنه أبناء النبي محمد (صلّى ألله عليه وسلّم) وجميع العرب العاربة من ولدِه. أما أبناء إسماعيل فيسمون بالعرب المستعربة لأنهم تعلّموا منهم وتكلّموا بلغتهم[1].

---

[1] ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي، أخبار الزمان، ج١، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦، ص١٠٢-١٠٤، المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص٦٩.

وحدد المسعودي إمتداد مساكن (سام بن نوح) من بلاد الحرم إلى حضرموت وعُمان وإلى عالج، ومن ولِد سام (إرمَ)، ومن ولِد إرمَ عاد، وينزلون الأحقاف فأرسل إليهم هوداً. ومن ولِد سام أيضاً (ثمود) وينزلون بين الشام والحجاز فأرسل إليهم (صالحاً)[1]. وإستمر وجود الثموديين في بلاد الشام منذ القرن السابع قبل الميلاد لغاية القرن الثالث بعد الميلاد، وهم عند الإخباريين من العرب البائدة. وذكر المسعودي أن مُلك ثمود كان يمتد من مناطقهم المذكورة إلى البحر الحبشي[2]. وتدل نقوشهم على أن ديارهم كانت تمتد من دومة الجندل إلى تبوك والصفا بحوران، وإلى الشمال الغربي من تدمر[3]. ومن القبائل العربية الأخرى التي دخلت الشام في القرن الثالث الميلادي قبيلة (غسان) وإستمر مُلك الشام بأيديهم حتى الفتح الإسلامي. وكانت ديارهم باليرموك والجولان وغيرهما من غوطة دمشق وأعمالها، ومنهم مَنْ نزل الأردن من أرض الشام[4]. ومن منازلهم مرج الصُفرّة[5].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١/ ٣٣.

[2] المسعودي، مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج٢، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨، ص٤٢.

[3] جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق، ص٣٢٤-٣٣٠.

[4] المسعودي، مروج الذهب، ١٩٥٨، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٧، ١٠٩، ١٩٠.

[5] المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص٢٢٧، حسين عطوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧، ص٨١.

وعموماً فإن بلاد الكلدانيين الساميين، وبحسب المسعودي، تشمل العراق، ديار ربيعة، ديار مضر، الشام، بلاد العرب، برّها ومدرها، اليمن وتهامة والحجاز واليمامة والعروض والبحرين والشِحِر وحضرموت وعمان وبرها الذي يلي العراق، وبرها الذي يلي الشام. وتلك هي جزيرة العرب، كانت كلها مملكة واحدة ولسانها واحد سرياني وهو اللسان الأول: لسان آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء فيما ذكر أهل الكتب (يقصد أنهم الساميون الأوائل وهم العرب القدامى). وتُعد العربية أقرب اللغات إلى السريانية والتفاوت فيما بينهما قليل[1].

ويؤكد (صاعد الأندلسي) قول المسعودي أن الكلدانيين هم السريانيون والبابليون والآشوريون وغيرهم، وتحديد منطقتهم يشبه، إلى حدٍّ ما، تحديد المسعودي. فهم أهل الموصل والنبط والعراق والجزيرة والمناطق الأخرى التي ذكرها المسعودي، حيث كان لسان هذه البلاد واحداً (اللسان السرياني)، وهو اللسان القديم، ومن السريانية تفرعت العربية والعبرية (ويقصد بها العبرية القديمة).[2].

وهذه المعلومات تشير إلى وجود تصور واضح عند القدماء، وفي مقدمتهم المسعودي، عن الأصل الواحد للشعوب الجزرية (السامية)، وإن معرفة الكلدانيين

---

[1] المصدر نفسه، التنبيه، ١٩٣٨، ص٦٩.

[2] صاعد الاندلسي، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، الموسوعة الصغيرة، تسلسل ١٩، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨، ص٢٩-٣٠.

بأنهم السريانيون تؤكدها الدراسات الحديثة[1]. وينبغي الإنتباه إلى الخلط، عند البعض، بين الآراميين والسريان، فالأخيرة هي تسمية مسيحية للآراميين.

وما تقدم يشير إلى أن المسعودي كانت لديه فكرة عن وحدة الشعوب الجزرية (السامية) قبل عهد طويل من ظهورها كنظرية علمية في أوربا[2].

وعن الأمم السامية القديمة يتحدث المسعودي أيضاً عن الآشوريين في فصل عنوانه (ذكر ملوك الموصل ونينوى وهم الأثوريون). وفي مكان آخر من كتابه "مروج الذهب" يذكر ملوك السريانيين، ملوك الموصل ونينوى وهم الصوريون، ملوك بابل من النبط وغيرهم، وهم الكلدانيون[3].

ويرى المسعودي في كتابه "التنبيه والإشراف" أن الكلدانيين هم السريانيون، وفي ذلك يقول: " الكلدانيون وهم السريانيون وذُكروا في التوراة، وكانت دار مملكتهم العظمى مدينة كَلْواذى- وهي الكرادة الشرقية في جنوب بغداد- من أرض العراق وإليها أُضيفوا، وكانوا شعوباً وقبائل، أشهرهم نبط العراق وأهل السواد،

---

[1] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط ٢، ج١، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٦، ص٥٤٦.

[2] كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ١/ ١٨٣، أحمد سوسة، الشريف الإدريسي،مصدر سابق، ص: (لا).

[3] المسعودي، مروج الذهب، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١/ ١٧.

وقيل إنما سُمّوا نبطاً لأنهم من ولِد نبيط بن باسور بن سام بن نوح. وقيل إنما سمّوا بذلك لإستنباطهم الأرضين والمياه"[1]. وقيل أيضاً : "... بأن النبط عنهم بأحرفٍ يسيرة في لغتهم، والمقالة واحدة"[2]. وهذا الكلام إن لم يكن كله صواباً فإن جلّه صواب[3].

وقال المسعودي حول النبط والسريان: " فمن الناس مَنْ رأى أن السريانيين هم النبط، ومنهم مَنْ رأى أنهم أخوة لود ماش بن نبيط، ومنهم من رأى غير ذلك"[4].

إن اعتبار النبطية من اللغات السامية صحيح في أساسه، وإن لم ينتبه كثير من اللغويين العرب إلى كونها لهجة عامية، أو لغة سامية لم يُعترف بها في الكتابة. أنهم عرفوا السريانية بإسمها وذكروا النبطية وأرادوا بها السريانية[5].

---

[1] المسعودي، التنبيه، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص٦٧.

[2] المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١/ ١٦٣.

[3] هاشم الطعان، مساهمة العربفي دراسة اللغات السامية، الموسوعة الصغيرة(١٩)، بغداد، ١٩٧٨، ص٢٨.

[4] المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١/ ١٥٨.

[5] هاشم الطعان، مصدر سابق، ص٣٢.

ولليهود في العراق لغة سريانية تُعرف بـ(الترجوم) يفسرون بها التوراة من العبرانية الأولى (أي العبرية الأصلية) لوضوحها عندهم ولفصاحة العبرانية وتعذر فهمها على كثير منهم[1].

ولقد بيّنَ اليهود وغيرهم أن إبراهيم الخليل كان سرياني اللسان وأنه إبراهيم بن تارخ ... بن سام بن نوح... وأكثر نسابة اليمن ... يذهبون إلى أن أول من تكلّم بالعربية هو يعرب بن قحطان وكان على اللسان الأول (لسان سام بن نوح) وقد نطق (بالعربية). وإن إسماعيل بن إبراهيم إنما تكلّم بالعربية حين نشأ في العماليق، ولِد عملاق بن لاود إبن إرمَ بن سام بن نوح ... إن هوداً وصالحاً كانا عربيين أُرسلا إلى عاد وثمود وأنهما قبل إبراهيم الخليل وإن لم تذكرهم التوراة... إن المُلك أفضى- بعد عاد- إلى يقطن وهو قحطان بن عابر وإستشهدوا بقول علقمة ذي جدن[2]:

ومُلك قحطان مُلك عاد   وسوف تفنيهم الخطوب

---

[1] المسعودي، التنبيه، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص٦٩.

[2] المصدر نفسه، ص٧٠.

ومنهم مَنْ رأى أن حميَر بن سبأ بن يشجن بن يعرب بن قحطان أقدم من عاد[1].

ويرى المسعودي أن أنساب العبريين (الأوائل) والعرب الشماليين والقحطانيين تعود إلى سام بن نوح[2]. وقد تنبّه كراتشكوفسكي إلى أهمية هذا القول.

وأورد المسعودي تصوراً للتقسيم اللغوي، يشبه إلى حدٍّ بعيد، التقسيم الحديث الذي يقوم على أساس التشابه بين اللغات فيجعل من ولِد سام ١٩ لساناً، وفي ولِد حام ١٧ لساناً، وفي ولِد يافث ٣٦ لساناً منذ بدء تبلبل الألسن، وتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرعت الألسن[3].

وذكر المسعودي أسماء الشهور عند السريانيين وتظهر أنها تشبه أسماء شهور العرب جميعها بإستثناء شهري آب وأيلول[4].

المسعودي وأصل الأكراد:

إختلف الرأي بين الباحثين حول أصل الأكراد، ففريق منهم يُرجعهم إلى أصل عربي ومنهم أبو اليقظان في كتاب النسب الكبير في القرن الثامن الميلادي، وإبن منظور

---

[1] المصدر نفسه، ص٧١.

[2] المصدر نفسه، ص٦٩-٧٠.

[3] هاشم الطعان، مصدر سابق، ص٤٠-٤١.

[4] المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١/ ١٩-٢٠.

في لسان العرب. أما المسعودي فالأشهر عنده والأصح أنهم من أبناء ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، إنعزلوا في الجبال والأودية طلباً للمياه والمراعي فمالوا عن العربية لمجاورتهم الأمم من الأعاجم والفرس وصارت لغتهم أعجمية[1]. قال الشاعر[2]:

لعمرك ما الأكراد أبناء فارس ولكنهم أبناء كرد بن عامر

ويلاحظ المتتبع أن رأي المسعودي لم يأتِ إعتباطاً، إذ أن فريقاً من الأكراد هم من أصول عربية، فقد سكن العديد من العباسيين جبال شمال العراق بعد سقوط الدولة العباسية وكونوا ثلاث إمارات عباسية حكمت ٥٢٤ عاماً، حكمها ٣٧ أميراً عربياً[3].

ويميل الدكتور جاسم محمد الخلف إلى رأي يتفق مع آراء مجموعة من الإنثروبولوجيين الذين أثبتوا وجود صفات من جنس البحر المتوسط عند الأكراد الشرقيين والجنوبيين[4]. وأثبت (هنري فيلد) وجود تأثيرات سلالة البحر المتوسط على

---

[1] المصدر نفسه، ٢/ ٩٦-٩٧.

[2] المسعودي، مروج الذهب، ج٣، الطبعة الأوربية، ١٨٦١، باريس، ص٢٥٣.

[3] محفوظ العباسي، العباسيون بعد إحتلال بغداد، (د. ت.)، ص١٢٨-١٣٣. أنظر أيضاً : المخطوطة الزيوكية، (محفوظ العباسي، ص٥١).

[4] جاسم محمد الخلف، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والإقتصادية والبشرية، ط٢، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية العالية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١، ص٤٠٣.

الأكراد الجنوبيين(1). وذكر (فشر) Fisher أن الأكراد هم خليط من جنس البحر المتوسط والأرمن(2).

وأظهرت دراسة جينية حديثة قام بها ثمانية علماء أمريكان ونشرتها جامعة هارفرد الأمريكية عام ٢٠١٧ وجود ١٥ سلالة كردية في شمال العراق، وإن الأكراد هم أقرب إلى العرب من قربهم من الأصل الآري، إذ تمثل السلالة العربية أعلى نسبة في جينات الأكراد (٣٧٪) مقابل (١٧٪) للسلالة الآرية. كما أثبتت الدراسة المذكورة هجرة الأكراد إلى مناطقهم الحالية وليسوا من سكانها الاصليين(3).

المسعودي وعلم الإثنوغرافيا:

يتضح مما ذكره المسعودي عن الجوانب الإثنوغرافية من خلال طريقة ملاحظاته عن هجرة القبائل وعما تركه من وصف لسكان الهند والزنج والصقالبة والذي أضحى موضوعاً لتخصص مستقل يتناوله علم الإثنوغرافيا، وإهتم به شارحو "جارموي" Charmoy (1843) و"مارك ورت" في أوائل القرن

(1) Henry Field, The Anthropology of Iraq, Part 2, No. 2, Cambridge, Massachusetts, USA,1952, P.56.
(2) W. B. Fisher, The Middle East, 3rd., London,1956, P. 90. 444.
(3) Harvard University, A glimpse at the intricate mosaic of ethnicities from Mesopotamia, U.S.A., Nov. 2017, no pages.

العشرين. وقد إتضح أن ما ذكره المسعودي عن دولة (الديِّرة) إنما هي كييف عاصمة أوكرانيا الحالية.

وفي ضوء علم الإثنوغرافيا يقسم المسعودي شعوب العالم إلى سبع مجموعات هي: الفرس ويليهم الكلدانيون ويضم إليهم العرب واليهود (القدامى)، ثم سكان أوربا (وهم اليونانيون والبيزنطيون والصقالبة والإفرنجة) ثم الليبيون والأفارقة، ويليهم الترك، فسكان الهند والسند، وأخيراً الصينيون (ومعهم الكوريون)[1].

ويُعد المسعودي واحداً من عدد من الرحالة الذين استخدموا أسماء جديدة بدلاً من الأسماء القديمة التي عُرفت بها بعض المجاميع السكانية. فقد تحولت عبارة (جرمانيا القديمة) إلى "بلاد الصقالبة" وهم السلاف، و(سرماتيا) تحولت إلى منطقتين هما بلاد البلغار على نهر الدانوب، وبلاد اللرّن في قفقاسيا. وتحولت (شيثيا) إلى بلاد الترك. وهكذا نتعرف على البدائل التي أتى بها العلماء العرب لمتابعة سير الأحداث[2].

ويلاحظ أن النشاط العلمي عند المسعودي متنوع، وعلى سبيل المثال فهو، حول الشعوب والأديان، يسأل ممثلي مختلف العقائد عن أصول أحكامهم وكيفية ممارسة عقائدهم، ويفحص كتبهم ويتعرف على آدابهم. وكان موقفه محايداً إزاء

---

(1) كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ١/ ١٨٢-١٨٣.

(2) م. ف. مينورسكي، مصدر سابق، ص٦.

النصارى واليهود والصابئة. وإطلع المسعودي على تعاليم القرامطة وكتبهم أثناء تحركهم على بغداد والذين رفضوا تعاليم أهل السنة وتفنيدها[1].

ومن نشاطاته الأخرى، من خلال رحلاته، ذكر المسعودي في كتابه "مروج الذهب" وجود خلقٍ من الصقالبة والروس في بلاد الخزر، يحرقون موتاهم مع أدواتهم وحليهم، وإذا مات الرجل أُحرقت معه إمرأته وهي على قيد الحياة. وإذا ماتت المرأة لا يحرق الرجل وهو فعل من أفعال الهند، إلّا أن الهند ليس من شأنها أن تحرق المرأة مع زوجها إلّا إذا رغبت هي بذلك[2]. وأشار إلى طقوس الموت عندهم وذكر عاداتهم في الدفن مثل دفن الروس لأحد رؤسائهم، وتطوَّع أحد أتباعه وجواريه للدفن معه. ويصف كيف حرقوا جثته وماذا كانوا يغنون ويشربون أثناء تلك الطقوس[3].

وفضلاً عما تقدم، أوضح المسعودي معلومات انثروبولوجية وإثنوغرافية قيّمة عن شعوب المناطق التي زارها، فذكر أجناسهم وصفاتهم الجسمية وعاداتهم وتقاليدهم وحرفهم ومأكلهم وملبسهم ومساكنهم. وتراه يصف سكان التبت وكونها

---

[1] كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ١/ ١٨١.

[2] المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١/ ١٣٩.

[3] أسامة غاوجي، كتبوا عن حرق الوثنيين الروس لموتاهم وأكل الزنوج للبشر، الجزيرة، ٢٥/ ٢/ ٢٠٢٠. أنظر الموقع على النت: www.aljazeera.net/turath/2020/02/25

مملكة متميزة، فيهم الحضر والريف وتجد إنسانها ضاحكاً، فرحاً، مسروراً وفي أهلها رق الطبع، ولها خواص عجيبة بهوائها ومائها.

ومن أمثلة المناطق التي تناولها المسعودي وصفه لبلاد الزنج، ويقصد بها البلاد والجزر والإمارات العربية المتناثرة على ساحل أفريقيا الشرقي[1]. وتكلّم عنها المسعودي قائلاً: " وقد قدمنا الذكر في الزنوج والأجناس من الأحباش...فسكنت الزنج في ذلك الصقع وإتصلت مساكنهم إلى سفالة، وهي أقاصي بلاد الزنج، وإليها تقصد مراكب العمانيين والسيرافيين... وهي أرض كثيرة الذهب، كثيرة العجائب، خصبة، حارة ... والفيلة بأرض الزنج في نهاية الكثرة، وحشية كلها. والزنج لا تستعمل شيئاً منها في حربٍ ولا غيرها، بل تقتلها. والزنج يقاتلون على البقر بدلاً من الإبل والخيل"[2].

مؤلفاته:

بلغت كتب المسعودي التي أشار إليها في كتابه "التنبيه والإشراف" ٣٤ مصنفاً. ويبدو أنها ضاعت، ولم يقف العلماء منها سوى على أربعة كتب هي: مروج الذهب،

---

[1] عبد الرحمن زكي، مصدر سابق، ص٧٥-٧٦.

[2] المسعودي، مروج، مصدر سابق، ح١، ص٢٢٣ (عن: عبد الرحمن زكي، مصدر سابق، ص٧٧).

التنبيه والإشراف، أخبار الزمان، الكتاب الأوسط[1]. وفقدت كتبه الكبيرة مثل أخبار الزمان (سوى جزء واحد منه) والكتاب الأوسط، كما فقد الكثير من رسائله وكراساته الصغيرة[2].

وسبب ضياع معظم كتبه أنه لم يقدمها للوراقين ليقوموا بنسخها وبذلك ضاع الكثير من إرثه التاريخي المميز. وقد تُرجمت كتبه إلى الفرنسية والإنكليزية والفارسية.

وقال (لوبون): إن ما كتبه المسعودي- المعاصر للاصطخري والمقدسي- عن الجغرافيا هو من قبيل الرحلات أكثر من أن يكون من الكتب الجغرافية[3].

ويرى كراتشكوفسكي أنه نُسبت إليه مصنفات منحولة كان أكثرها شهرةً كتاب "أخبار الزمان وعجائب البلدان"، ويستحيل عقلاً أن يكون من تأليفه، والمسعودي لا يذكره في ثبت مؤلفاته[4]. وفيما يأتي نذكر أشهر كتبه:

---

[1] المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، المحقق الصاوي، ص: (٥).

[2] الحكواتي، مصدر سابق، ٢٠١٣.

[3] غوستاف لوبون، حضارة العرب، مصدر سابق، ص٥٦٧.

[4] كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ١/ ١٨٥.

مروج الذهب ومعادن الجوهر:

يُعد كتاب مروج الذهب من أهم وأضخم المراجع التراثية العربية المتداولة حتى يومنا هذا. وقد وصفه المستشرق الإنكليزي (أ. ر. جيب) بقوله: " يُعد واحداً من خيرة الكتب باللغة العربية "[1].

ويضم الكتاب ٢٠ جزءاً ضخماً بدأ في تأليفه سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م وفرغ منه في الفسطاط بمصر سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م[2]. ترجمه إلى الفرنسية (مينارديت) ونشر في باريس سنة ١٩٢٤[3]. وقد أعاد المسعودي تنقيح كتابه مرتين: الأولى حوالي سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، والثانية سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م[4]. ألّفه في ٣٠ جزءاً – كما يرى أحد محققي كتابه- ولكن لم يعثر إلّا على بعض أجزائه، ويوجد الجزء الأول منه مخطوطاً في فيينّا[5].

---

[1] عن: دمتري ف. ميكولسكي، مصدر سابق، العدد ١٣٧٤٤.

[2] شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، مصدر سابق، ص٣٧٥، المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، المحقق، ص: (ي).

[3] فتحي محمد وهيبة، مصدر سابق،ص٥٥.

[4] كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ١/ ١٨١.

[5] المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، المحقق، ص٦.

وطُبع الكتاب عدة مرات في جزئين، ثم طُبع في أربعة أجزاء راجعها العلّامة الشيخ محمد محي الدين المدرس بكلية اللغة العربية، وعني المستشرق (باربيه دي مينار) بنقله إلى اللغة الفرنسية وطبع في باريس سنة ١٨٧٢ في تسعة أجزاء، ونقله إلى اللغة الإنكليزية العلامة المستشرق (سبرنجر)[١]. وأخرج الجزء الأول منه سنة ١٨١٤[٢].

وقد وضع المسعودي خلاصة إختباراته وتجاربه في الأسفار والرحلات في كتابه "مروج الذهب" وهو يجمع خلاصة وافية للمعرفة العلمية في عصره. ولعله الوحيد الذي تحدّث عن الشعوب والبلاد المجاورة لبلاد الإسلام في تلك العصور. وعالج أكثر أموره معالجة صاحب البصيرة النيرة، والملاحظة النقّادة. فهو كتاب سياحة ومعرفة جغرافية وعمران وعلم وملاحظة وأخبار وما تضمنتها من أساطير.وهو يمثل أصدق تمثيل للحياة العقلية النشيطة المتطلعة للوصول إلى الحقيقة[٣].

---

[١] المسعودي، التنبيه، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص: (ه)، مروج الذهب، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١/ ٦.

[٢] صبري محمد حسن، مصدر سابق،١/ ١١٥-١١٦.

[٣] نقولا زيادة، مصدر سابق، ص٤٧.

ومع تعدد حقول المعرفة في هذا الكتاب لكنه إكتسب، وعن جدارة، حق الإنضمام إلى مكتبة الجغرافيين العرب على الرغم من أنه ليس مصنفاً جغرافياً بمعنى الكلمة، ومعلوماته الجغرافية تعطي عرضاً عاماً للجغرافيا، كما يقول كراتشكوفسكي[1].

ويرى (غوستاف لوبون) أن كتاب "مروج الذهب" هو أشهر كتب المسعودي ونقل قول إبن خلدون، الذي جاء بعد المسعودي بنحو أربعة قرون، عن كتابه المذكور أنه "شرح فيه أحوال الأمم... ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول، وفِرَق شعوب العرب والعجم، فصار إماماً للمؤرخين يرجعون إليه، واصلاً يعولون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه"[2].

يبدأ كتاب مروج الذهب بالغرض من تأليفه حيث يقول المسعودي: " وكان مما دعاني إلى تأليف كتابي هذا ... أن يبقى للعالم ذِكراً محموداً، وعلماً منظوماً عتيداً ". قال المسعودي: " وقد وسمتُ كتابي هذا بكتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لنفاسة ما حواه وعظم خطر ما إستولى عليه ... ولم نترك نوعاً من العلوم ولا فناً من الأخبار، ولا طريقة من الآثار إلّا أوردناها في هذا الكتاب مفصلاً، أو ذكرناه مجملاً"[3].

---

[1] كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ١/ ١٨٢.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص٥٦٤.

[3] المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١/ ١٥.

ويذكر المسعودي في كتابه هذا عدداً من المؤلفين في التاريخ إستفاد منهم، أو عنده ملاحظات عليهم مثل وهب بن منبه، أبي مخلف لوط بن يحى العامري، محمد بن إسحاق، الواقدي، إبن الكلبي، الأصمعي، إبن المقفع، النضر بن شميِّل، الجاحظ، إبن خرداذبه، البلاذري، الرازي وغيرهم، وقد أثنى على الطبري وقدامة بن جعفر[1].

ووجه ثابت بن قرّة نقداً للمسعودي بقوله: " ... ثم إلى أخبار يزعم أنها أصبحت عنده ولم يشاهدها "[2].

ووصف المسعودي في كتابه الحياة الإجتماعية والعادات الدينية للمناطق غير الإسلامية كاليهودية والمسيحية والديانات الأخرى. كما يشير إلى حساب المحيطات وحساب تقويم الأمم، وقضايا تتعلق بالمناخ والنظام الشمسي.

وتناول الكتاب أيضاً مواضيع مثيرة ونادرة مثل الخوض في أعماق الخليج العربي للبحث عن اللؤلؤ والبحث عن الكهرمان في شرق أفريقيا وذكر العادات الهندية الخاصة بدفن الموتى. فضلاً عن ذكر الطرق البرية التي تؤدي إلى الصين، والإشارة إلى الملاحة البحرية ومخاطرها كالعواصف والأعاصير، وخصائص البحار ومواقعها بالنسبة إلى بعضها البعض.

---

[1] المصدر نفسه، ١/ ١١-١٣.

[2] المصدر نفسه، ١/ ١٤.

ووازن المسعودي في هذا الكتاب بين آراء الأقدمين من الفلاسفة الإغريق والهنود فيما يتصل بنشأة العالم وأقاليمه المعمورة وسكانها والبحار السبعة التي تحيط بها، ويضم معلومات جغرافية قيمة.

ويقسّم المسعودي الكتاب إلى قسمين: قسم تاريخي وآخر جغرافي. ويبدأ القسم التاريخي بالخليقة، من خلق آدم وحواء إلى ذكر إبراهيم الخليل عليه السلام وأولاده إسحاق ويعقوب ويذكر فيه يوسف وموسى وعيسى عليهم السلام. وتناول فيه ايضاً قصص الانبياء وتاريخ العصور القديمة مثل العصور الخاصة باليونان والرومان والهنود والفرس والعرب القدامى ودياناتهم وعاداتهم والتقاويم والأشهر والبعثة النبوية والعصور العربية الإسلامية منذ عصر الرسول محمد (صلّى الله عليه وسلّم) إلى خلافة عثمان بن عفان (رضي ألله عنه) ومن بعده خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم الخلافة الأموية والعباسية وصولاً إلى المطيع العباسي.

وتضمن القسم الجغرافي من الكتاب العديد من المعلومات الجغرافية، فقد تحدّث عن إستدارة الأرض، والغلاف الجوي الذي يحيط بها، وكروية البحار والعواصف التي تؤثر في الخليج العربي وما حوله من مناطق. ووصف الأنهار والجبال، وبيّن مساحة الأرض، وتحدّث عن الزلازل التي حدثت في عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م. كما وضّح ظاهرة المدّ والجزر وتأثير القمر عليها، وبيّن دورة الماء في الطبيعة،

وتجمع الأملاح في البحار، وتحدّث عن البراكين الكبريتية الموجودة في أعلى بعض الجبال وغيرها من الظواهر.

وفضلاً عما تقدم ذكر أخبار الهند ووصف الأنهار والجبال والأقاليم السبعة والكواكب والبحر الحبشي وخلجانه والبحر الرومي وبحر نيطس وخليج القسطنطينية وبحر الباب والخزر وجرجان وأطوال الشهور والتقاويم القديمة والبيوتات المعظمة. وذكر جغرافية بطليموس ووصف نهر النيل وجيحون وبلخ ودجلة والفرات.

وقسّمَ المسعودي كتابه المروج إلى أربعة أجزاء: تناول الجزء الأول منه خلق الأرض في مراحلها المختلفة، وخلق السماء وتكويناتها والشمس والقمر وحركة دورانهما حول الكرة الأرضية، وخلق آدم وحواء، وتناول أبناءهما إلى ذكر إبراهيم الخليل. ووصف مصر وملوكها والإسكندرية وحكم الإسكندر المقدوني.

وتناول المسعودي في جزئه الثاني من الكتاب السودان والنوبة والحبش وسُقطرى وذكر محاولات قديمة لوصل بحر الروم بالبحر الأحمر (والمتمثلة بقناة السويس في الوقت الحاضر)، ويركز على الجغرافيا ويتحدث عن الصقالبة والفرنج ودول مثل انكلترا وفرنسا وبعض دول أوربا اليوم فضلاً عن الهند والصين. ثم يتحدث عن العرب البائدة مثل عاد وثمود. ولم ينس تأثير البيئة الطبيعية، فقد فصّل عنها. وتناول أيضاً اليمن والشام وشبه جزيرة العرب وقريش الأحلاف والإيلاف وسبأ وحمير ومعد يكرب. وفي الربع الأخير من هذا الجزء كرّسَ الحديث للعرب

والتعريف بهم وتناول حياة الرسول محمد (صلّى الله عليه وسلّم) منذ مولده حتى وفاته وبناء الكعبة وأخبارها ويثرب وأهلها.

أما الجزء الثالث من الكتاب فقد اهتم بالحسن بن علي (عليه السلام) حتى تنازله عن الخلافة، كما تحدّث عن معاوية بشكل مفصل وقيام الدولة الأموية حتى سقوطها. ولا يذكر الكثير عن إيجابيات هذه الخلافة. كما تناول الدولة العباسية دون أن يذكر تفاصيل عن مرحلة تأسيسها والدعوة السرية لكنه تناول سيرة خلفائها حتى المطيع.

وفي الجزء الرابع من " مروج الذهب " تحدّث عن عهد المأمون وقتله لأخيه الأمين وتناول بقية الخلفاء العباسيين وذكر مساوئهم كما فعل مع الخلفاء الامويين وكان يشيد بثورات العلويين، وينتهي الجزء الرابع بالحديث عن المطيع لله. وهناك من ينتقد المسعودي لتناوله خلافة الخليفتين الأول والثاني بإقتضاب دون ذكر التفاصيل. كما ذكر بعض الأمور الجغرافية مثل الكواكب والرياح وتأثير البحار، كما تحدث عن الكيمياء، ولم ينس غارة البربر على مصر.

كتاب التنبيه والإشراف:

كان المسعودي يعمل على تأليف النسخة الأولى من كتابه "التنبيه والإشراف" في الفسطاط عام ٣٤٤هـ. وفي عام ٣٤٥هـ/٩٥٦م زاد فيه وأنجزه وأصبح يمثل

وجيزاً وتهذيباً لعلمه. والمكتبة العربية في عصره كانت غنية بالمؤلفات وأورد في كتابيه (مروج الذهب، والتنبيه والإشراف) عدداً من أسماء تلك الكتب[1].

وطُبع كتاب التنبيه والإشراف في ليدن سنة ١٨٩٤ وهو الجزء الثامن من المكتبة الجغرافية التي عني بنشرها المستشرق (دي جوجي) وعلق عليها وذيلها بملاحظات كثيرة، وذكر في المقدمة أن المستشرق (ساكي) قد علّق عليها وراجعها قبل ذلك في عام ١٨١٠[2]. ونقله إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي (دي كاردي فو)[3].

مضمون كتاب التنبيه والإشراف

تمهيد:

تناول المسعودي في مقدمة كتابه التنبيه والإشراف خلاصة وافية لمعارفه وتحليلاً لكل مؤلفاته وإسلوبه وإهتماماته. فذكر في البداية الغرض من تأليف كتابه، والأخبار عن بدء العالم والخلق وتفرقهم على الأرض والممالك وذكر الأمم الخالية وعادات الناس وتقاليدهم في المناطق التي زارها والحرف التقليدية والفنون والثقافات والصفات الجسمانية والشخصية للسكان. ثم ذكر الأنبياء وقصصهم وسير

---

[1] المسعودي، التنبه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص: (ي).

[2] المصدر نفسه، ص: (ه)، ومروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١/ ٧.

[3] صبري محمد حسن، مصدر سابق، ص١١٦.

الملوك وسياساتهم ومساكن الأمم وتباين عاداتهم، ووصفه بحار العالم وكيفية شبابها وهرمها وعلّل جميع ذلك، وأشار إلى الأنهار الكبار ومبادئها ومصباتها ومسافاتها على وجه الأرض وذكر الأفلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها وكيفية أفعالها. وذكر أيضاً الأخبار عن شكل الأرض وهيئتها وقسمتها والربع المسكون منها وحدبها وأنجادها وتأثيرات الكواكب في سكانها وإختلاف صورهم وألوانهم وأخلاقهم. ووصف الأقاليم السبعة وأطوالها وعروضها وعامرها ومجاري الأفلاك وإختلاف حركاتها وكيفية مسيرها، وهل حركات الأفلاك والنجوم جميعاً طباع أم إختيار. وذكر أيضاً عمر العالم ومبدأه وغايته ومنتهاه وأديان البشر.

وفضلاً عما تقدم ذكر المسعودي الرياح ومهابّها وأفعالها وتأثيراتها والأرض وشكلها وما قيل في مساحتها وعامرها وغامرها وقسمة الأقاليم على الكواكب، ووصف الإقليم الرابع وتفضيله على سائر الأقاليم وما إتسم به ساكنوه من الفضائل وذكر البلدان وأطوالها والأهوية وتأثيراتها. وذكر بحر الروم والخزر ومعرفة سني الأمم (الشمسية والقمرية). كما ذكر الأمم السبع ولغاتها وآراءها ومساكنهم وتسمية ملوك الفرس وملوك اليونان والروم على طبقاتهم وهم الصابئون والمتنصرة. وذكر أخبار النبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) ومولده ومنشأه ومبعثه وهجرته ومغازيه إلى وفاته وأحداث تاريخه بحسب السنوات الهجرية. ومن بعد ذكر أخبار الخلفاء الراشدين وخلافة الحسن والأمويين والعباسيين وأخبار الملوك والفتوح في أيامهم

ووزرائهم وكتابهم إلى خلافة المطيع في سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م وهي السنة التي توفي بها (أو بعدها بسنة)[١].

وقال : " ... ثم دُفعنا إليه من طول الغربة وبعد الدار وتواتر الأسفار طوراً مشرقين، وطوراً مغرّبين، كما قال أبو تمام:

بالشام قومي وبغدادُ الهوى وأنا   بالرقتينِ وبالفسطاطِ إخواني

وكذلك قوله[٢]:

فغرّبتُ حتى لم أجد ذِكرَ مشرقي   وشرّقتُ حتى قد نسيتُ المغاربا

والأبيات الأخيرة لأبي تمام التي يختتم بها المسعودي مقدمته تدل دلالة واضحة على مبلغ إهتمامه بالعرض الأدبي الذي يحتل بالنسبة لهِ مكانة خاصة.

مضمون الكتاب الطبيعي:

وتحت عنوان (ذكر الأفلاك وهيئآتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها وكيفية أفعالها) بدأ المسعودي بذكر الفلك وآراء الفلاسفة في الطبائع الأربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والغالب عليها النار. والفلك الأعلى هو فلك الإستواء المحيط بالبروج والمحرك لها وما يشتمل عليه من طبائع التدوير، فأولها كرة

---

[١] المسعودي، التنبيه، مصدر سابق، ص١-٤.

[٢] المصدر نفسه، ص٥.

الأرض وما يحيط بها فلك القمر وعطارد والزهرة والشمس وبقية الأفلاك. والأرض في وسط الجميع، والفلك يدور عليها من المشرق إلى المغرب. وعلى أوسع موضع فيه نقطتان وهميتان متقابلتان في جنبي الكرة: إحداهما القطب الشمالي والثانية القطب الجنوبي ويسميان المحورين. وفلك معدل النهار (خط الإستواء) يتساوى فيه الليل والنهار ويسمى (الفلك المستقيم) لإستواء مطالعه ومغاربه. والأرض من الفلك بمنزلة النقطة من الدائرة. ومن مركزها إلى كل نقطة ٩٠ درجة، وقطر الدائرة ١٨٠ درجة[١].

بعد ذلك ذكر المسعودي العناصر الأربعة وهي: النار، الهواء، الماء، الأرض، وهي في حركة مستمرة. النار والهواء حاران، والماء والأرض باردان، والحرارة تجعل الحركة صعوداً بإتجاه الأعلى، وعلى نقيضها البرودة تجعلها بإتجاه الأسفل. وتعمل الحرارة على تباعد نهايات الأجسام من مركزها. وإن الحرارة والبرودة تتبادلان المواضع، فإذا كان ظاهر الأرض المرئي حاراً كان باطنها بارداً، كما هو حال السراديب في نهار الصيف. وإذا كان ظاهرها بارداً كان باطنها حاراً على ما هي عليه السراديب وغيرها في ليالي الشتاء.

وذكر المسعودي الفصول الأربعة (الصيف، الخريف، الشتاء، الربيع) ومدة كل فصل وانقسام كل فصول السنة بالأزمنة الأربعة إنما هي بحركة الشمس. وأشار

---

[١] المصدر نفسه، ص٦-١٠.

المسعودي أيضاً إلى تشبيه (بطليموس) فصل الربيع بفصل الطفولة، والصيف بالشباب، والخريف بالكهولة، والشتاء بالشيخوخة. كما ذكر الرياح وعددها أربعة: شمال وجنوب وصبا (تهب من المشرق) ودبور (تهب من المغرب). ونوّه المسعودي أيضاً إلى أن الأرض تتكون من أربع جواهر هي الرمل والطين والأحجار والأملاح وجوفها على شكل أطباق[1].

المضمون البشري للكتاب:

إنتقل المسعودي إلى وصف سكان الربع الشمالي من الأرض وهم الذين بَعُدَتْ عنهم الشمس كالصقالبة والإفرنجة ومن جاورهم من الأمم، وهي مناطق باردة ورطبة، لذلك جفّتْ طبائعهم، وثقُلت ألسنتهم، وإبيضّت ألوانهم. وقد تتحول من البياض إلى الزرقة، وتزرق عيونهم وسبطت شعورهم. ومن يتوغل إلى الشمال منهم، مثل الأتراك، فالغالب عليه الغباوة. أما الربع الجنوبي الواقع تحت خط الإستواء، كالزنج والأحباش، فترتفع فيه الحرارة، لذلك إسودت الوانهم وإحمرّت أعينهم وتفلفلت شعورهم لغلبة البخار على اليابس.

والأرض قسمان: مسكون والآخر غير مسكون، والعامر المسكون، إحداهما مفرط الحر ويقع في الجنوب، والآخر مفرط البرد ويقع في الشمال.أما غير المسكون

---

[1] المصدر نفسه، ص١٣-٢٥.

فهو إما مفرط البرد ويقع إلى الشمال من معدل النهار (خط الإستواء) بنحو ٦٦ درجة، أو مفرط الحر ويقع إلى الجنوب من خط معدل النهار بنحو ١٩ درجة. وأقصى العمران من المشرق هو في أقصى حدود بلد الصين والسيلي، وأقصى العمران من جهة المغرب ينتهي إلى بحر أوقيانس (المحيط الأطلسي).

أما ما يتعلق بالأمم السبع فهم، بنظر المسعودي، الفرس والكلدانيون وهم السريانيون) واليونانيون والروم (طبقتهم الأولى الصابئة وطبقتهم الثانية المتنصِّرة) والصقالبة والإفرنجة. أما الأمة الرابعة فهي لوبية (ليبيا) ومنها مصر وأرض المغرب إلى بحر أوقيانس المحيط، لغتهم واحدة وملكهم واحد ويمثلهم الآن شمال أفريقيا العربي. والأمة الخامسة هم أجناس الترك (الخرلخية، الغز، كيماك، الطغزغز، الخزر). والأمة السادسة أجناس الهند والسند لغتهم واحدة وملكهم واحد، أما الأمة السابعة فهي الصين والسيلي[1].

الأقاليم السبعة:

يقول المسعودي: كل ما كان معموراً من الأرض فهو مقسوم بسبعة أقسام، يسمى كل قسم منها إقليماً. وتكثر العمارة في الشمال وتقل في الجنوب. والأقاليم السبعة هي: الإقليم الأول ويشمل الهند، والثاني الحجاز والحبشة. والإقليم الثالث

---

[1] المصدر نفسه، ص٧٢-٧٣.

يتضمن كلًّا من مصر وأفريقية. ويشمل الإقليم الرابع بابل والعراق، والإقليم الخامس يتضمن الروم، والسادس ياجوج وماجوج، والسابع يشمل يوماريس والصين. وحول الإقليم الرابع قال المسعودي: " ونحن ذاكرون الإقليم الرابع وما بان به عن سائر الأقاليم وجلالة صقعه وشرف محله، إذ كان به مولِدنا وفيه منشؤنا "[1].

الإقليم الرابع:

تقع في هذا الإقليم بلاد بابل وهو وسط الأقاليم السبعة وأعدلها وافضلها، وبلد العراق وسطه، فهو شرق الأرض وصفوتها: أعدلها غذاءً، وأصفاه هواءً، متوسط بين إفراط الحر والبرد. وهو في الموضع الذي ينقسم فيه الزمان إلى أربعة أقسام، فلا يخرج ساكنوه من شتاءٍ إلى صيف حتى يمر بهم فصل الربيع، ولا من صيفٍ إلى شتاء حتى يمر بهم فصل الخريف.

والعراق أفضل المواضع التي إختارتها ملوك الأمم، وهم ملوك السريانيين الذين تسميهم العرب بـ (النبط)، ثم ملوك الفرس على إختلاف طبقاتهم حيث تلتقي دجلة والفرات وما قرب من ذلك. ويقضيَ ملوك الفرس الشتاء بالعراق كمشتى ليسلموا من زمهرير الجبل وكثرة ثلوجه وأمطاره. وحدّ السواد، عند المسعودي، هو

---

[1] المصدر نفسه، ص٢٩-٣١.

العراق الذي يبلغ طوله ١٢٥ فرسخاً وعرضه ٨٠ فرسخاً. وذكر المسعودي أن بعض أهل المعرفة وصفوا العراق بأنهم " أهل العقول الصحيحة... والشمائل الموزونة، والبراعة في كل صناعة... وسمرة الألوان ... وأتمهم حلماً وفهماً، فهم أهل العلم والخير ...إجتمعت فيهم محاسن جميع الأقطار...وكيف لا يكون كذلك وهم ... أصحاب الرافدين من دجلة والفرات...أفضل أنهار العالم ". وأخيراً قال المسعودي عن الإقليم الرابع :" والصقع الذي مدينة السلام منه أفضل مواضع الأرض...في الطيب والغذاء- ففيه- أطيب خيرات الدنيا بعد الأمن والعافية –وفيه- صلاح الماء والهواء"[1].

كتاب أخبار الزمان:

وهو موسوعة علمية جغرافية تاريخية شاهدها الجغرافيون المتأخرون بأكثر من ٣٠ جزءاً، وفُقد الكتاب ولم يعثر إلّا على جزء واحد منه في مكتبة فيّينا. تُرجم الكتاب إلى اللغات الإنكليزية والفرنسية والفارسية[2]. والمسعودي يكثر الإشارة إلى مؤلفه هذا. وفي المكتبة الملكية بالقاهرة كتاب يحمل هذا الإسم مصوّر عن نسخة في المكتبة

---

[1] المصدر نفسه، ص ٣٧-٣٨.

[2] صبري محمد حسن، مصدر سابق، ١/ ١١٧.

الأهلية بباريس في جزء واحد تام، وهو كتاب يحوي الكثير من غرائب العالم وعجائب المخلوقات[1].

الكتاب الأوسط:

توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة أوكسفورد، ويظن أنه عُثر على أجزاء منه في بعض مكاتب دمشق[2].

المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحِدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، منشورات دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٦، الجزء الأول:

يتضمن الكتاب جوانب جغرافية وأخرى تاريخية، وما يتعلق بالجوانب الجغرافية ذكر المسعودي وجود ٢٨ أمة مخلوقة، و١٠٢٠ كوكباً، يقطع كل كوكب منها البرج في ثلاثة آلاف سنة بحسب قول الأوائل. وذكر البحر المحيط وبلاد الصين وهي واسعة وفيها ٣٠٠ مدينة عامرة عدا القرى والرساتيق. وحتى يمكن الوصول إلى الصين لابد من قطع سبعة بحار. وأهلها بيض يميلون إلى الصفرة. عندهم الذهب ولهم ثياب من حرير منسوج بالذهب. وذكر أيضاً الإفرنج وهم نصارى ويتكونون من ١٤ قبيلة. وأشار إلى الأندلس التي فتحها طارق بن زياد وتضم ٢٤ مدينة ودينهم

---

[1] المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١/ ٦، والتنبيه، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص: (ه)، ٦.

[2] المصدر نفسه، ١٩٣٨، ص: (ه)، ٦.

الصابئة. وذكر أيضاً مملكة الجرجان وهم مجوس، عملتهم البقر والغنم يشترون ويبيعون بها. كذلك أشار إلى الترك وهم أجناس كثيرة وأصحاب مدن وحصون يعملون بالصيد ومنهم مَنْ تهوّدَ. وذكر مملكة الروم وهم نصارى ولا يتزوج الرجل عندهم إلّا واحدة. وأشار إلى مملكة الفرس وهم مجوس، ومملكة خراسان مثل الصفد، وهم أهل الديلم والجبل واللّد والأكراد وأكثرهم مجوس يعبدون النار. ونوّه المسعودي إلى وجود امم عراة ما بعد جزيرة الصين، وهم حمر الوجوه، شقر الشعور، غذاؤهم نباتي وتحاذيهم من الشمال أمم بيض، شبه عراة. وفصّل المسعودي عن سام بن نوح وأولاده وذريته وبضمنهم العرب العاربة والمستعربة وعاد وهود، وذكر اليمامة الزرقاء وعجائب مصر والأهرامات والطوفان[1].

وفي الجانب التاريخي ذكر المسعودي آدم وأولاده حام بن نوح وكنعان بن حام ويافث بن نوح وآجوج وماجوج والصقالبة (منهم النصارى وبعضهم مجوس) وكلهم في ناحية الشمال وليس لهم بحر مالح. كما ذكر اليونانيون وهم الروم الأولى وفيهم الحكماء مثل أبقراط، هرمس، سقراط، إفلاطون، أرسطوطاليس، إقليدس، جالينوس.

وفصّل المسعودي في ذكر قصة يوسف (عليه السلام) وإخوته وعلاقته بفرعون مصر وزوجته زليخا. كما ذكر "بخت نصّر" الذي ظفر بمصر، وأشار إلى موسى الذي

---

[1] المسعودي، أخبار الزمان، ج١، مصدر سابق، ١٩٩٦، ص ص٤٥-٤٩، ١٠٢-١٠٥.

إمتنع الفرعون من قتله وجعله من قواده وإنتصاره على الكوشانيين، وصار موسى إلى مصر ولقى أخاه هارون فنجّا الله موسى وأغرق الفرعون وقواده. (ملاحظة: إنتهى نسخ الكتاب في ١٩ جمادي الأولى سنة ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م).

يتضح مما تقدم الدور البارز الذي لعبه المسعودي في الجغرافية العربية، ويبدو أن مساهمة العرب والمسلمين في الجغرافيا كانت ضخمة وإستحقوا، بناءً على ما أنجزوه، مكانتهم التي إحتلوها عن جدارة في مجال العلم الكوني.

واهتم المسعودي بوصف الإقليم الرابع (إقليم بابل) الذي يقع فيه العراق موطنه. في حين كانت وفاته في الفسطاط بمصر . وقد أحب الرحلات منذ صباه وقام بها بعمر ١٨ عاماً وتجول في مختلف بلدان العالم المعروفة، من الهند إلى المحيط الأطلسي، ومن البحر الأحمر إلى بحر قزوين(الخزر)، حيث كانت الرحلة هي أساس منهجه العلمي.

إبتدأ رحلاته من مسقط رأسه بغداد عام ٣٠١هـ/ ٩١٣م وتجول في بلاد فارس وكرمان وإستقر في إصطخر حتى عام ٣٠٤هـ/ ٩١٦م ومنها وصل إلى سيلان (سرنديب) وعبر البحر العربي إلى زنزبار (زنجبار) ومدغشقر إلى عُمان ومسقط في طريق عودته إلى بغداد. وفي رحلة أُخرى ذهب إلى أذربيجان وجرجان وآسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر وغيرها من البلدان.

وكان هدفه من خلال رحلاته أن يفهم العالم وما يدور فيه، وربط في كتاباته الجغرافية بين الزمان والمكان والإنسان، وهي في ذلك تعكس فكراً ثاقباً، ونظراً بعيداً، وتفكيراً عميقاً. فدرس بتمحيص ما رآه بأُم عينه أو سمعه من أناس ثقات ودأب على أخذ الصحيح وإهمال ما يناقض الحقيقة والمنطق. وغدت أخباره وكتاباته مرجعاً مهماً للمؤرخين والجغرافيين والإثنوغرافيين عن الأمصار والشعوب القاطنة فيها. وهو لم يأخذ مصادره على علاتها بل وقف منها موقف الناقد، وكان ينبه الكاتب إذا وقع في خطأٍ كما فعل مع روايات الجاحظ وكتابات بطليموس عن أخطاء وقعا فيها.

وليس غريباً أن يعجب به (كرامرز، وآرنست رينان) لإتباعه المنهج العلمي الجغرافي الذي يتطلب التثبت من المعلومات التي يكتبها بالملاحظة والمشاهدة والتجربة، ومن ثم إستخلاص النتائج. فقد جمع مادته العلمية على أساس منهجي يشابه القواعد المنهجية المتعارف عليها الآن في الدراسات الإثنوغرافية. يكفيه فخراً أن أطلق عليه كبار الجغرافيين والمؤرخين والمستشرقين أمثال (دوسن، وميكولسكي) لقب "هيرودوت العرب" و "بطليموس المسلمين".

وقد اتقن المسعودي لغات متعددة قديمة تطلبتها رحلاته الكثيرة في أنحاء العالم المعروف حينذاك ووصوله إلى منابع نهر النيل قبل غيره. وتميّز عن العديد ممن عاصروه، أو ممن سبقوه بإنتهاجه نهجاً جغرافياً جديداً في تناوله للجغرافيا. فقد طعّم الجغرافية البشرية بمعلومات تاريخية وإجتماعية وإقتصادية وسياسية. وفي كتابه

" مروج الذهب" خصص الجانب الأكبر من القسم الأول من كتابه المذكور لوصف عادات الأمم ومعتقداتها ومذاهبها وتاريخها ومصادر أرزاقها من صناعة وزراعة وتجارة.

وبالرغم من الإيجابيات العديدة لكتابات المسعودي، ومنهجه العلمي الرصين إلّا أن منهجه في التبويب لا يرقى إلى المستوى المطلوب. وكان يزاول بعض أعماله بعجالة. وكان لا يخشى أن يذكر أسماء الشخصيات التي كانت ممقوتة في عصره. كما أن كتاباته بحاجة إلى غربلة، وإبعاد الحكايات الساذجة وبعض الحشو منها، وإسناد بعض رواياته إلى مصادرها الأصلية التي إقتبست منها، وتحقيق بعض ما سجله من معلومات تضمنتها كتبه الثلاثة.

وقد ترك المسعودي أثراً جغرافياً مباشراً يشار إليه بالبنان وهو ما سُمي بـ (الصورة المأمونية) التي رآها في القرن العاشر الميلادي، وهي أفضل من صورة بطليموس ومارينوس على حد قول المسعودي نفسه. وتعد خارطة العالم للمسعودي من بين أدق الخرائط العربية، وقد نشرها العلامة (ميللر)، وتحوي معلومات أدق من خرائط بطليموس والإدريسي. وعدّه بعض الباحثين من أعظم الخرائطيين العرب وأفضلهم رسماً لصورة الأرض.

وفي سجستان يورد المسعودي أول خبر عن طواحين الهواء كما يقول العالم (سارتون). ويكفيه فخراً أن تُنسب إليه نظرية الإنحراف الوراثي، وهي أصل نظرية

التطور. وله الفضل في وصف وإبراز طراز البناء الحيري الذي شاع في تخطيط المدن في سامراء، حيث إستخدم العباسيون هذا الطراز الذي أصبح رسمياً في بناء المدن منذ زمن الخليفة المتوكل على الله.

وكان المسعودي من أوائل من ناقش دورة الماء في الطبيعة وإهتم بجيمورفولوجية الأنهار من خلال تأكيده على (دورة التعرية النهرية). وذكر أن للأنهار شباباً وهرماً وحياةً وموتاً ونشوراً كما هو حال الحيوان والنبات.

كما أشار المسعودي إلى تراجع الساحل الشمالي للخليج العربي بإتجاه الجنوب، وهو ما تضمنته النظرية الألمانية الحديثة عن الساحل المذكور وملاحظاتهاعلى نظرية (ليس وفالكون).

وعرض المسعودي نظرية خاصة بالرياح في كتابه "التنبيه والإشراف"، وعرَّف الرياح بأنها حركة الهواء وتموجه. وأوضح تأثير المناخ والبيئة الطبيعية على صفات البشر وألوانهم وطباعهم ونشاطهم الجسماني.

وكان لدى المسعودي تصور واضح عن الأصل الواحد للشعوب الجزرية (السامية وهم العرب القدامى). وكانت لديه فكرة عن وحدتها قبل عهد طويل من ظهورها كنظرية علمية في أوربا. وكان يؤكد أن الكلدانيين هم السريانيون، وهي معلومة تؤكدها الدراسات الحديثة. وأورد المسعودي تصوراً للتقسيم اللغوي يشبه، إلى حدٍّ بعيد، التقسيم الحديث الذي يقوم على أساس التشابه بين اللغات.

ويرى المسعودي أن أصل الأكراد عرب، وهم من ولِد (كرد بن عامر). ويشاركه في هذا الرأي إبن منظور صاحب كتاب لسان العرب، وأبو اليقظان في كتابه النسب الكبير. ويقول الشاعر بهذا الصدد:

لعمرك ما الأكراد أبناء فارس ولكنهم أبناء كُرد بن عامرِ

وأثبتت الدراسات الجينية الحديثة أن الأكراد هم أكثر قرباً للعرب من قربهم للشعوب الآرية، حيث ترتفع نسبة الجينات العربية بينهم (٣٧٪) أكثر من الجينات الآرية (١٧٪) وبخاصةٍ بين الأكراد الجنوبيين وجزء من الأكراد الشرقيين، فهم من جنس البحر المتوسط، أي نفس الجنس الذي ينتمي إليه العرب، كما يقول العلامة نيكيتين، وهنري فيلد، وكون، وفشر.

من هنا يظهر الدور الكبير لأبي الحسن المسعودي في تجديد الجغرافية العربية وتطعيمها بعلوم أخرى وإبتكارات جديدة لم يسبقه فيها أحد من الجغرافيين القدامى. وبذلك صار أحد الاركان الأساسية للجغرافية العربية، كما إعترف بذلك كبار العلماء والمؤرخين القدامى والمحدثين.

قائمة المصادر

١. الإصطخري، إبن إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي، منتخبات من كتاب المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، تراثنا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، القاهرة، ١٩٦١، بقلم المحقق.

٢. الآلوسي، عادل محي الدين، العروبة والإسلام في جنوب شرقي آسيا، ط ١، هيئة كتابة التاريخ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دائرة الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٨.

٣. إبن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥.

٤. إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة، ١٩٦٣، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب).

٥. إبن جبير، الرحلة، تحقيق د. حسين نصار، القاهرة، ١٩٥٥.

٦. إبن حوقل النصيبي، أبو القاسم، كتاب صورة الأرض، ط ٢، القسم الأول، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٨.

٧. إبن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك (وتليه نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر)، عناية دي غويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩.

٨. إبن خلدون، المقدمة، مطبعة مصطفى محمد، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (د. ت.).

٩. إبن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء أهل الزمان، حققه د. إحسان عباس، ج١، المجلد السادس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢.

١٠. إبن رسته، كتاب الاعلاق النفيسة، المجلد السابع، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١.

١١. إبن سعيد، كتاب الجغرافيا، منشورات المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠.

١٢. إبن الفقيه الهمذاني (أو الهمداني)، أبو بكر أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، عناية دي غويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥ م.

١٣. إبن النديم، الفهرست، مطبعة الإستقامة، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (د. ت.).

١٤. أبو سعد، أحمد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي: دراسة ومختارات، ط١، منشورات دار الشرق الجديد، سلسلة الفنون الأدبية عند العرب (رقم ١٠)، بيروت، ١٩٦١.

١٥. أبو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، عناية وتصحيح رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠، أعادت طبعه مكتبة المثنى لصاحبها قاسم محمد الرجب في بغداد.

١٦. أحمد، نفيس، جهود المسلمين في الجغرافية، ترجمة فتحي عثمان، راجعه علي أدهم، سلسلة الألف كتاب (رقم ٢٧٢)، مطابع دار القلم، القاهرة، (د. ت.).

١٧. الإدريسي، الشريف، ذكر الأندلس أو وصف إسبانيا (على طبعة ١٧٩٩م)، المطبعة الملكية، مدريد، نوفمبر ١٩٨٣،(باللغة الإسبانية).

١٨. الإدريسي، نزهة المشتاق في آختراق الآفاق، ج ١، منشورات معهد الدراسات الشرقية، بريل، ليدن، ١٩٧٠.

١٩. آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية، محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج٢.

٢٠. أسود، فلاح شاكر، علم الخرائط: نشأته وتطوره ومبادئه، بيت الحكمة، جامعة بغداد، ١٩٨٩.

٢١. الأشعب، خالص، اليعقوبي، ط ١، هيئة كتابة التاريخ: نوابغ الفكر العربي، دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٨.

٢٢. الأعظمي، عواد عبد المجيد،" مشاريع الري والزراعة في صدر الإسلام"، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، العدد الثاني، السنة الأولى، ١٩٧٨.

٢٣. الاندلسي، صاعد، مساهمة الغرب في دراسة اللغات السامية، الموسوعة الصغيرة، تسلسل ١٩، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨.

٢٤. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، ج١، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٦.

٢٥. باقر، طه، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في تاريخ الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية، مركز إحياء التراث العلمي العربي، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠.

٢٦. بحر العلوم، محمد، الكندي الرائد الأول للفلسفة الإسلامية ومفخر الفكر العربي/ الجانب التاريخي، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٩٦٢.

٢٧. بدر، جمال مرسي،" البيروني"، دائرة معارف الشعب، ج٣، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٨٠.

٢٨. بدر، عبد الرحيم، الفلك عند العرب، مؤسسة مصر للتوزيع طرابلس، لبنان، ١٩٨٦.

٢٩. البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، المجلد الثاني، مطبعة وكالة المعارف، استانبول، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٥.

٣٠. بروكلمان،" البيروني"، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الرابع، دار الفكر، ١٩٣٣.

٣١. بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج٢، طبعه مولر مع ترجمته الألمانية في سيبسك عام ١٨٧٩ ونشره أنستاس الكرملي في بغداد عام ١٩٣١. أيضاً ترجمة أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط ٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨.

٣٢. البكري الأندلسي، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما إستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط١، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، القاهرة، ١٩٤٥.

٣٣. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، إستخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني، فيها، تحقيق الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش، الدار المصرية للتأليف والترجمة سلسلة تراثنا، (د. ت).

٣٤. توغان، زكي وليدي،صفة المعمور على البيروني، مطبعة استانبول، ١٩٣٤.

٣٥. الجعفري، ياسين إبراهيم علي، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (رقم ٢١٣)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.

٣٦. جمعة، محمد لطفي، تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦ م.

٣٧. الجوهري، يسري عبد الرازق، الكشوف الجغرافية، ط٢، دار المعارف، الإسكنجرية، ١٩٦٧.

٣٨. حتي، فيليب وأدور جردي وجبرائل جبور، تاريخ العرب مطول، ط٤، ج٢، مطابع الغندور، ١٩٦٥.

٣٩. حسن، صبري محمد، الجغرافيون العرب، ج١، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٥٩.

٤٠. الحلو، عبد الفتاح محمد، أعلام التراث الإسلامي، ط ١، شركة مكتبة عكاظ، للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨١.

٤١. الحلي، علي، إبن خلدون في مرايا النقد المعاصر، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٤.

٤٢. حمزة، عبد اللطيف، القلقشندي في كتابه صبح الأعشى: عرض وتحليل، وزارة الثقافة والإرشاد، أعلام العرب (رقم ١٢)، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٦٢.

٤٣. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، المجلد الأول، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٥-١٩٥٧.

٤٤. خاليدوف، أنس، المخطوطات العربية الجغرافية في معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم للإتحاد السوفيتي، رسائل جغرافية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، تسلسل ١٠٨، الكويت، ديسمبر ١٩٨٧.

٤٥. خصباك، شاكر، إبن بطوطة ورحلته، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١.

٤٦. خصباك، شاكر، في الجغرافية العربية: دراسة في التراث الجغرافي العربي، ط١، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٥.

٤٧. خصباك، شاكر، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٩.

٤٨. خصباك، شاكر، وعلي محمد المياح ، الفكر الجغرافي: تطوره وطرق بحثه، وزارة التعليم العالي/ جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٣.

٤٩. الخلف، جاسم محمد، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والإقتصادية والبشرية، ط٢، جامعة الدول العربية/ معهد البحوث والدراسات العربية العالية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١.

٥٠. الخياط، حسن،" العطاء الجغرافي في مقدمة إبن خلدون"، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، العدد الثامن، الدوحة، ١٩٩٦.

٥١. الدفاع، علي عبد الله، إسهامات علماء المسلمين في الرياضيات، تعريب وتعليق جلال شوقي، دار الشرق، بيروت، القاهرة، ١٩٨١.

٥٢. الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط ٩، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨.

٥٣. دي لابلاش، فيدال، أصول الجغرافية البشرية، ترجمة د. شاكر خصباك، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٤.

٥٤. الراوي، محمد عمار، دراسة في فكر العرب البيئي، بحوث الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد: ١٣-١٥ شباط ١٩٨٩، ج١، مطبعة الرشاد، بغداد.

٥٥. رجب، محمد غازي، العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، بغداد، ١٩٨٩.

٥٦. رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، عُني بتصحيحها خير الدين الزركلي، مطبوعات المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٢٨.

٥٧. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٢، ط ٣، ١٩٧٠.

٥٨. زكي، عبد الرحمن، بعض المدن العربية على ساحل أفريقيا الشرقي في العصور الوسطى، المحاضرات العامة، الجمعية الجغرافية المصرية: الموسم الثقافي لسنة ١٩٦٤، دار الطباعة الحديثة، القاهرة.

٥٩. زيادة، نقولا، الرحالة العرب، سلسلة الألف كتاب، تسلسل ٩٧، منشورات دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٦.

٦٠. زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، المجلد الثالث، (عن: صبري محمدج حسن، ج١، ١٩٥٩، ص١٩).

٦١. السامرائي، إبراهيم،" بداية الفكر الجغرافي عند العرب"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الثاني، السنة الثانية، مطبعة العاني، بغداد، حزيران ١٩٦٤.

٦٢. السعدي، عباس فاضل، الجغرافيا وتخصصاتها في مقدمة إبن خلدون، رسائل جغرافية، تسلسل ٤٩٥، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، أغسطس ٢٠٢١.

٦٣. السعدي، عباس فاضل، دراسات في تراث العرب الفكري، ط١، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١.

٦٤. السعدي، عباس فاضل، موضوعات وأعلام في الجغرافية العربية والتراث الإسلامي، ، ط١، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤.

٦٥. السعدي، ياقوت الحموي: دراسة في التراث الجغرافي العربي، ط ١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢.

٦٦. سهراب، كتاب عجائب الأقاليم السبعة التي نهاية العمارة، عناية وتصحيح هانس فون فريك، طباعة أدولف هولز هوزن، فيينا، ١٩٢٩.

٦٧. سوسة، أحمد، الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية، الباب الأول والثاني، طبع مكتب صبري، نشر مؤسسة كولبنكيان ونقابة المهندسين العراقية، بغداد، ١٩٧٤.

٦٨. سوسة، احمد،" الرحالون والبلدانيون من العهد العربي الإسلامي"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الأول، السنة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، آب ١٩٦٢.

٦٩. سوسة، أحمد، الري والحضارة في وادي الرافدين، ج ١، مطبعة الأديب، يبغداد، ١٩٦٩.

٧٠. سوسة، أحمد، الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية، الباب الأول والثاني ، طبع مكتب صبري، نشر مؤسسة كولبنكيان ونقابة المهندسين العراقية، بغداد، ١٩٧٤.

٧١. سوسة، أحمد، العراق في الخوارط القديمة، منشورات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩.

٧٢. الشامي، صلاح الدين علي، الإسلام والفكر الجغرافي العربي، منشأة المعارف بالإسكندرية، سلسلة الكتب الجغرافية (رقم ٢٠)، مطبعة أطلس، القاهرة، ١٩٧٨.

٧٣. الشامي، عبد العال عبد المنعم، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، والجمعية الجغرافية الكويتية، تسلسل ٣٦، ديسمبر ١٩٨١.

٧٤. الشكري، جابر، كتاب السموم المنسوب لجابر بن حيان، بحوث الندوة القطرية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب للمدة ١٤/ ٤- ١٦/ ٤/ ١٩٨٧، مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩.

٧٥. شوكة، إبراهيم، " تفكير العرب الجغرافي وعلاقة اليونان به وحقيقة كتاب جغرافيا لبطليموس وأصالته "، مجلة الأستاذ (تصدرها كلية التربية بجامعة بغداد)، المجلد التاسع، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦١.

٧٦. شوكة، إبراهيم، الجغرافية العربية حتى نهاية القرن العاشر، ترجمة صالح فليح حسن الهيتي، وخلدون داود صبري، القيسي، مطابع دار الحكمة، جامعة بغداد، ١٩٩٠.

٧٧. شوكة، إبراهيم،" خرائط جغرافيي العرب الأول"، مجلة الأستاذ، المجلد العاشر، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦٢.

٧٨. شوكة، إبراهيم،" كتاب الاقاليم للاصطخري"، مجلة الأستاذ، كلية التربية بجامعة بغداد، المجلد العاشر، ١٩٦٠.

٧٩. الصياد، محمد محمود، من الوجهة الجغرافية: دراسة في التراث العربي، دار الإحياء، بيروت، ١٩٧١.

٨٠. الطعان، هاشم، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، الموسوعة الصغيرة (رقم ١٩)، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨.

٨١. طوقان، قدري حافظ، تراث العرب العلمي، في الرياضيات والفلك، دار الشروق، بيروت، القاهرة، (د. ت.).

٨٢. طوقان، قدري حافظ، العلوم عند العرب، سلسلة الألف كتاب (رقم ٤)، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٦.

٨٣. ظبيان، تيسير،"هل إكتشف العرب أمريكا"، مجلة العربي، العدد ٢٢٣، حزيران ١٩٧٧.

٨٤. العباسي، محفوظ، العباسيون بعد إحتلال بغداد، (د. ت.)، أيضاً المخطوطة الزيوكية.

٨٥. العذاري، تغريد رامز هاشم،" دور العلماء المسلمين في الجغرافية الفلكية"، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل، المجلد ٦، العدد ١٧، ٢٠١٤.

٨٦. عطوان، حسين، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.

٨٧. العقاد، عباس، أثر العرب في حضارة اوربا (عن: صبري محمد حسن، الجغرافيون العرب، ج١).

٨٨. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧.

٨٩. عنان، محمد عبد الله،" الشريف الإدريسي عمدة الجغرافيين المسلمين"، مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٩، نيسان ١٩٦١.

٩٠. عواد، كوركيس، الكندي: حياته وآثاره، مديرية الفنون والثقافة الشعبية بوزارة الإرشاد، دار مطبعة التمدن، بغداد، ١٩٦٢.

٩١. الغنيم، عبد الله يوسف، الجغرافي الأندلسي أبو العباس أحمد بن عمر العذري، رسائل جغرافية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، تسلسل ١٣٠، الكويت، أكتوبر ١٩٨٩.

٩٢. فاضل أحمد الطائي، أعلام العرب في الكيمياء، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.

٩٣. الفحام، إبراهيم، مجلة العربي، العدد ١١، الكويت، ١٩٥٩.

٩٤. فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، ١٩٧٠.

٩٥. فهيم، حسين محمد، أدب الرحلات، عالم المعرفة، سلسلة ١٣٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطابع الرسالة، الكويت، حزيران ١٩٨٩.

٩٦. الفيل، محمد رشيد،" العلاقات التجارية بين العراق والصين في العصور الوسطى"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الثاني، السنة الثانية، مطبعة العاني، بغداد، حزيران ١٩٦٤.

٩٧. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠.

٩٨. القفطي، أنباه الرواة، على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١، ج٤، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٣.

٩٩. القفطي، تاريخ الحكماء، الطبعة الأوربية، لايبزك، ١٩٠٣، أيضاً منشورات مكتبة المثنى، بغداد ومؤسسة الخانجي في مصر.

١٠٠. القلقشندي، أبو العباس، صبح الاعشى في صناعة الإنشا، (نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية)، ج٣، ج٥، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، (د. ت.).

١٠١. الكبيسي، حمدان عبد المجيد، أسواق العرب التجارية، ط ١، هيئة كتابة التاريخ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩.

١٠٢. كراتشكوفسكي، إغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القسم الأول والقسم الثاني، نقله إلى العربية، صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة إيغور بليابف، جامعة الدول العربية/ الإدارة الثقافية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.

١٠٣. لاكوست، إيف، إبن خلدون واضع علم ومقرر إستقلال، نقله إلى العربية زهير فتح الله، ط١، الموسوعة الفلسفية الجديدة، مطابع دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٨.

١٠٤. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط٢، مكتبة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٨.

١٠٥. مايرهوف، كتاب الصيدنة (عن كراتشكو فسكي، القسم الأول، ١٩٦٣).

١٠٦. محفوظ، حسين علي، بحث مقدم إلى ندوة الحسن بن الهيثم، ١٣/١/١٩٨٨،مركز إحياء التراث، العلمي العربي، جامعة بغداد.

١٠٧. مخلص، عدي يوسف، المقدسي البشاري: حياته ومنهجه، مع دراسة كتابه أحسن التقاسيم، (د. ت.).

١٠٨. المدني، أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، الطبعة العربية، الجزائر، ١٩٤٦.

١٠٩. مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، دار الثقافة، بيروت، (د. ت.).

١١٠. المسعودي، أبو الحسن، ، أخبار الزمان، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٦، ١٩٩٦.

١١١. المسعودي، أبو الحسن، التنبيه والإشراف، عناية وتصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م. أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى في بغداد.

١١٢. المسعودي، أبو الحسن، التنبيه والإشراف، منشورات مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٥.

١١٣. المسعودي، أبو الحسن، التنبيه والإشراف، إشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة دار الهلال، بيروت، ١٩٨١.

١١٤. المسعودي، أبو الحسن، التنبيه والإشراف، روائع التراث العربي، سلسلة ٤، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٩٦.

١١٥. المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، الطبعة الأوربية، باريس، ١٨٦١.، ج٧، ١٨٧٤.

١١٦. المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب، ج١، القاهرة، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧.

١١٧. المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب، عناية ومراجعة كمال حسن مرعي، ط١، الجزء الأول والثاني، بغداد، ١٩٢٨، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥.

١١٨. المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب، ج٢، المطبعة البهية المصرية، القاهرة، ١٩٤٦.

١١٩. المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب، ج١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، بيروت، ١٩٤٨، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢.

١٢٠. المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب، ط٢، ج٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٣.

١٢١. المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، عناية دي غوية، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٦، ١٩٦٧.

١٢٢. المنجد، صلاح الدين، أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، مؤسسة التراث العربي، بيروت، ١٩٥٩.

١٢٣. مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٧.

١٢٤. المياح، علي محمد،" تعابير الإستيطان في التراث الجغرافي الغربي"، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٩٢.

١٢٥. المياح، علي محمد، جغرافية العراق في معجم البكري، منشورات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع، بغداد، ٢٠٠٢.

١٢٦. المياح، علي محمد،" العرب والمحيط الهندي في العصور الإسلامية الوسطى"، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ج٣، ٤، المجلد ٤٠، ١٩٨٩.

١٢٧. المياح، علي محمد،" مناهج الجغرافيا الإقليمية عند العرب في التراث والمعاصرة" مجلة المجمع العلمي العراقي، ج ١، المجلد ٤٠، بغداد، ١٩٨٩.

١٢٨. ميكولسكي، دمتري ف.،" المسعودي هيرودوت العرب"، جريدة الرياض، العدد ١٣٧٤٤، الخميس ١٠ محرم ١٤٢٧هـ/ ٩ فبراير ٢٠٠٦.

١٢٩. ميكيل، أندريه، جغرافية دار الإسلام البشرية، القسم الأول، ترجمة إبراهيم خوري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٣.

١٣٠. مينورسكي، م. ف.، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ترجمة أ.د. عبد الرحمن حميدة، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، تسلسل ٧٣، الكويت، يناير ١٩٨٥.

١٣١. الناهي، صلاح الدين عبد اللطيف، الخوالد من آراء أبي الريحان البيروني في أسباب التمدن والمنهج الموازن وإستعراض الثقافات، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٥.

١٣٢. نجم الدين، نداء، وآلاء نافع، "قراءة في بعض منجزات البيروني الجغرافية"، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الثاني، ، بغداد، ٢٠١١.

١٣٣. النقاش، عدنان، الجيولوجيا عند العرب، الموسوعة الصغيرة، تسلسل ٤٧، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦.

١٣٤. الهمداني، أبو محمد الحسن، الإكليل، ج٢، حققه محمد بن يعلي الأكوع الحوالي، دار مطبعة الحرية، بغداد، ١٩٨٠.

١٣٥. الهمداني، أبو محمد الحسن، كتاب صفة جزيرة العرب، قام بنشره وتصحيحه ومراجعته وتحقيقه محمد بن عبد الله النجدي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٣، ليدن، ١٨٣٨.

١٣٦. الهيتي، صالح فليح حسن،" الخوارزمي وتطور علم الخرائط"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، العدد ٢١، مطبعة العاني، بغداد، كانون الأول ١٩٨٧.

١٣٧. الهيتي، صبري فارس، الشيخ شهاب الدين أحمد بن ماجد، ط ١، هيئة كتابة التاريخ، نوابغ الفكر العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٩.

١٣٨. الورد، باقر امين، معجم العلماء العرب، راجعه الأستاذ كوركيس عواد، ج١، بغداد، ١٩٨٢.

١٣٩. وهيبة، عبد الفتاح محمد، جغرافية العرب في العصور الوسطى، الجمعية الجغرافية المصرية: الموسم الثقافي لسنة ١٩٦٠، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠.

١٤٠. اليعقوبي، البلدان، علق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت.).

١٤١. اليعقوبي، كتاب البلدان، الطبعة الأوربية، والطبعة الثالثة، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف.

مصادر باللغة الإنكليزية:

1. Field, Henry, The Anthropology of Iraq, Part 2, No. 2, Cambridge, Massachusetts, U.S.A., 1952.

2. Fisher, W. B., The Middle East, 3rd., London, 1956.

3. Harvard University, A glimpse at the intricate mosaic of ethnicities from Mesopotamia, U.S.A., Nov. 2017.

4 Rice, D.T., The Oxford Excavation, at Hira, Antiquity, Vol. V1, 1932.

المواقع الإلكترونية:

١. إبراهيم، أحمد، الريادة الجغرافية الإسلامية..كيف أسس العلماء المسلمون لإكتشاف بحار العالم.

أنظر الموقع على النت: الريادة-الجغرافية- الإسلامية- كيف- أسس

https:// www.aljazeera.net/medan/intellect/histry/2019/10/11/

٢. الجغرافيا في عصر الحضارة الإسلامية، وكيبيديا الموسوعة الحرة. أنظر الموقع على النت:

https:// ar.wikipedia.org/wiki/ الجغرافيا-في-عصر-

٣. الحقيل، عبد الله حمد، مع الرحالة الجغرافيين، الجزيرة نيت، ٨ شباط ٢٠١١، أنظر الموقع على النت: www.aljazirah.com/2011/02/18/cu.15.html/...

٤. الحكواتي، ٢٠١٣، المؤسسة العربية للثقافة، المسعودي: شخصيات، علماء، فلاسفة، ورحالة.

أنظر الموقع على النت: al_hakawati Arab Culture Trust

٥. خريطة- بطليموس- https://www.academia.edu/16921332

٦. دعدوع، شهيرة، من علماء المسلمين في علم الجغرافيا- موضوع، ٢٣/ ٤/ ٢٠١٩. أنظر النت:

من-علماء-المسلمين-في https://mawd003.com/

٧. راضي، نادية، أفضل علماء الجغرافيا في التاريخ الإسلامي، المرسال، ١٨/ ٧/ ٢٠١٤. أنظر الموقع على النت: https:// www.almarsal.com/post/142823

٨. شاهين، محمد علي، علم الجغرافيا والإكتشافات المبكرة عند المسلمين، الألوكة، ٩/ ٧/ ٢٠٠٨.

أنظر الموقع على النت: https:// majies.alukah. net/t 72802

٩. غاوجي، أسامة، كتبوا عن حرق الوثنيين الروس لموتاهم وأكل الزنوج للبشر، الجزيرة، ٢٥

شباط ٢٠٢٠. أنظر الموقع: https:// www.aljazeera.net/turath/2020/02/25

١٠. الغنيم، عبد الله يوسف، نظرات في تحقيق النصوص الجغرافية العربية، مؤسسة الفرقان للتراث

الإسلامي. أنظر الموقع على النت: نظرات في تحقيق النصوص الجغرافية

https:// al-furqan.com/ar/

١١. فتحي، طارق، تاريخ علوم الأرض عند المسلمين، منتديات الباحث، تسلسل ٣٦،

٢/ ١٠/ ٢٠١٥. أنظر الموقع على النت: alba7th.com/t7840_topic

١٢. محمد عرب الموسوي، العلوم الجغرافية: دور العرب في تطور الجغرافيا، ١٨ ديسمبر ٢٠١١.

أنظر الموقع على النت :

https://tegnelogi.blogspot.com/2011/12/blog_spot_3963.html

١٣. المعرفة، المسعودي، مؤرخ جغرافي ورائد نظرية الإنحراف الوراثي. أنظر الموقع على النت:

المسعودي /https://www.marefa.org

١٤. مقالة عن الجغرافيا وعلمائها وخرائطها المكتبة الجغرافية، شباط ٢٠١١. أنظر الموقع على النت:

geography_library.blogspot.com/2011/02/blog_post...

١٥. مقلد، محمد سالم، الرحلة والرحالة الجغرافيون المسلمون، منتدى العرب المسافرون الحقيقي.

أنظر الموقع على النت: https://arabs. travel/printthreadt196844.html

١٦. من إنجازات المسلمين في علم الجغرافيا، ٢٠١٣، طريق الإسلام، ٥/ ٩ / ٢٠١٣. انظر الموقع

على النت: https:// ar.islamway:net/article/17367/

من إنجازات المسلمين في علم الجغرافيا.

١٧. النظريات والأفكار التي قدمتها مجموعة من العلماء في مجال الجيولوجيا، التقدم العلمي:

الموسوعة الجيولوجية، ج٤، ١٢/ ١٠/ ٢٠١٨. أنظر الموقع على النت:

النظريات والأفكار التي قدمتها مجموعة www.aspdkw.com/

١٨. النوفل، شريفة محمد، منتدى الجغرافيون العرب، ١٨/ ٣/ ٢٠١٠. انظر الموقع على النت:

https:/www.arabgeographers.net/vb/threads/arab/10988/

١٩. وكيبيديا الموسوعة الحرة، المسعودي مؤرخ جغرافي ورائد نظرية الإنحراف الوراثي، المعرفة،

٢٠١٠. أنظر الموقع على النت: المسعودي https://ar.wikipedia.org/wiki/.

الفهرست

٩ / ٩٢٣

س ٦٤٩ السعدي، عباس فاضل.

الجغرافيون العرب/ عباس فاضل السعدي

- ط١- بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٢٢

(٣٥٢) ص ، (١٧× ٢٤) سم

١- الجغرافيون ــ تراجم ــ أ ــ العنوان.

م.و

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦٦٢) لسنة ٢٠٢٢